جوع
الى الله

يحيى العازف

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى

2004 م- 1425 هـ

التوزيع

دارُ الجيل

للنشر والطباعة والتوزيع

بيروت :البوشرية – شارع الفردوس – ص.ب. : 8737 (11)- برقياً دار جيلاب

هاتف : 689950 – 689951 – 689952 / فاكس : 689953 (009611)

E.mail : daraljil@inco.com.lb

Website :www.daraljil.com

القاهرة : هاتف : 5865659 / فاكس : 5870852 _(00202)

تونس : هاتف : 719226644 / فاكس : 71923634 (00216)

مقدمة

حذارِ الكتب التي تتكلم عن الصوم! فالكتاب المقدس حريص على تحذيرنا من أولئك الذين "***ينهون عن ... أطعمة خلقها الله ليتناولها ويشكر عليها الذين آمنوا فعرفوا الحقّ" [الرسالة الأولى إلى طيموتاوس 4: 1- 3]*** ويتساءل الرسول بولس بخيبة أمل : **ما *بالكم... تخضعون لمثل هذه النواهي: لا تأخذ،لا تذق،لا تمسّ؟"[الرسالة إلى أهل قولسي 2: 20و21].*** فهو غيور على التمتع الكامل بالحرية المسيحية. وها هي الراية ترتفع فوق كل كتاب في الصوم، كإعلان حرية عظيم: " ***ليس لطعامٍ أن يقرّبنا إلى الله،فإن لم تأكل منه لا تنقص، وإن أكلنا منه لا نزداد"[الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس 8:8].*** وقد كان ذات مرّة رجلان، أحدهما قال: ***إنّي أصوم مرّتين في الأسبوع" ، أمّا الآخر فقال : اللّهم إرحمني أنا الخاطىء. ولكنّ ثانيهما فقط نزل إلى بيته مبروراً" [الإنجيل حسب لوقا 18:12-14] .***

ثمّ إن التدرّب على نكران الذات محفوفٌ بمخاطر ربّما لا تفوقها سوى مخاطر الإنغماس الذاتيّ. فمن هذه أيضاً تُحذر: " ***كلّ شيء يصلُ لي، ولكنّي لن أدع شيئاً يتسلّط عليَّ" [رسالة قورنتس الأولى 12:6]*** . وما تسلط علينا بات هو إلهنا ، كما أنّ بولس الرسول يحذرنا من أولئك الذين ***الهُهم بطنهم" [رسالة فيلبي 19:3].*** تُملي عليهم إتجاه حياتهم، والمعدة هي السيدّة المهيمنة. ولهذا الواقع وجهٌ دينيّ ووجهٌ غير دينيّ. فمن الناحية الدينية، ثمة " **أناس ... *كفار يجعلون نعمة إلهنا فجوراً*"[رسالة يهوذا 4]**، ويروجون الشعار القائل:" **الطعام للبطن، والبطن للطعام"*** ***[رسالة قورنتس الأولى 13:6]***.

ومن الناحية غير الدينية، وبلا ذريعة من النعمة الغافرة، ثمة أشخاص يستسهلون جدا أن يدعوا " سائر الشهوات تداخلهم فتخنق الكلمة " [***الإنجيل حسب مرقس 19:4***] .

إن الخصم الحقيقي هو الإستسلام ***لسائر الشهوات***. أمّا السلاح الوحيد الذي يؤتينا النصر فهو جوعٌ إلى الله أشدّ. وليس السبب في ضعف جوعنا إلى الله أنّه تعالى غير سائغ، بل هو حشو بطوننا بسائر الشهوات إلى الطعام تعبيرٌ– بل أيضاً تظهيرٌ– لشهية نفوسنا إلى الله.

وما يُسلط عليه الضوء هنا ليس خير نفوسنا فحسب، بل مجد الله أيضاً. فالله يتمجد فينا أكثر تمجيد حين نجد فيه شبعنا الأوفى. وما جهاد الإيمان إلا إجتهاد في التمتع بكل ما يعنيه لنا الله في شخص المسيح. ونحن إنّما نتعبد لما نجوع إليه ونعطش أكثر من كل شيء.

إنَّ صلاح الله يشرق بأبهى أشعة
حين نبتهج فرحين بكل طرقه
ومجده يفيض بكل سناء
حين نجد فيه الشبع والإكتفاء
ولسوف يملأ بهاؤه الدنيا
حين يتمتع شعبه بقيمته العليا
فيما جمال نار الله المقدسة المتوهجة
يضطرم بأقوى ألقه في رغبة القلب المتأججة

فبين مخاطر نكران الذات والإنغماس الذاتي سبيلٌ يغمره

الألم المبهج. ليس هو تلذذ المازوشي المرضي، بل معاناة حبيب يبتغي تحقيق مسعاه: " ***خسرت كل شيء، وعددت كل شيء نفاية، لأربح المسيح"[رسالة فيلبي 3:8]*** . وذلك هو السبيل الذي نسعى إلى إنتهاجه في هذا الكتاب.

أما مجرد محاولتي القيام بهذه الرحلة ، فالفضل فيه لنعمة الله التي بها أحيا كل يوم. وقد بلغتني هذه النعمة في عيسى المسيح الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي. كما لمستها أيضاً في زوجتي " نويل" ، وخير معوان لي في مهام الوعظ والكتابة ورعاية قطيع الله. فلا حرج لي بتأكيد محبتي لها وشكرها على مشاركتي في الخدمة الجليلة. وما برح الله يغمرنا بجوده. وكذلك أيضاً لمست النعمة في جهود " كارول استاينبتخ" من حيث المراجعة الدقيقة التي خلفت بصماتها الواضحة، والعناية الدؤوب بالملاحق والفهارس.كما لمست النعمة في إخواني الشيوخ بجماعة المؤمنين التي أنتمي إليها.فقد صاغوا تعريفاً للخدمة تنتهجه جماعتنا وأعتنقه رسالة حياة لي. وهم عهدوا إليّ بكتابة هذا الكتاب، ووفروا لي الوقت الكافي ، بحيث يكون الكتاب معززاً للرسالة الجليلة المتمثلة بالقول: "علة وجودنا نشر تشوق يعنى بسيادة الله في كل شيء لبهجة جميع البشر".

ذلك محور دعائي بشأن هذا الكتاب. فحين يكون الله جوع قلوبنا الأسمى، فلا بدّ أن يكون مطلق السيادة في كل شيء.

جان بايبر

1 أيار (مايو) 1997

من لي في السماء؟ ومعك على الأرض لا أهوى شيئاً.
فني جسدي وقلبي: الله للأبد صخرة قلبي ونصيبي.
-[المزمور73:25-26]

في كل مكان وزمان تقريباً، ما برح الصوم حيزاً بالغ الأهمية، بما أنّه مرتبط إرتباطاً وثيقاً بالدين في معناه العميق. وربما في هذا ما يفسر زوال الصوم في أيامنا. فعندما يتضاءل الإحساس بالله، يتلاشى الصوم.

إدوار فارّيل

مدخل

شوقٌ إلى الله

إنّ مهد الصوم المسيحي هو الشوق إلى الله. ففي صيف 1967 كان قد مضى على نشأة الحب بيني وبين " نويل" سنة كاملة. ولو قلت لي آنذاك إنّ علي أن أنتظر سنة وستة أشهر حتى نتزوج ، لكنت إعترضت بشدة. إذ بدا لنا أن خير البر عاجله. فقد كان ذلك هو الصيف السابق لتخرجي في الكلية . وكنت أعمل مدرباً على سلامة الماء في مخيم رياضي للشباب المؤمنين بالمسيح في ولاية كارولينا الجنوبية. أما " نويل" فكانت تبعد عني مئات الكلومترات حيث تعمل في أحد المطاعم.

ولم يسبق لي أن خبرت معاناة كهذه. كنت قد عانيت الشوق من قبل ، ولكن ليس على ذلك المنوال. إذ كنت كل يوم أكتب إلى " نويل" رسالة متحدثاً عن إشتياقي إليها. وقد جرت العادة أن تحصل مناداة لاستلام الرسائل قبيل الغذاء. فإذا سمعت اسمي ورأيت ظرف الرسالة الأرجواني الفاتح، تفارقني الشهية. أو بتعبير أدق: كان جوع قلبي يسكن جوعي إلى الطعام. وغالباً ما كنت أستعيض عن تناول الغذاء مع شباب المخيم بالتوجه حاملاً الرسالة إلى مكان منعزل في الغابة حيث أقعد على العشب لتناول وجبة مختلفة النوع. لم تكن هي الحقيقة الواقعة، ولمن لون الرسالة ورائحتها وخطها ومضمونها وتوقيعها كانت هي البواكير. وبوجود هذه الأشياء ، كنت من أسبوع إلى أسبوع أتقوى في الرجاء، وظلت الحقيقة التي تلوح في الأفق حية في قلبي.

الغرام ومحاولة الصيام

إنّ الصوم المسيحي ، في جذوره ، هو جوع ناشىء من الشوق إلى الله. ولكن قصة جوع قلبي للمكوث مع " نويل" قد تكون مضللة . فهي تحكي من قصة الصوم المسيحي نصفها فقط.ذلك أن نصف الصوم المسيحي هو فقدان شهيتنا الطبيعية بسبب حدة شوقنا إلى الله وشدته. أما النصف الأخر فأنّ شوقنا إلى الله مهدد بسبب شدة شهيتنا الطبيعية. وفي النصف الأول ، تفقد الشهية. أما في الثاني، فتقاوم الشهية. في الاول نذعن للجوع الأسمى الموجود. وفي الثاني نجاهد لأجل الجوع الأسمى المفقود. فليس الصوم المسيحي فقط النتيجة التلقائية لشبع بالله فائق، بل هو أيضاً سلاح مختار لمقاومة كل قوة في العالم من شأنها أن تنتزع ذلك الشبع.

ألدّ أعداء الله : عطاياه

إنّ ألد عدو للجوع إلى الله ليس هو السمّ، بل الدسم. فما يبلد شهيتنا للسماء ليس مأدبة الشرير بل التنعم الدائم حول مائدة العالم. ليس الأفلام الخلاعية ، بل التفاهات النزازة التي نتشربها كل مساء في أثناء السهرة. ولئن كان في طوق الشيطان أن يجلب أكبر الشرور والمساوىء،فحين يصف الله ما يحاول دون تنعمنا بمأدبة محبته، نجد أن ذلك هو قطعة أرض، ونير ثيران، وزوجة [الإنجيل حسب لوقا 14:18-20]. فإن ألد خصم للمحبة لله ليس أعداؤه بل عطاياه. وليس أشد الشهوات فتكاً إشتهاء سم الشر، بل مباهج الأرض المجردة. فإذا حلت هذه محل الشهية لله نفسه، فنادراً ما تكون عبادة الأصنام ملحوظة، وغالباً ما تستعصي على الشفاء.

وقد قال المسيح إنّ من الناس من يسمعون كلمة الله، فيستيقظ في قلوبهم شوق الله، لكّنهم يمضون في سبيلهم إذ " يكون لهم من

الهموم والغنى وملذات الدنيا ما يخنقهم في الطريق " **[الإنجيل حسب لوقا 14:8]**. وفي موضوع آخر قال: "**ولكن هموم الحياة الدنيا وفتنة الغنى وسائر الشهوات تداخلهم فتخنق الكلمة**" **[الإنجيل حسب مرقس 19:4]**. فإن "ملذات الحياة" و"سائر الشهوات" ليست سيئة بحد ذاتها. فهي ليست رذائل، بل هي عطايا من عند الله. إنها قوام حياتك من الخبز واللحم والبطاطا والقهوة والشاي، والإعتناء بالحديقة والقراءة وتزيين البيت، وإستثمار المال والسفر، ومشاهدة التلفزيون وتصفح الإنترنت، والتبضع والتمرن والجمع والتحصيل والتكلم؟ وكل من هذه يمكن أن يغدو بديلاً من الله قتالاً ومهلكا!

الأثار المسيئة في المسرات البريئة

إذاً، حين أقول إن الصوم المسيحي هو جوع الشوق إلى الله، أعني أننا نفعل أي شيء،ونستغني عن أي شيء، إذا كان لنا- مهما كان الثمن- أن نحمي أنفسنا من الآثار المبلدة في المسرات البريئة، ونحافظ على الأشواق العذبة المرتبطة بتوقنا الشديد إلى الله.لست أعني الطعام وحده، بل أي شيء أيضاً. فمنذ بضع سنين دعوت جمهور المؤمنين عندنا إلى الصيام أربعاً وعشرين ساعة مرة في الأسبوع خلال شهر كانون الثاني –يناير (بترك الفطور والغذاء أيام الأربعاء، إن أمكن) إذ كنا نواجه قضايا خطيرة تتعلق بفحص الذات وتقويم السبل، وكنا في حاجة إلى ملء حضور الله بكل حكمته وقدرته المطهرة. وفي غضون أيام قليلة، وصلتني بالبريد الرسالة التالية:

إنني أدعم هذه الدعوة، واعتقد أن الله وراءها. لـــم أستطع

الإلتزام يوم الأربعاء. فعندي ناس إلى الغذاء كل يوم. وهكذا تحصل عندي ما أعتقد أنه من الروح القدس مما يكون صوماً أفضل من قطع الطعام. فقد فكرت أنني اصوم صوماً أفضل من صوم الطعام إن إمتنعت أسبوعاً عن مشاهدة التلفزيون، أو شهراً، أو ليلة من الليالي التي إعتدت مشاهدته فيها. فبدلاً من مشاهدة برنامجي المفضل، أقضي وقتاً في التحدث إلى الله والإصغاء إليه. وإني لأتساءل ألعلّ هناك آخرين قد يكون هذا صوماً في نظرهم ، ويوفر لهم وقتاً يركزون فيه على الصلاة.

ويوم الأحد التالي قلت للحاضرين: " حسناً، إذا قلت:< إنّ الصوم يوم الأربعاء لم ينفعني >، فلا بأس. فإن كان قلبك سليماً، وكنت منفتحاً لتوجيهات الرب وصليت: < يا ربّ، أجذبني إلى روح اليقظة بالصوم >، فهو يريك السبيل. إنه يبين لك متى تصوم وكيف. وإن كانت صحتك لا تسمح بذلك، أو نهاك الطبيب عن الصوم ، فلا بأس. إنّ الطبيب الأعظم يعرف كل أحوالك ، ولا بد أن ينفعك شيء آخر".

فالمسألة في الصيام ليست مجرد الطعام. إنها أي شيء وكل شيء يحل محل الله، أو يمكن أن يحل محله. ولنذكر أن

" مارتن لويد جونز" (1899-1981) خادم كنيسة وستمنستر في لندن ، ألقى عظة رائعة في موضوع الصوم لما كان يشرح الموعظة على الجبل في سلسلة مواعظ في العامين 1959و1960. ومما قاله في تلك العظة:

إذا تفكرنا في الصوم حقاً ، نجده غير منحصر في مسألة الأكل والشرب. فينبغي أن يمارس الصوم بحيث يتضمن الإمتناع عن أي شيء مشروع بذاته ولذاته، في سبيل قصد روحي خاص. فهنالك جملة أنشطة طبيعية صائبة وسوية وشرعية تماماً ولكنّها لأسباب خاصة في بعض الأحوال المعينة تستوجب الضبط والسيطرة. ذلك نوعٌ من الصوم.

لقد طرحت فرضية مؤداها أن الأشياء الصالحة يمكن أن تسبب أذى بالغاً. فالثيران والحقول والزواج قد تُقصيك عن الملكوت السماوي. لذا قال المسيح : "**كل واحد منكم لا يتخلى عن جميع امواله لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً**" **[الإنجيل حسب لوقا 14:33]**. وذلك أن أي شيء يمكن أن يشكل عائقاً في طريق التلمذة الحقيقية، ليس الشر وحده ، ولا الطعام فحسب ، بل أي شيء. فلا يدهشنا أن يكون بعض من أعز عطايا الله لنا مزاحماً لنا على تكريسنا وحبنا له.

لما فضّل إبراهيم الله على حياة إبنه إسحاق

كيف يعيننا الصوم على عدم تحويل عطايا الله آلهة لنا؟ لنتأمل ما فعله إبراهيم إذ كاد يقدم إبنه إسحاق محرقة. فلما مد إبراهيم يده ليقتل إبنه ووارث وعد الله، " **ناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: إبراهيم! قال: هاءنذا. قال: لا تمد يدك إلي الصبي ولا تفعل به شيئاً، فإني الآن عرفت أنك متق لله، فلم تمسك عني إبنك وحيدك** " **[سفر التكوين 12-22:11]**. فها هنا كان نوع من الصوم جذري ، ألا وهو التضحية بإبن . ولم يدع الله إبراهيم إلى هذا " الصوم" لأن إسحاق كان سيئاً، بل على العكس، كان ذلك لأن إسحاق كان في نظر إبراهيم جيداً جداً. فبالحقيقة أنه بدا شخصاً لا يمكن الإستغناء عنه في سبيل إتمام وعد الله. إذا، ليس الصوم حرماننا ما هو سّيييء بل ما هو جيد.

ولكن لماذا يدعو الله إلى أمر كهذا؟ لأن ذلك كان إمتحاناً أو إختباراً: أيسلك إبراهيم بوحي من " **تقوى الرب**"**[سفر إشعياء :3 11]**. مبتهجاً بذلك أكثر من إبتهاجه بإبنه الأثير؟ وقد تكلم الله بفم الملاك إذ قال : " **الآن عرفت أنك متق لله، فلم تمسك عني إبنك وحيدك!**" وما معنى الكلمتين: " **الآن عرفت** "؟ أما كان الله يعرف أن إبراهيم يتقيه ويقدره أكثر من تقديره لابنه ؟إن الكتاب المقدس يعلم أن الله يعرف " **قلوب جميع بني البشر**" **[سفر الملوك**

الاول 39:8، أعمال الرسل 24:1] ، بل إنه بالحقيقة " **جابل قلوبهم** "[**المزمور 15:33**]فلماذا الإمتحان إذاً؟ إليك جواب " سي أس لويس" عن هذا السؤال:

يشغلني هذا السؤال : " ما دام الله كلي العلم ، فلا بد أنه عرف ماذا سيفعل إبراهيم ، دون إجراء إختبار، فلماذا إذاً هذا العذاب الذي لا داعي له؟ ولكن كما قال القديس أغسطينوس: مهما كان ما يعلمه الله، فإن إبراهيم لم يعلم أن هذه الطاعة تتحمل مثل هذا الامر الشاق حتى علّمته الحادثة ذلك ، والطاعة التي لم يعلم أنه سيختارها لا يمكن القول إنه قد إختارها .فإن حقيقة طاعة إبراهيم كانت الفعل بالذات ، وما علمه الله في معرفته أن إبراهيم" سيطيع" كان طاعة إبراهيم الفعلية على قمة ذلك الجبل وفي تلك اللحظة بعينها. فأن نقول إنه "ما كان من داع لأن يجري الله ذلك الإختبار" كأن نقول إن الشيء الذي يعلمه الله لا ينبغي أن يوجد لأن الله يعلمه.

إنّ الله يرغب في أن يعرف الحقيقة الواقعة المعيشة المرتبطة بكوننا نفضله على كل شيء آخر.وهو يشاء أن تكون لنا شهادتنا الخاصة لأصالتنا بأفعال تبين تفضيلنا الفعلي له على عطاياه. و"لويس" على حق " في قوله إنه كان ممكناً ألا يخلق الله العالم أيضاً بل يكتفي بأن يتصوره فقط" ، لو كانت معرفته " ما سيحدث " مساويةً لمعرفته ما يحدث فعلاً وواقعاً. فالله يشاء أن يحوز المعرفة الإختبارية، معرفة عن طريق المشاهدة الفعلية والمراقبة الواقعية. وعليه، فإن فعلاً بشرياً معيشاً يُثبت تفضيلنا لله على عطاياه هو التمجيد الفعلي المعيش لله على سموه، ذلك التمجيد الذي لأجله خلق العـــلم . وليس الصوم هو

الطريقة الوحيدة ، ولا الطريقة الرئيسية، التي بها نمجد الله بتفضيلنا له على كل عطاياه. غير أنه طريقة من الطرائق. وهو طريقة يمكن أن تخدم الاخرى وتعززها.

الأكل مخدراً للكآبة

لقد أشار "لويس" إلى القديس أغسطينوس. وهاك ما قاله أغسطينوس: " لا يستطيع العقل البشري ، في معظم الاحوال، أن يبلغ معرفة النفس إلا بإختبار قدراتها من خلال التجربة ، بنوع من فحص الذات العملي ، لا الكلامي فحسب". بكلام آخر، يسهل أن نخدع أنفسنا متوهمين أننا نحب الله ما لم نخضع محبتنا للإمتحان تكراراً، فعلينا أن نبين أولويتنا ليس بمجرد الكلمات بل التضحيات. ومن الجلي أن التضحية بإبن تبين ما يفوق كثيراً التضحية برغيف خبز. غير أن المبدأ هو هو . ثم إن كثيراً من الأفعال البسيطة التي تنم عن تفضيلنا الشركة مع الله على الطعام قد يكون لدينا عادة تواصل وإكتفاء تجعلنا مستعدين للتضحية القصوى. وهذا وجه من الوجوه التي بها يخدم الصوم جميع أفعال محبتنا لله. فمن شأن تلك العادة أن تبقي ملكة التفضيل على أهبة الإستعداد وفي منتهى الرهافة.إنها تدع القضية تستقر، بل تضطرنا إلى تكرار السؤال: ألدي حقاً جوعُ إلى الله؟ هل أشعر بوحشة البعد عنه وأشتاق إليه؟ هل بدأت أكتفي بعطاياه؟

فالصوم المسيحي إمتحان للنفس في سبيل معرفة الرغبات والشهوات التي تسيطر علينا: ما هي ميولنا الجذرية؟ وفي فصل عن الصوم يتضمنه كتاب " الإحتفال بالإنضباط" يقول المؤلف " ريتشارد فوستر": أكثر من أي تدريب آخر للنفس، يكشف الصوم الأشياء المسيطرة علينا. وهذه منفعة عجيبة

للتلميذ الحقيقي الذي يتوق إلى التغير للصيرورة على صورة المسيح . فنحن نستر ما في داخلنا بالطعام وسائر الأشياء".

وفي إطار علم النفس نسمع كلاماً من هذا القبيل كثيراً، ولا سيما بشإن الأشخاص الذين يعانون ألماً وافراً في حياتهم. فنقول مثلاً إنهم" يداوون" أوجاعهم بالطعام. إنهم يخدرون إحساسهم بالأذى الداخلي بواسطة الأكل. ولكن ليست هذه أعراض مرض موصوف نادر. فجميعنا نفعل ذلك، بغير إستثناء البتة. ذلك أننا نسكن إنزعاجنا بإستخدام الطعام، ونستر شقاوتنا بجعل وقت الغذاء نصب أعيننا. لهذا يفضح الصوم كل ما فينا: ألمنا وكبرياءنا وغضبنا. ومن ثم يردف " فوستر":

إذا كانت الكبرياء مسيطرة علينا، فإنها ستتكشف في الحال تقريباً . لقد قال داود: ***"كنت بالصوم أذلل نفسي" [المزمور 35:13]***. كما أن الغضب والمرارة والحسد والصراع والخوف، إذا كانت فينا، تطفو على السطح في أثناء الصوم. وفي البداية، نعلل غضبنا بذريعة الجوع . ثم نعلم أننا غضاب لأن روح الغضب موجودة في داخلنا. وفي وسعنا أن نبتهج بمعرفتنا ذلك، لأننا نعلم أن الشفاء ميسور بقوة المسيح.

وواحد من دواعي الصوم أن نعرف ما فينا ، تماما كما بين إبراهيم ما كان فيه.

فبالصوم يظهر ما فينا حتماً، فنلمسه ونراه، ونضطر إلى معالجته، أو نبادر إلى كبحه حالاً. وإذا حل الضحى ورغبت في الطعام بشدة، حتى لتغدو فكرة الغذاء حلوة كعطلة الصيف، تعود فتتذكر أنك صائم، فتقول لنفسك: " كيف نسيت أنني تعهدت ؟ لا يمكنني أن أمتع نفسي بتلك المسرة. فأنا صائم عن الغذاء أيضاً !" وبعد، فماذا تــراك فاعلاً بكل ما فيك من شقاء؟

من قبل حجبت ذلك برجاء غذاء طيب، فرجاء الطعام آتاك المشاعر الطيبة التي خسفت المشاعر السيئة. أما الآن فقد إضطربت كفتا الميزان، وبات عليك أن تجد طريقة أخرى لمعالجة الحال.

خادم الإيمان الجائع

عند هده الحدود نبدأ حقاً بإكتشاف ماهية مواردنا الروحية. وما أكتشفه عن نفسي ذو قيمة بالغة في سبيل معركة الإيمان. حتى إنني كدت أضع لهذا الكتاب عنواناً فرعياً حرفيته: "الصوم: خادم الإيمان الجائع". ويا له من خادم! فبتواضع وهدوء، وبغير حركة تقريباً، يخرج من عتمات نفسي خيبات الأمل في العلائق ، وإحباطات الخدمة، ومخاوف الفشل، وخواء الوقت المهدور. وحالما يبدأ قلبي يركن إلى الأمل اللذيذ بتناول العشاء مع الأصدقاء في مطعم معروف، يبادر ذلك الخادم إلى تذكيري:

ليس هذا المساء ! ولقد يكون هذا الإختبار فتاكاً أول الأمر. هل أجد الشركة الروحية مع الله ذات حلاوة كافية، والرجاء في مواعيده ذا عمق واف، بحيث لا أكتفي بالتواصل معه بل أجاوز ذلك إلى الإنتعاش والإبتهاج به؟ أم أفلسف التخلص من وجوب الصوم وأرتد إلى التداوي بالطعام ؟ قال الرسول بولس: ***لن أدع شيئاً يتسلط علي[رسالة قورنتس الأولى 12:6]***. فإن الصوم يبين المقدار الذي به يسيطر علينا الطعام، أو التلفزيون أو الكمبيوتر، أو أي شيء نستسلم له مراراً وتكراراً لإخفاء ضعف جوعنا إلى الله.

لماذا خلق الله الخبز والجوع؟

من أسباب حيازة الطعام هذه القوة المدهشة أنه أساسي بالنسبة إلى وجودنا. فلماذا الحال على هذا المنوال ؟ أعني :

لماذا خلق الله الخبز وجعل البشر يحتاجون إليه لحياتهم؟ كان في وسعه أن يخلق حياة لا تحتاج إلى الطعام! فهو الله. وقد كان في وسعه أن يفعل ذلك بأية طريقة شاءها. فلماذا الخبز؟ ولماذا الجوع والعطش؟ إن جوابي بسيط جداً :لقد خلق الخبز حتى تكون لنا فكرة ما عن حقيقة المسيح إبن الله إذ قال: " أنا خبز الحياة" [الإنجيل حسب يوحنا 35:6]. وقد خلق تواتر العطش والإرتواء حتى تكون لنا فكرة عن حقيقة الإيمان بالمسيح إذ قال : " **من يؤمن بي فلن يعطش أبداً" [يوحنا 35:6]**. فما كان الله مضطراً لخلق كائنات تحتاج إلى طعام وماء، ولها قدرات التذوق المرضي.

ولكن مركز الكون ليس الإنسان ، بل الله. وكل شيء، كما يقول الرسول بولس " ***منه وبه وإليه"[رسالة رومة 36:11].*** و"إليه" تعني أن كل شيء موجود كي يلفت إليه الإنتباه ويأتي إليه الإعجاب. وفي ***[الرسالة إلى مؤمني قولسي 16:1]*** يقول بولس بأكثر تحديداً: ***"خلق به وله"*** وكل شيء في إشارة واضحة إلى المسيح. إذا خلق الخبز لمجد المسيح، وخلق الجوع والعطش لمجد المسيح. وكذلك خلق الصوم لمجد المسيح.

معنى ذلك أن الخبز يعظم المسيح من جهتين: بكونه يؤكل بالشكر من أجل جوده، وبكونه لا يؤكل بدافع الجوع إلى الله نفسه. فعندما نأكل نتذوق رمز طعامنا السماوي، أي خبز الحياة. وعندما نصوم، نقول : أنا أحب الحقيقة أكثر من الرمز". ففي قلب التقي الورع، الأكل والصوم كلاهما تعبد. وكلاهما يعظمان المسيح . كما أن كليهما يوجهان القلب، شاكراً ومشتاقاً، إلى المعطي. ولكليهما مكانته المخصوصة، وخطره المحدد. أما خطر الاكل فهو وقوعنا في غرام العطية. وأما خطر الصوم فهو إزدراؤنا بالعطية وتباهينا بقوة إرادتنا.

كيف رتب الكتاب؟

ليس من طريق سهل ومأمون يفضي بنا حالاً إلى السماء دون عناء.فالطريق الصعب والضيق يعترض فيه كثير من العقبات، وتحف به كثرة من السبل المهلكة الحافلة بالمسرات البريئة. وثمة معركة ينبغي خوضها داخلاً وخارجاً. وما الصوم إلا أحد الأسلحة اللازمة على طول الطريق. من هنا كان هذا الكتاب اتجاهان: داخلي وخارجي. فهو يتناول المعركة الداخلية مع شهواتنا الخاصة التي تنافس الجوع إلى الله، كما يتناول المعركة الخارجية في سبيل النهضة والإصلاح وتبشير العالم والعدالة الإجتماعية والقيم الحضارية الحقيقية . ومع أن هذين الإتجاهين متداخلان في العمق،فإن الإتجاه الداخلي أغلب في الفصول الثلاثة الأولى، والخارجي أغلب في الفصول الثلاثة الأخيرة. أما الفصل الذي يتوسط الكتاب فهو جسر عبور، لأنّ الشوق والصوم لأجل رجوع المسيح أمر شخصي بشدة، إلا أنه يستدعي مزاولة أعمال الدنيا حتى رجوعه.

لملذا كتبت هذا الكتاب؟

غايتي ودعائي في تأليف هذا الكتاب أن يوقظ جوعاً إلى سيادة الله في كل شيء لأجل بهجة البشر أجمعين. فالصوم يبرهن وجود هذا الجوع ويذكي لهيبه. إنّه منبه للشوق الروحيّ. وهو عدو أمين للعبودية المهلكة في قبضة الأشياء البريئة. إنه علامة التعجب الطبيعية في آخر الجملة: " بهذا المقدار، يا إلهي، أشتاق إليك إلى تجلي مجدك في العالم!"

قد يخيل للمرء أن الذين يتنعمون أغلب الأحيان بطيب العشرة مع الله هم أقل الناس جوعاً. فإنهم كثيراً ما يتحولون عن مسرات العالم البريئة للمكوث على نحو أكثر مباشرة في

حضرة الله من خلال إعلان كلمته. وهنالك يأكلون **خبز الحياة** ويشربون **الماء الحيّ** بالتأمل والإيمان. ولكن ، على ما في ذلك من تناقض ظاهري، ليس أولئك أقل الناس جوعاً، بل العكس هو الصحيح . فإن أقوى المؤمنين بالمسيح وأكثرهم نضجاً بين من عرفت هم أشد الناس جوعاً إلى الله. وقد يبدو لنا أن الذين يأكلون أكثر من سواهم يكونون الأقل جوعاً. غير أن الحال ليست على هذا المنوال لدى من عندهم ينبوع لا ينضب، ووليمة لا تنتهي، ورب مجيد جداً.

فعندما تقف ثابتاً على أساس عمل الله في المسيح، وتبدأ بالشرب من **نهر الحياة** وبالأكل من **خبز السماء**، وتعرف أنك بلغت نهاية كل أشواقك ، فأنت إنما تصير أكثر جوعاً وعطشاً إلى الله. وكلما إزددت إختباراً للشبع والإرتواء من الله، وأنت ما تزال في هذه الدنيا، تعاظم إشتياقك للحياة الآتية . إذ كما قال " سي أس لويس" : " مملكتنا الفضلى هي إحتياجات". فكلما تعمقت في مسيرتك مع المسيح، إزداد جوعك إلى المسيح، وحنينك إلى السماء، ورغبتك في " كل ملء الله" ، وعزمك على الكف عن الخطيئة، وطلبك لرجوع **العريس**، وإزداد تشوقك إلى حدوث يقظة عظيمة تجاه حقيقة الله في مدن العالم، ورغبتك في مشاهدة نور الإنجيل المسيح المجيد يخترق ظلام الأقوام الذين لم تصلهم البشارة بعد، ورغبتك في رؤية الآراء العالمية الزائفة تذعن لقوة **الحق** ، وفي معاينة إزالة الآلآم ومسح الدموع وإبادة الموت ، وإزداد أيضاً تشوقك إلى تصحيح كل خطاء وإصلاح كل شذوذ ، وإلى أن يعطي الحق والعدل الأرض كلها تغطي المياه البحر.

وإن كنت لا تشعر بأشواق شديدة إلى تجلي مجد الله، فليس ذلك لانك شربت كثيراً حتى إرتويت ، بل لأنك تلذذت طويلاً بمائدة العالم. فإن نفسك متخمة بالأشياء الصغيرة، ولا

مكان للعظيمة. ولكن الله لم يخلقك لهذا . فثمة شهية إلى الله، ويمكن أن توقظ. وأنا أدعوك إلى التحول عن آثار الطعام المبلدة، ومخاطر الأصنام المدمرة، وإلى أن تقول بصوم ما بسيط: " بهذا المقدار ، يا إلهي، أشتاق إليك راغباً!"

" ولكن ستأتي أيام
فيها يرفع العريس من بينهم،
فحينئذ يصومون".

- ***[الإنجيل حسب متى 15:9]***

" فأما وقد متم مع المسيح عن أركان العالم ،
فما بالكم كما لو كنتم عائشين في العالم،
تخضعون لمثل هذه النواهي:
" لا تأخذ، لا تذق، لا تمس!"
وتلك الأشياء كلها تؤول بالإستعمال إلى الزوال؟
إنها وصايا ومذاهب بشرية،
لها ظاهر الحكمة، لما فيها من نفل
وتخشع وتقشف، ولكن لا قيمة
لا لأنها غير صالحة إلا لإرضاء الهوى البشري".

- ***[رسالة قولسي 2:20-23]***

-1-

هل الصوم أمر مسيحي؟

صيام جديد
من أجل الخمرة الجديدة

كُتبت حوالي نهاية القرن الأول للميلاد وثيقة قصيرة تعرف بإسم " الديداكي"، وفيها بند يتعلق بالصوم، من عباراته: " لا تكن أصوامك مع المنافقين ، لأنهم يصومون أيام الإثنين والخميس، بل صم أيام الأربعاء والجمعة ". وهذا يبدو لنا غريباً الآن . فلمادا يشكل تغيير أيام الصيام أمراً خطيراً؟

أعتقد أن وجهة النظر عند الجماعة المسيحية الباكرة كانت هذه: إن عادة اليهود جرت على حفظ السبت يوماً للراحة، وفقاً لما أوصت به التوراة ، ولكي نبين نحن المسيحيين أن لدينا إكمالاً لليهودية وإنهاء لها في آن معاً فسنراعي سبتاً ولكن في يوم آخر، وعليه فسنكرس لذلك يوم قيامة ربنا من بين الأموات وخلقه شعباً جديداً.

وبالطريقة عينها ، عمد اليهود إلى الصيام أيام الإثنين والخميس، ولكننا نحن سنصوم في يومين آخرين. أما السبب فهو نفسه : أن نبين وجود إكمال وإنهاء معاً. أجل، إننا نقبل الصوم ، ولكن لن نمارسه كما نجده.فإن في الصيام المسيحي جديداً . وسنراعي الصوم ، إلا أننا سنعدله . لسنا نعني أن الصوم في أيام مختلفة يجعله أمراً مسيحياً، لا! فما هذا إلا

مؤشر ، والصيام المسيحي جديد فعلاً. هذا الأمر حق لا ريب فيه. أما كيف يكون الصوم جديداً ، فذلك محور الفصل الحالي.

وفي هذا السياق ، نجد في**[الإنجيل حسب متى 9:14-17]** أهم كلمة بشأن الصوم في الكتاب المقدس . في علمي أن هذا تعميم جارف، ولكني عمدت إليه لأن كلام المسيح هذا يتوجه على نحو أكثر مباشرة وعمقاً إلى المسألة الأساسية في الصوم، وتحديداً: أهو أمر مسيحي بصورة واضحة جلياً؟ وإن كان نعم، فكيف؟

ليس واضحاً أن الصوم أمر مسيحي

نجدنا أمام سؤال حرج لأربعة أسباب على الأقل . أولها أن الصوم ، بكونه إمساكاً متعمداً عن الطعام لدواع دينية أو حضارية أو سياسية أو صحية ، هو " ممارسة موجودة في جميع المجتمعات والحضارات والعصور". ففي الواقع أن كل ديانة في العالم تمارس الصوم .حتى غير المتدينين يصومون لدواع سياسية أو صحية. إذاً لماذا ينبغي للمسيحيين أن ينضموا إلى ركب التقشف ؟ ثانياً ، لئن كان الصوم يمارسه حصراً شعب الله في العهد القديم، أفلا يبطل حلول الملكوت في خدمة المسيح هذه الممارسة؟ هل نستطيع أن نضع خمر الملكوت الجديدة في الزقاق العتيقة المتمثلة بالطقوس والشكليات ؟ ثالثاً ، أليس إنتصار المسيح النهائي في الصليب وحضور الروح القدس المستمر في جماعة المؤمنين يعنيان أن المسيح الظافر هو في وسطنا بمنتهى القوة بحيث ينبغي أن تكون الروح السائدة في الحياة هي الإحتفال، لا الإماتة؟ وفضلاً عن هذه الإعتراضات الأربعة، ألا يفضي إستظهار الصوم على قابليات الجسد إلى الكبرياء والإعتداد بالذات، وهما أسوأ من النهم بما لا يقاس؟

وهكذا، فليس من الواضح أبداً أن اللجوء إلى الصوم أمر مسيحي مميز. أما إن كان كذلك، فينبغي لنا أن ندرك كيف يتعلق بالمركز. وما المركز إلا إنتصار المسيح بالموت والقيامة والسيادة على التاريخ لأجل خلاص شعبه ومجد الله أبيه.

الصوم ممارسة دينية شاملة

لا أحد يعلم متى وكيف نشأ الصيام أولاً. فأنى توجهنا نجد عوائد وتقاليد تخص الصوم. ومعظم الناس على علم بالأصوام اليهودية، بما فيها صوم يوم الكفارة أو الغفران **[سفر اللآويين 16:29-31]**، وبصيام المسلمين شهر رمضان، وبالصوم القاسي لدى طبقة البراهمة العليا لدى الهندوس غير أن نطاق الصوم يشمل العالم كله. وإليك أمثلة:

أهل جزيرة آندامان يمسكون عن بعض الفاكهة والجذور التي تؤكل ،وغير ذلك ، في مواسم معينة، لأن الإله بولوغا يطلب ذلك، وإن نقص هذا العرف يرسل طوفاناً . وعند شعب الكويتا في غينيا الجديدة ، يجب ألا تأكل الحامل لحم البند قوط وقنفذ النمل وبعض السمك والعظايات، وأن يرعى الزوج الحرم نفسه. ولدى قوم اليوروبا، إذا مات الزوج تحبس الأرامل والبنات ويمتنعن عن الطعام كلياً أربعاً وعشرين ساعة على الأقل. وفي كولومبيا البريطانية ، تقضي بعض القبائل أربعة أيام في أعقاب وضيمة الجنازة صوماً ونحيباً ووضوءاً طقسياً. وقبل أن يذبح صياد النسور المحترف، بين قبائل الشيروكي ،الطائر المقدس عندهم، يجب أن يسهر ليلة مصلياً وصائماً. وفي قبائل هندية أميركية أخرى، غالباً ما يجتاز الشباب في تقشفات مطولة حتى يروا في رؤيا الروح الحارسة التي ستكون رفيقتهم طيلة عمرهم. وبين قبائل نيو ساوث ويلز،

تجرى إحتفالات عند هبوب الرياح الجافة يبقى الصبيان فيها يومين بلا طعام ن ويعطون فقط قليلاً من الماء.

الصيام سلاح سياسيّ

فضلاً عن الصيام الديني المنتشر في العالم كله، ثمة صيام سياسيّ أو إحتجاجي أيضاً .ومن أشهر الأمثلة على ذلك " مهاتما غاندي" ، وهو عاش من 1869حتى 1948 وقضى أكثر من ثلاثين سنة قائماً بحملة سلميّة في سبيل إستقلال الهند. وقد كان له من أسرته وثقافته الهندوسية ما غذّى لديه الصوم كسلاح سياسيّ. وكانت والدته هندوسية ورعة لم تكتف بواجبات الصيام المفروضة كل سنة، بل زادت بضعة أصوام إبان موسم الامطار . وهاك ما يستذكره غاندي:

كان من عادتها أن تتعهد بأصعب النذور ثم تفي بها دون أدنى هوادة.فقد دأبت أن تتناول وجبة واحدة في الأيام الماطرة. وإذ لم يقنعها ذلك ، صامت يوماً كل يومين ذات موسم ماطر. وفي موسم آخر نذرت ألا تأكل حتى ترى الشمس. فكنا نحن الأولاد في ذلك الموسم نقف محدقين إلى الفضاء لعلنا نزفُّ إلى والدتنا بشرى ظهور الشمس. وكل ٌّ يعلم أنه في عز موسم الأمطار لا تتنازل الشمس غالباً لتسفر عن وجهها. وأذكر أياماً فيها كنا نسارع ، حال ظهور الشمس فجأةً، لإعلامها بالأمر ، فتخرج لتراها بعينها، وإذا الشمس الشريد قد توارت ، حارمة إياها تناول الطعام. فكانت تقول مستبشرةً: " ما همّ! لم يشاء الإله أن آكل اليوم". ومن ثمّ تعود إلى القيام بواجباتها المعتادة.

فلا عجب إن جعل غاندي الصوم عنصراً في حياته السياسية. إذ بحسب شرائع " مانو" القديمة ، لم يكن الدائن يستطيع تحصيل دين له إلا بإخزاء المديون. فكان يقعد مثلاً أمام بيت المديون بلا طعام يوماً بعد الآخر حتى يخزى

المديون فيؤدي له الدين. وقد علق " أريك روجرز" قائلاً : " إن هذه الطريقة الهندية فعلت فعلها مع غاندي . فقد مسّ صومه شغاف قلوب أكثر من التي تأثرت بما فعله غير ذلك. وليس في الهند وحدها ، بل في كل مكان بالفعل ، راودت الناس صورة رجل ضئيل واهن يتقبل الجوع بحماس لأجل مبدأ من البادىء".

الصيام حمية صحية

ثم إن هنالك فضلاً عن الصومين الديني والسياسيّ، صوماً صحياً ، مرتبطاً أو غير مرتبط بالأمور الدينية. ومن شأن إطلاع وجيز على إحدى شبكات الإنترنت العالمية في موضوع " الصوم" أن يعرّفنا بمئات التنظيمات والمطبوعات المخصصة للصوم في سبيل الصحة. ومن المواقع البارزة مثلاً " مركز الصوم الدولي"، وصفحة التعريف في الإنترنت يظهر فيها شيء من هذا القبيل :

هل تشعر بإنعدام اللياقة البدنية وقلة التركيز وتُحسّ ضعفاً في الطاقة أو سوء صحة مزعجاً؟ هل تريد أن تحسن صحتك البدنية، فيما تضاعف صفاء الذهن والروحانية لديك ؟ إن الصوم العلمي مع تناول العصير يعينك على تحقيق هذه الأهداف سريعاً ودون قطع لعادات عملك وعيشك وتمرنك ودراستك ؟ وبالحقيقة إنك ستختبر طاقة أكثر مما لديك الآن. خلال صيامك وبعده!

من شأن هذه اللمحات على الصوم المنتشر في العالم كله، دينياً كان أو سياسياً أو صحياً، أن تحررنا من فكرة إعتبار الصوم- في ذاته ولذاته- أمراً مسيحياً صرفاً. وفي الواقع إنه يكون مضاداً للمسيحية، على ما حدث فعلاً في بدء المسيحية، إذ إن أكثر من أربعين رجلاً كمنوا للرسول بولس

وقد " ***حرّموا على أنفسهم الطعام والشراب، أو يغتالوه" [سفر أعمال الرسل 21:23]***. ولقد يُشوّه الصوم أيضاً ، حتى بين المسيحيين، ليس بتحويله إلى أسلوب شرعي طقسي فقط (على حد ما سنرى) بل إلى عبودية ضارّة كالإبتلاء بمرض فقد الشهية العصبيّ. فهذا كله يثير السؤال : لماذا ينبغي للمؤمن المسيحيّ أن يعنى كثيراً بممارسة طقسية تستعمل على نطاق واسع جداً لأغراض غير مسيحية ، دينية أو سياسية أو بدنية؟

هل للصوم مكان في ملكوت الله؟

لا يقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل إنّ شيوع الصيام في العهد القديم يثير سؤالاً حول سريان مفعول هذه الممارسة للعائشين بعد مجيء المسيح وبزوغ فجر ملكوت الله. فقد قال المسيح : ***"إذا كنت بإصبع الله أطرد الشياطين ، فقد وافاكم ملكوت الله" [الإنجيل حسب لوقا 11 :20]***. ولما سأله الفريسيون عن إقبال ملكوت الله، قال لهم : ***" ها إن ملكوت الله بينكم"[حسب لوقا 21:17]***. وعليه ، فثمة أساس عميق للقول إن مملكة الله التي طالما إنتظرت قد أقبلت فعلاً في حياة المسيح وخدمته.

ذلك هو " سر ملكوت الله" الذي كان في فكر المسيح لمّا قال لحواريه: " ***أنتم أعطيتم سر ملكوت الله ، وأما سائر الناس فكل شيء يلقى إليهم بالأمثال" [الإنجيل حسب مرقس 11:4]***. وقد كانت هذه حقيقة جديدة مذهلة في العالم . ذلك " الحق *الجديد، المعطى للبشرالآن في شخص يسوع المسيح وعمله،* ***هو أن الملكوت الذي سوف يأتي أخيراً بكل قوته الرؤيوية، على حد ما تنبأ به دانيال ، قد دخل العالم مقدماً بالحقيقة في صورة خفية كي يعمل سراً داخل الناس وبينهم".***

ومن هنا كان ملحاً السؤال : أللصوم مكان في جماعة المؤمنين،أهل الملكوت الجدد الذين يجمعهم الله من شعوب الأرض كلها؟ وعنه يجيب بعض بالنفي. ففي كتاب عنوانه ***" الصلاة والصوم :دراسة في حياة التعبد لدى الكنيسة الباكرة"***، يرى المؤلف " كايث ماين" أن بزوغ فجر الملكوت في خدمة المسيح يغير أهمية الصوم تغييراً جذرياً، حيث يقول : " ها نحن قد أشرنا إلى أن الفرح والشكران اللذين يميزان حياة الصلاة في العهد الجديد هما من علامات إقبال ملكوت الله. ***فلم يعد الصوم موافقاً للموقف المتّسم بالفرح والشكر والمميز لحياة المؤمنين المشتركة".***

هل أبطل بولس الصوم؟

تكتسب وجهة نظر " كايث ماين" مزيداً من المصداقية حين ننظر في باقي كتاب العهد الجديد فضلاً عن الأناجيل الأربعة. فالصوم لا يكاد يلمح . وها هو " ماين" يقول مؤكداً:

ما عاد الصوم مسألة جوهرية داخل الجماعة المسيحية. فإن بولس الرسول ، على خطى المسيح، حول عمداً إنتباه المؤمنين عن الصوم، وأي شكل من أشكال التقشف المتعلق بالطعلم ، إلى الصلاة والخدمة والتعب في سبيل الملكوت. فالعمل التبشيري قام بدور القوة التصحيحية الموازية ليس فقط تجاه الحلم بالسعادة الأخروية، بل أيضاً تجاه عادة الصيام البالية والمبالغ فيها. إنّ إحساساً بالحياة الأبدية ما يزال يهبط علينا. فالمؤمن يتقدم في مسيرته على نغم آت من عالم آخر. وما أصعب أن نحاول التوفيق بين المسيح المبعوث حياً وأشكال الصوم!

فهل من شأن ندرة الصوم في الرساءل التي يتضمنها كتاب العهد الجديد ، وحلول الملكوت البهيج ، وخدمة روح

المسيح المجيدة، أن تُبطل موافقة الصوم لجماعة المؤمنين بالمسيح؟ إن إلحاحيّة هذا السؤال تجعل كلمات المسيح عن الصوم ، في **[الإنجيل حسب متى 9:14-17]** ، بالغة الأهمية، بل الأهم في الكتاب المقدس برأيي.

وتتزايد الإلحاحية عندما نأخذ بالحسبان أنّ الطعام – في رسائل بولس– يشاد به كأمر صالح ، وأنّ التقشف يعدّ سلاحاً ضعيفاً في مواجهة الإنغماس الجسدي، وأنّ ممارسات الطعام والشراب تحسب غير ذات أهمية ، إلاّ إذا عبّرت عن المحبة والقناعة في المسيح.

جودة الطعام

في ***[الرسالة الأولى إلى طيموتلوس 4:1-5]*** ينذرالرسول بولس أنه في الأزمنة الأخيرة سوف يرتد بعضٌ " عن الإيمان... ينهون عن... أطعمة". ويردّ على هذا الموقف من الطعام بقوله عن الأطعمة: " خلقها الله ليتناولها ويشكر عليها الذين آمنوا فعرفوا الحق. فكل ما خلق الله حسن. فما من طعام مرذول إذا تناوله الإنسان بشكر ، لأن كلام الله والصلاة يقدسانه". وعليه ، فإنّ بولس حريص على التحذير من تقشف يعظم الصوم على نحو يفضي بنا لأن نهمل أو نشوه حقيقة جود الله بعطية الطعام. حتى في أثناء الأوقات المقدسة التي فيها يتشارك المؤمنون في تناول العشاء الرباني ، لم يشجع بولس على الأكل، بل قال لمؤمني مدينة قورنتس : ***"فإذا كان أحدكم جائعاً ، فليأكل في بيته، لئلا يكون إجتماعكم للحكم عليكم" [رسالة قورنتس الأولى 11:34].***

ضعف التقشّف

لمّا نظر الرسول بولس في الإجراءات القاسية بحق الجسم البشريّ، حذّر مؤمني قولسي بأن تدربيات من هذا النوع

محدودة القيمة، وأنها قد تثير الكبؤياء الجسدية بمقدار ما تقمع الجسد. وهو يخشى أن يكون القولسيون قد إنحرفوا عن الإيمان العميق والبسيط بالمسيح إلى ناحية الطقوس الخارجية سبيلاً إلى التقديس: *" فما بالكم ... تخضعون لمثل هذه النواهي: لا تأخذ ، لا تذق، لا تمس! وتلك الأشياء كلها تؤول بالاستعمال إلى الزوال؟ إنها وصايا ومذاهب بشرية"[رسالة قولسي 2:20-22].*

فما هو وجه الخطاء في " المذاهب البشرية" التي تنهانا عن أن " تذوق"؟ يجيب بولس *: " لها ظاهر الحكمة لما فيها من نفل وتخشع وتقشف ولكن لا قيمة لها لأنّها غير صالحة إلّا لإرضاء الهوى البشري (وبترجمة بديلة : غير صالحة في قمع الأهواء الجسدية)" [رسالة قولسي 2:32].* وههنا تحذير شديد من أي رأي تبسيطي بشأن الصوم يحسب أنه ينفع الإنسان بأي خير روحي على نحـــو تلقائيّ. فليس الأمر بتلك البساطة . ذلك أن التقشف، أي " إحتقار الجسد وأخذه بالشدة" قد يغذي جسد المرء فقط بمزيد من الإعتداد بالذات. وقد رأى " سي أس لويس" هذه الحقيقة بوضوح، فجهر بهذا التحذير:

إن الصوم يعزز الإرادة في مواجهة الشهية، حيث الجزاء هو السيطرة على الذات، أما الخطر فالكبرياء. ذلك أن الجوع القسري يخضع الشهية والإرادة معاً للمشيئة الإلهية، ميسّراً فرصة للخضوع ومعرضاً إياناً لخطر العصيان. غير أن تأثير المعاناة المعوض يكمن أساساً في ميلها إلى تسكين الإرادة العاصية. فالممارسات التقشفية التي بحد ذاتها تقوي الإرادة تكون نافعة ما دامت تمكن الإرادة من ترتيب بيتها (أي السيطرة على الأهواء)، إعداداً لتسليم الإنسان نفسه لله كليـــاً.

وهكذا تكون تلك الممارسات نافعة كوسيلة، ولكنها كغاية تكون بغيضة، لأنها إذ تستبدل بالشهية الإرادة وتقف هناك فإنما تستبدل بالنفس الحيوانية النفس الشيطانية . ولذلك قــيل بحق : " الله وحده يُميت".

فليست الإماتة الحقيقية لطبيعتنا الجسدية مسألة بسيطة من الحرمان والتدريب، بل هي شأن داخلي روحي يتمثل بأن نجد في المسيح شبعاً أكثر مما نجد في الطعام.

الأكل وعدمه ليسا جوهريّين

يعتبر الرسول بولس أن الأكل أو عدم الأكل مسألة غير جوهرية في ذاتها ، لكنها تكتسب أهمية إذ تعبّر عن المحبة والإرتواء الأسمى بالله. ولذا يقول بولس لجماعة المؤمنين بالمسيح في مدينة رومة: "***فعلى الذي يأكل ألاّ يزدري من لا يأكل ، وعلى الذي لا يأكل ألاّ يدين من يأكل، فإن الله تقبله. من أنت لتدين خادم غيرك ؟ أثبت أم سقط ، فهذا أمر يعود إلى سيّده... فليكن كلّ منهم على يقين من رأيه... الذي يأكل من كل شيء فللرب يأكل ، فإنه يشكر الله ، والذي لا يأكل من كل شيء فللرب لا يأكل، وإنه يشكر الله" [رسالة رومة 14:3-6].***

هذا الكلام الوارد في الفصل الرابع عشر من رسالة بولس إلى مؤمني روما لا يتناول أصلاً موضوع الصوم ، بل يتناول وضعاً شاع في الجماعة المسيحية من جهة أكل بعض الأطعمة التي كان بعضهم يعتبرونها محرمةً بسبب إرتباطاتها. غير أن هذا الواقع لا يغير المبدأ. فالأكل وعدمه ، أو الصوم وعدمه ، يمكن أن يفعلا كلاهما " للرب " حيث المؤمن " يشكر الله" على كليهما. وعليه " **فليكن كل... على يقين من رأيه.** وكما يقول بولس في **[الرسالة إلى مؤمني قولسي 16:2]**: " **فلا يحكمنّ عليكم أحد في المأكول والمشروب**". وذلك لأنه "***ليس لطعام أن يقربنا إلى الله: فإن لم تأكل منه لا تنقص ، وإن أكلنا منه لا نزداد" [رسالة***

قورنتس الأولى 8:8]. ولأنه " كل شيء يحلّ لي ، ولكني لن أدع شيئاً يتسلط علي " ***[الرسالة نفسها 12:6].***

أهمّ كلام عن الصوم في الكتاب المقدّس

إذاً ، يسترعي إهتمامنا السؤال : هل الصوم أمر مسيحي؟ وإن كان نعم ، فكيف ؟ ذلك هو ما يتناوله كلام المسيح ، على النحو الاوفى، [في الإنجيل حسب متى 9:14-17]. ومن هنا كان أهم كلام عن الصوم في الكتاب المقدس كله ، وقد آن أوان النظر فيه.

" فدنا إليه تلاميذ يوحنا وقالوا له : لماذا نصوم نحن والفريسيون ، و تلاميذك (حواريوك) لا يصومون ؟ فقال لهم يسوع (عيسى) : أيستطيع أهل العرس أن يحزنوا ما دام العريس بينهم ؟ ولكن ستأتي أيام فيها يرفع العريس من بينهم ، فحينئذ يصومون . ما من أحد يجعل في ثوب عتيق قطعة من نسيج خام، لأنها تأخذ من الثوب على مقدارها، فيصير الخرق أسوأ. ولا تجعل الخمرة الجديدة في زقاق عتيقة، لئلا تنشقّ الزقاق فتراق الخمر وتتلف الزقاق، بل تجعل الخمرة الجديدة في زقاق عتيقة، فتسلم جميعاً".

لقد جاء مُريدو يوحنا المغطس (يحيى بن زكريا) إلى المسيح وسألوه لماذا لا يصوم حواريوه. وكان جلياً أن حواريّي المسيح لم يكونوا يصومون وهو معهم. فإنه بالحقيقة ترك لهم مثالا أكسبه شهرة كونه يتصف بأي شيء ما عدا أنه متقشف زاهد. ولما أثنى المسيح على خدمة المغطس، قال للجمهور : " ***جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً، فقلتم: لقد جنّ. وجاء إبن الإنسان يأكل ويشرب، فقلتم : هوذا رجل أكول شريب للخمر صديق للعشارين (جباة الضرائب) والخاطئين"! [الإنجيل حسب لوقا 7:33-35].*** بعبارة أخرى ، كان المغطس يمارس الصوم

كثيراً، أما المسيح فمارسه قليلاً، إذا كان مارسه فعلاً (ما عدا صومه مدة أربعين يوماً في مستهل خدمته).

لماذا لم يصم حواريو المسيح؟

ها قد أقبل أتباع يوحنا المغطس إلى المسيح وطرحوا سؤالاً ملحاً: " ***لماذا نصوم نحن والفريسيون، وحواريوك لا يصومون؟***" فأجابهم المسيح مستخدماً إستعارة ، فقال :" ***أيستطيع أهل العرس أن يحزنوا ما دام العريس بينهم؟***" وبهذه الكلمات يعلمنا المسيح أمرين ، أحدهما أن الصوم كان ، إلى أبعد الحدود، يقترن بالنوح يومذاك. فقد كان تعبيراً عن إنسحاق القلب وفرط الأسى، عادة من أجل خطيئة أو خطر ما أو بركة يتشوق المرء إليها من أعماق قلبه. لقد كان أمراً يفعله الانسان حينما لا تجري الأمور كما تشتهي نفسه.

ولكن حال حواريي المسيح لم تكن على هذا المنوال. وهذا ثاني أمر يعلمنا إياه: ها قد جاء المسيح المنتظر ، ومجيئه أشبه بقدوم عريس إلى وليمة عرس. وهذا ، على قوله، أجود من أن يخالطه صوم . وبهذا صرّح المسيح عن نفسه تصريحاً خطيراً . ففي العهد القديم إستعاد الله لنفسه صورة العريس بالنسبة إلى أمته قديماً : ***فكما أن شاباً يتزوج بكراً كذلك بنوك يتزوجونك، وكسور العريس بالعروس يسر بك إلهك" [سفر أشعيا: 5:62]***. ويقول الرب مخاطباً الأمة : " ***فمررت بك ورأيتك ، فإذا زمانك زمان الحب، فبسطت ذيل ردائي عليك ، وسترت عورتك ، وأقسمت ودخلت معك في عهد – يقول السيد الرب – فصرت لي" [سفر حزقيال16 :8].***

*وأيضاً : "**أخطبك لي للأبد ، أخطبك باليد والحق والمراحم ، وأخطبك لي بالأمانة، فتعرفين الرب**" [**سفر هوشع : 2:21-22**].*

اما الآن ، فما هو المسيح إبن الله ، الرئيس والحاكم الذي طالما إنتظره بنو إسرائيل، قد جاء ، وهو يصرح بأنه العريس، أي عريس شعبه الذي يكونون خاصته بالحق .وكان يحيى بن زكريا قد عرف ذلك . فإذ سأله مريدة عن هوية المسيح، أجاب: " ***أنتم بأنفسكم تشهدون لي بأني قلت إني لست المسيح، بل مرسل قدامه . من كان له العروس فهو العريس وأما صديق العريس الذي يقف يستمع إليه ، فإنه يفرح أشد الفرح لصوت العريس. فهوذا فرحي قد تمّ*** [***الإنجيل حسب يوحنا 3:28-29***].

وهذا التصريح المقنع جزئياً هو من نوع ما أعلنه المسيح بشأن هويته الإلهية. فإن كان لك أذنان سامعتان ، تستطيع سماعه: إن الله– من خطب الأمة القديمة لنفسه في محبة عهده–قد جاء!

ذلك أمر مذهل ومجيد وغير متوقع جداً، حتى إن المرء ليعجز عن الصوم في هذه الحال. وكما أفاد المسيح، هو أمر يبعث على السعادة القصوى والبهجة الفائقة. أما الصوم فهو لأوقات اللهفة والمعاناة والإشتياق. وها هو عريس الأمة قد حضر. فبعد ألف سنة من الحلم والتوق والرجاء والإنتظار، ها هو هنا! وعدم الصيام في جماعة الحواريين كان شهادة لتجلي الله في وسطهم.

متى يصوم حواريو المسيح؟

إلا أن المسيح عاد فقال : " ***ولكن ستأتي أيام فيها يرفع العريس من بينهم ، فحينئذ يصومون***". وهذه هي العبارة المفتاح : " ***حينئذ يصومون***" فإلى أي زمن يشير المسيح؟ ارتأى بعضهم أنه كان يشير فقط إلى الأيام القليلة جداً بين موته وإنبعاثه. بكلام

آخر، سوف يرفع العريس من بينهم من يوم الجمعة العظيم (يوم موته) إلى فجر الأحد (يوم إنبعاثه حياً) . ففي أثناء هذه الأيام الثلاثة يصوم الحواريون. لكنه يعود إلى الحضور بينهم، فلا يصومون بعد. ولهذا الرأي سند في الإنجيل حسب يوحنا، حيث ينبىء المسيح بموته وإنبعاثه قائلاً: ***فأنتم أيضاً تحزنون الآن، ولكني سأعود فأراكم ، فتفرح قلوبكم ، وما من أحد يسلبكم هذا الفرح.في ذلك اليوم لا تسألونني عن شيء. الحق الحق أقول لكم: إن سألتم الآب شيئاً بإسمي أعطاكم إياه"[يوحنا 22:16 و23].*** مفاد ذلك أنه بعد إنبعاث المسيح حباً ، خلال عصر الكنيسة (جماعة المؤمنين به) سيكون لدى أتباعه الحقيقيين فرح لا ينزع. أيعني هذا أنّ الصوم مستبعد؟ وهل أنبأ المسيح بأن حواريه سيصومون فقط بين يومي الجمعة وأحد الإنبعاث؟

إن ذلك أمر ضئيل الإحتمال لبضعة أسباب، أحدهما أن جماعة المسيح الباكرة صامت في مناسبات معينة ***[سفر أعمال الرسل 13:1-3-،14:23رسالة قورنتس الثانية 5:6،27:11].*** وعليه ، فإن المؤمنين الأوائل لم يفهموا من كلام المسيح أنّه يعني أن الصوم سينحى جانباً بعد قيامته من الموت حياً.

فماذا عنى المسيح إذاً لمّا قال: ***"ستأتي أيام يرفع العريس من بينهم، فحينئذ يصومون"*** ؟ لقد عنى أنه بعد موته وإنبعاثه يرجع إلى الله أبيه في السماء ، وفي تلك الأيام يصوم أتباعه. وقد كان " روبرت غندري" على حق إذ قال : " إن عصر الكنيسة بكامله يكون " تلك الأيام" التي ستأتي، وفيها يرفع العريس من بينهم". وفي رأيي أن السبب الأوجه لهذا الرأي هو أنّ الموضوع الآخر الوحيد في الإنجيل حسب متى حيث يستخدم

المسيح هذه الإستعارة " العريس" هو عندما يشير إلى رجوعه في آخر عصر الكنيسة. ففي ***[إنجيل متى 25:1-13]*** يُصور المسيح رجوعه بصورة قدوم العريس: ***"عند نصف الليل علا الصياح: هوذا العريس! فأخرجن للقائه"[الآية 6]***. وعليه ، فإن المسيح يتحدث عن نفسه بصفته عريساً يغيب لا ثلاثة أيام فقط بين يومي الجمعة والأحد، بل الزمان كله حتى رجوعه. ذلك هو الزمان الذي كان في فكره لمّا قال : " **فحينئذ يصومون**"، أي الزمان الذي ينتهي برجوعه شخصياً.

من هنا كان " آرثروالیس" على حق إذ صدّر الفصل السادس من كتابه " الصوم المختار عند الله" بالعنوان " الزمان هو الآن". فالآن هو الايام التي قال المسيح إنّ سيصومون فيها. وفحوى كلامه: الآن، وأنا هنا بينكم بصفتي العريس، لا يمكنكم أن تصوموا، ولكني لن ابقى بينكم بجسدي. فسيأتي يوم فيه أعود إلى الله، إلى أبي في السماء. وفي الزمان التالي تصومون. إذاً ذلك الزمان هو الآن.

صحيح أن المسيح أرسل الروح الإلهي القدوس للإقامة هنا في أثناء غيابه بالجسد، وأن هذا الروح هو أيضاً روحه هو***[سفر الأعمال 7:16, قورنتس الثانية 17:3]*** . وعليه ، فإن المسيح ما زال بيننا ، بالمعنى الأعمق والأعجب. وقد قال، متحدثاً عن " المؤيد" ، أي الروح الإلهي": ***" لن أدعكم يتامى ، فإني أرجع إليكم"[الإنجيل حسب يوحنا. 18:14]*** . إلا أن هنالك درجة عظمى من المودة الوثيقة سوف نتمتع بها مع المسيح في السماء حين ينتهي هذا الدهر. وهكذا فبمعنى آخر ، **ليس** المسيح بيننا الآن، بل غائب عنّا. لهذا قال الرسول بولس في***[رسالته الثانية إلى مؤمني قورنتس 8:5]: " فنحن إذاً واثقون ، ونرى من الأفضل أن نهجر هذا الجسد لنقيم في جوار الرب***" وفي رسالته إلى مؤمني فيلبي: ***"لي رغبة في الرحيل لأكون مع المسيح، وهذا هو الأفضل جداً***

جداً" [فيلبي 23:1].وبكلمة أخرى ، في هذا العصر يُضمر كل مؤمن بالمسيح حزناً ووجعاً لأن المسيح ليس هنا كما نريد لو يكون بملء الحضور والمودة والقوة والمجد. فنحن نجوع ونعطش إلى أكثر مما لدينا بكثير جداً. ولهذا السبب نصوم!

هل الصوم هو الزقُّ البالي الذي ينبغي أن يرمى؟

غير أنّ المسيح قال أيضاً في ***"[الإنجيل متّى 9:16-17]*** قولاً مهماً للغاية . فهو وضع استعارتين جنباً إلى جنب: واحدة عن الثياب المرقوعة ، والثانية عن الزقاق البالية: " ***ما من أحد يجعل في ثوب عتيق قطعة من نسيج خام، لأنها تأخذ من الثوب على مقدارها، فيصير الخرق أسوأ. ولا تجعل الخمرة الجديدة في زقاق عتيقة، لئلاّ تنشقّ الزقاق فتُراق الخمر وتتلف الزقاق، بل تجعل الخمرة الجديدة في زقاق جديدة، فتسلم جميعاً.***

فإن قطعة النسيج الجديد الخام والخمرة الجديدة تمثلان الحقيقة الجديدة التي جاءت بمجيء المسيح: أن ملكوت الله ههنا. لقد جاء العريس، ها هو المسيح بيننا ! وما ذلك بوقتي. فلم يكن هنا ثم مضى. إذ إن ملكوت الله لم يأت على يد المسيح ثم تلاشى من العالم. فالمسيح مات من أجل خطايانا مرة واحدة حاسمة ، ثم إنبعث من الموت حياً مرة وإلى الأبد، وأرسل الروح الإلهي إلى هذا العالم حضوراً للمسيح حقيقياً بيننا.وملكوت الله هو سلطان المسيح المالك حالياً في العالم حيث يخضع القلوب للملك ويكون جماعة من المؤمنين به الذين يخدمونه في الإيمان والطّهر. فإن روح العريس يجمع ويطهر عروساً للمسيح. هذه هي البشارة بالمسيح و " سر الملكوت" الذي سبقت الإشارة إليه. هذه هي " الخمرة الجديدة". وقد قال المسيح إن الزقاق البالية لا تقوى على إحتواء الخمرة الجديدة.

يجب أن يتغير شيء ما. وما هو الزقّ البالي؟ لا يمكننا، في سياق الكلام، أن نتحامى الإرتباط بالصوم. فليس من إنقطاع في حبل التفكير لدى المسيح. ولنتتبع ذلك بين الآية 15 و الآية16: "ستأتي أيام فيها يرفع العريس من بينهم، فحينئذ يصومون: ما من أحد في ثوب عتيق قطعة من نسيج خام..." فليس من فجوة هنا. وهذا يصحّ على الأناجيل الثلاثة التي دوّن فيها هذا الخبر. فالثوب العتيق المهلهل، والزقاق البالية المنشقّة، أمران يتعلقان مباشرة بالصوم على أنه عادة يهودية قديمة.

ذلك أن الصوم ورث من العهد القديم ، وكان يستخدم كجزء من النظام اليهودي للتواصل إلى الله. وفي الفصل الثامن عشر من ***[الإنجيل حسب لوقا 11و12]*** نجد لمحة على هذه الممارسة العتيقة حيث يقول الفريسيّ" ***اللهّم، شكراً لك لأني لست كسائر الناس: السراقين الظالمين الفاسقين، ولا مثل هذا العشار(جابي الضرائب الجشع). إني أصوم مرتين في الأسبوع ، وأودي عشر كل ما أقتني***". فهذا الصوم التقليدي هو الزق البالي، ويقول المسيح إنه لا يقوى على إحتواء خمرة **الملكوت** الجديدة التي هو آتٍ بها.

إنما يطرح هذا أمامنا إشكالاً ففي**[الإنجيل متى 15:9]** يقول المسيح إننا سنصوم حين يرفع العريس من بيننا. وبعد آيتين يقول إنّ الصوم العتيق لا يقوى على إحتواء خمرة الملكوت الجديدة. بتعبير آخر، أنّ أتباع المسيح **سوف يصومون** ، ولكن الصوم الذي عرفوه لن يكون مناسباً للحقيقة الجديدة المتمثلة بحضور المسيح وبزوغ فجر ملكوت الله.

الخمرة الجديدة تستدعي صوماً جديداً

فلماذا نقول إذاً ؟ أينبغي لنا نحن المؤمنين بالمسيح أن نصوم أم ألاّ نصوم؟ وهل الصوم أمر مسيحي أو غير مسيحي؟ أعتقد أن الجواب هو أن خمرة حضور المسيح الجديدة تستدعي **لا عدم الصوم** بل **صوماً جديداً**. ومنذ عدّة سنين كتبتُ على هامش كتاب العهد الجديد اليوناني الذي أستعمله، إزاء**[إنجيل متى 17:9]** " الصوم الجديد مؤسس على سرّ كون العريس قد جاء، **وليس سيأتي فحسب**.فخمرة حضوره الجديدة تستلزم صوماً جديداً.

بتعبير آخر ، أن الحنين والشوق والوجد في الصوم **القديم** لم تكن مؤسسة على الحقيقة المجيدة المتمثلة بكون المسيح قد جاء. فالنوح على الخطيئة، والحنين إلى النجاة من الغضب، والشوق إلى الله، تلك الأمور التي ألهمت الصوم القديم، لم تكن مؤسسة على عمل الفادي العظيم الكامل ، ولا على الإعلان المجيد لحقه ونعمته في التاريخ. فقد كان ذلك ما يزال طيّ المستقبل. أما الآن فقد جاء العريس، وبمجيئه وجه الضربة القاضية إلى الشرّ والشيطان والموت.

فما يميزالمسيحية عن اليهودية هو أنّ الملكوت الذي طالما أنتظره الناس وتشوقوا إليه هو الآن حاضر كما أنه مستقبل أيضاً. " **قد وافاكم ملكوت الله" [الإنجيل حسب لوقا 20:1]**. " **ها إن ملكوت الله بينكم"[حسب لوقا 21:17]**. صحيح أن ملكوت الله لمّا يكتمل بملء أبعاده. فما زال منتظراً أن يأتي في ملء وقوة مجيدين. وفي العشاء الأخير قال المسيح: " ***لن أشرب بعد اليوم من عصير الكرمة حتى يأتي ملكوت الله" [حسب لوقا 18:22]***. وهكدا يتضح جلياً أن ملكوت الله ما زال حقيقة مستقبلية مزمعة أن تأتي ، مع أن المسيح قد قال : " **قد وافاكم ملكوت الله"**،وأيضاً: **ها**

إن ملكوت الله بينكم". وقد أحسن " جورج لاذ " حين عنون كتابه " حضور المستقبل".

هذا هو المركز الذي سبقت الإشارة إليه والذي ينبغي للصوم أن يرتبط به كي يكون أمراً مسيحياً حقاً. فالمركز هو الإنتصار الحاسم الذي أحرزه المسيح ، إبن الله ، بدخوله التاريخ وموته وإنبعاثه حياً من بين الأموات وسيادته على التاريخ لأجل نجاة شعبه المؤمنين به ومجد الله أبيه. والمؤمنون بالمسيح قومٌ يأسرهم رجاء عظيم بأنهم ذات يوم سيرون ملء مجد الله في المسيح وسيبتهجون جداً بذلك. ولكن ما يتصف بأنه المسيح على نحو حاسم في هذا الأمر هو أن رجاءنا المستقبلي متأصل في الإنتصار التاريخي الماضي الذي أحرزه الإله عينه على الشر والخطيئة والموت والجحيم بموت المسيح وبعثه حياً.إن لدى شعب المسيح، المؤمنين به حقاً،رجاء نابضاً بالحياة من جهة تتويج التاريخ بالإعلان الكوني لمجد الله في المسيح، رجاء متجزراً بكل ثبات في إتخاذ المسيح الأزلي جسماً بشرياً في الماضي، وتقديمه ذاته أضحية عن الشر والمعاصي، ثم إنبعاثه وإرتفاعه وجلوسه إلى يمين الله في مقام الكرامة والقوة **[الرسالة إلى العبرانيين12:10]**. هذه هي الخمرة الجديدة!

إن عمل الإنقاذ والنجاة، العظيم المركزي الحاسم بالنسبة إلينا نحن اليوم ، أمر مفعول في الماضي ، وليس مستقبلياً. وعلى أساس ذلك العمل الماضي الذي أنجزه العريس، لا يمكن لشيء أن يظل على ما هو عليه بعد.فالحمل الأضحية قد نحر ، ودمه قد سفك ، وعقاب خطايانا ومعاصينا قد تمّ والموت قد إنهزم ، والروح الإلهي قد أرسل إلى الأرض. إنّ الخمرة الجديدة ، ونمط الصوم القديم بات غير ذي موضوع.

جدّة الصوم الجديد

ما هو الجديد إذاً في الصوم **المسيحي ؟ الجديد** في الصوم المسيحيّ أنه يستقر على كل هذا العمل الذي أنجزه **العريس** ، بل إنه ينطلق من هذا العمل ويؤمن به إيماناً راسخاً ويتمتع به تمتعاً ناماً. فالوجد والشوق والحنين إلى المسيح وقوته، تلك التي تحدونا على الصوم ، ليست التعبير عن الخواء والفراغ. أما عن الحاجة، وعن الألم ، وعن الجوع إلى الله ، فنعم ونعم . إنما ليس عن الخواء والفراغ. فإن بواكير ما نتشوق إليه قد نضجت وطاب جنيها، والدفعة الأولى مما نحن إليه قد دفعت فعلاً. فالإمتلاء والإرتواء اللذان نتشوق إليهما ونصوم لأجلهما قد ظهرا في التاريخ بمجيء المسيح ، ونحن قد عاينّا مجده الباهر ، ولا يقتصر ذلك على ما سيكون في المستقبل. فنحن لا نصوم بدافع من فراغ القلب. ذلك أن المسيح الآن فينا " **وهو رجاء المجد**"**[رسالة قولسي 27:1]**. ونحن الآن قد ختمنا "**بالروح الموعود، الروح القدس ، وهو عربون ميراثنا**" **[رسالة أفسس 1:13و14]**؛ راجع أيضاً **[رسالة قورنتس الثانية 22:1؛5:5]**.

لقد ذُقنا بلغة من قوات الدهر الآتي ، صومنا لأننا جياع إلى شيء لم نختبره ، بل لأن الخمرة الجديدة المتمثلة بحضور المسيح حقيقة واقعة فعلاً ومروية حقاً. إنما علينا أن نحصل على كل ما يمكننا أن نحصل عليه. فوجه الجدة في صيامنا هو أن حدته تأتي لا من كوننا لم نذق قط خمرة حضور المسيح، بل من كوننا قد تذوقناها على نحو عجيب جداً بروحه، ولا يسعنا الآن أن نشبع ونقنع قبل إقبال إكتمال الفرح. فإن الصوم الجديد، أي الصوم **المسيحي**، هو جوع إلى " **كل ما في الله من كمال**" **[أفسس 19:3]** ، يحركه عرف محبة المسيح الفواح وطعم صلاح الله كما ذقناه في البشارة بالمسيح ***[رسالة بطرس الأولى 2:2و3]***.

صيام تعييد لا تعقييد

إذا شئنا التعبير بطريقة أخرى ، نقول إنّ الصوم الجديد هو صوم الإيمان. وأساس الإيمان الراسخ عمل المسيح الكامل. على هذا الاساس يصير الإيمان "*قوام الأمور التي ترجى*"*[الرسالة إلى العبرانيين.1:11]*. فالإيمان وليمة عيد روحية غذاؤها المسيح ، بهدف الشبع به إلى حدّ يجعل جميع الجواذب الأخرى باطلة . ويبدأ هذا التعييد بإقتبال النعمة الماضية المتعلقة بموت المسيح وإنبعاثه، ثم يطوق كل ما يعدنا الله بأن يكون لنا في المسيح .وما دمنا محدودين وساقطين، فإن الإيمان المسيحي لا بد أن يعني معاً الإبتهاج بصيرورة المسيح إنساناً(في الماضي) والإشتياق إلى بلوغ غاية الفداء(في المستقبل). وهكذا ينطوي الإيمان على شبع وجوع معاً. ومن شأن الجوع أن يطلع مباشرة من مقدار الشبع الذي خبرناه في المسيح.

للصوم مكانة مؤكدة في ملكوت الله

هذا الفهم للصوم المسيحي يرد على جميع التساؤلات التي سبق إن أثارها" كايت ماين" . فقد قال إنّ " حياة الصلاة في العهد الجديد علامة على بزوغ فجر ملكوت الله. فما عاد الصوم موافقاً لموقف الفرح والشكران الذي يميز حياة التمتع بعشرة الله". ونحن نرى الآن أن هذا القول ينطوي على مغالاة. بلى، لقد بزغ فجر الملكوت، ولنا منذ الآن إرتواء عميق بمجد آخر الأيام المتجلي في المسيح والذي نختبره بروحه الطاهر. ولكن ليس هذا الإرتواء كاملاً وغير متقطع على نحو يجعلنا كلياً الوجد والشوق والتوق. حتى إن " ماين" نفسه ينكفىء ويقر بهذا حيث يقول:

صحيح أن المعاناة والماساة حاضرتان كواقع سافر. فالملكوت لمّا يتحقق إلى التمام. بديهيّ أن **العريس** حاضر وأن

ليس الآن أوان حزن ونوح. ولكن هذا ليس الواقع كاملاً، إذ إننا ما نزال في الجسد الواهي وضعفاء الإيمان. فداخل " دوامة الصراع المرّ" هذه ، تلوح للمؤمن فرصة للصوم يتصورها في إطار حياته التعبدية. إلا أنها تكون عنصراً واحداً فقط من عناصر كثيرة تأتلف لتشكل حياة الإنسان المؤمن بالمسيح والمتحد به.

هذا صواب! فإن حضور العريس بروحه الإلهيّ، في إنتصار الغفران وحلاوة العشرة معه، لا يجعل الصوم أمراً يجب إهماله، بل يجعله أمراً جديداً بالفعل.

الصوم تعبيراً عن الشبع غير القانع

لما كان الصوم المسيحي فعلاً من أفعال الإيمان ، فهو تعبير عن الشبع غير القانع بكلية كفاية المسيح. إنه تعبير عن الإشتياق المطمئن الوادع إلى كل ملء المسيح المشبع إلى التمام. فالصوم المسيحيّ لا يرتجف رجاة أن يكسب من المسيح شيئاً، بل إنه ينظر مبتعداً عن ذاته إلى دفع الثمن كاملاً في صليب المسيح لقاء كل بركة يعطاها. فهو ليس تدريباً تفرضه النفس سعياً منها لإستحقاق المزيد من عند الله ، بل عطش وجوع إلى الله يوقظهما مذاق الله الطّيب الممنوح بسخاء ودون مقابل في البشارة بالمسيح.

الصوم المسيحي يؤكد جودة الطعام

لهذا السبب ليست التحذيرات التي أشرنا إليها سابقاً في رسائل بولس إعتراضات على الصوم المسيحيّ، بل على تشويهات فقط. فإن الأطعمة " ***خلقها الله ليتناولها ويشكر عليها الذين آمنوا فعرفوا الحقّ. فكلّ ما خلق الله حسن، فما من طعام مرذول إذا تناوله الإنسان بشكر، لأن كلام الله والصلاة بقداسته" [رسالة***

طيموتاوس الأولى 4:3-5]. وإمتداح بولس لجودة الطعام ، وللحرية التي لدى المؤمنين بالمسيح في التمتع بالطعام، ليس مناقضاً للصوم المسيحيّ. فالمسيحي الحقيقي يقول " نعم" لكل عطية صالحة وكاملة تنزل من عند الله أبي الأنوار[رسالة يعقوب 1:17].

ليس الصوم قولة "لا" لجودة الطعام أو لسخاء الله في توفيره لنا ، بل هو بالأحرى طريقة للقول ، من حين إلى حين، إن حيازتنا المزيد من المعطي يفوق حيازة العطية نفسها . فإذا قرر زوجان أن يتخليا عن العلائق الزوجية حيناً كي يتفرغا للتعامل جدياً مع مشكلة باعدت بينهما، فذلك لا يعني شجباً للوصول الزوجي بل تعظيماً للمحبة. إنّ الطعام جيد، ولكن الله أجود. ونحن في العادة نلاقي الله في عطاياه الصالحة، ونحول كل تمتع إلى عبادة مقترنة بالشكر. لكننا بين الفينة والفينة نحتاج لفحص أنفسنا كي نرى هل بدأنا نحب عطايا اكله بدلاً منه هو.

الصوم المسيحي ليس " ديانة قوة الإرادة"

إن الخطر العظيم الذي رآه بولس في الصوم المفروض ذاتياً والمعظم للذات لا يبطل الصوم المسيحي الجديد. فالرسول بولس ينبه إلى وجود" نَفل (عبادة صنع الذات) وتخشع (تذلل ذاتي) وتقشف(إحتقار للجسد)" ولكنّ هذه عديمة النفع في قمع أهواء الجسد[***رسالة قولسي 2:23].*** بعبارة وجيزة ، هذا الصوم هو " ديانة قوة الإرادة" تلك التي غالباً ما تثير الكبرياء الروحية في الجسد حتى إبان السيطرة على شهياته الطبيعية.

ولكن هذا نقيض الصوم المسيحي تماماً. فالصوم المسيحي ينتقل من فقر الروح المنكسر إلى حلاوة الشبع برحمة المسيح السماح، إلى أشواق وتمتعات متزايدة أبداً بنعمة الله التي لا

تستنفد أبداً. والصوم المسيحيّ لا يغذي الكبرياء ، لأنه يستريح بقناعة الأطفال على نوال البر الذي أنجزه الله في المسيح إنجازاً ثابتاً، ولو كان يتوق في الوقت عينه إلى كل ملء الله الممكن في هذه الحياة. فالصوم المسيحي نتيجة لما قد فعله المسيح **لأجلنا وفينا** . وليس هو من مآثرنا، بل من ثمار روح الله والمسيح. فلنذكر أن آخر ما يذكر من ثمر الروح هو " العفاف" أو ضبط النفس***[رسالة غلاطية 23:5].***

كل الأكل حلال ولكن ليس الكل نافعاً

ما عناه هذا كله لبولس الرسول من جهة الممارسة أنه كان حراً في أن يصوم أو لا يصوم. " ***كل شيء يحل لي ، ولكن ليس كل شيء ينفع؛ كل شيء يحل لي ، ولكني لن أدع شيئاً يتسلّط علي[رسالة قورنتس الأولىّ 12:6].*** وسبب هذا أن فعل الصوم ليس هو الأمر الجوهري ّ، بل إن الجوهريّ هو القيام به– أو عدم القيام به– لمجد الله: " ***الذي يأكل من كل شيء، فللرب يأكل ، فإنه يشكر الله ، والذي لا يأكل من كل شيء فللرب لا يأكل وإنه يشكر الله" [رسالة رومة 16:14].*** فالصوم يعيد المجد لله عندما يجري كعطية من الله بهدف التعرف به أكثر والتمتع به أوفر. ويتمجد الله فينا حين نتوخى من تصرفنا أن نشبع به تعالى الشبع الأقصى. ولنا أن نفعل هذا إما بالأكل مع الشكران وإما بالصوم مع الشكران. فإن عطايا الله تخلف فينا جوعاً إليه يتعدى تلك العطايا ، والصوم عن عطاياه تعالى يجيز ذلك الجوع في الإمتحان.

أعلى المسيحي المؤمن أن يذلل جسده؟

من المضلل أن يقال ، دون تحديد دقيق ، ما قاله " كايت ماين" من أن بولس الرسول " حول إهتمام أتباع المسيح عمداً عن الصوم ، وعن أي نوع التقشف الطعاميّ، إلى الصلاة

والخدمة والكفاح في سبيل الملكوت ، فالنصف الإيجابي الثاني من هذه العبارة يلقى لدينا قبولاً لا يلقاه النصف السلبي الأول. ونحن نرى أن بولس وجه إهتمامنا **فعلاً** ناحية الصوم وأنواع عديدة أخرى من إنكار النفس – **ليس** بصفتها طقوساً دينية تكسبنا إستحقاقاً وفضلاً ، وليس كغاية في حد ذاتها ، بل بإعتبارها سلاحاً يستخدم في معركة الإيمان. ولما سرد بولس معاناته ، " ***جهد وكدّ ، سهر كثير ، جوع وعطش، صوم كثير، برد وعري "[رسالة قورنتس الثانية 27:11؛ راجع أيضا 5:6].***

ويتناسب ذلك مع ما قاله بشأن معاملته لنوازع الجسد: ***" بل أقمع جسدي وأعامله بشدة، مخافة أن أكون مرفوضاً بعدما بشرت الآخرين[قورنتس الأولى 27,26:9].*** فلنا أن نفهم من هذا ان بولس عدّ بعض الإنضباط الزهدي سلاحاً نافعاً في معركة الإيمان. إنما الثبات في المسيح بالإيمان هو المفتاح لعدم صيرورة المرء " مرفوضاً أو فاقداً لأهلية الخدمة . وهذا الامر يتضح مثلاً من [***رسالة قولسي 23:1***]، حيث يتكلم الرسول بولس عن إحضار المسيح المؤمنين به أطهاراً بلا عيب ولا لوم ، ثم يستدرك: ***" ذلك إذا ثبتم على الإيمان راسخين غير متزعزعين ، ولا متحولين عن رجاء البشارة التي سمعتموها ".*** فالإيمان الثابت المثابر ، بنعمة الله ، هو المفتاح للوقوف أمام الله في اليوم الاخير على ارض القبول المطلق . إذاً، يقول الرسول بولس إن أحد الأسلحة في معركة الإيمان المستمرة هو ممارسة " قمع الجسد" . فما خفي عليه أن رغبات الجسد وميوله خداعة كما هي مبهجة إذ قال إن الذات العتيقة تفسدها " ***الشهوات الخادعة" [رسالة أفسس 22:4***]. وتكمن طبيعة هذا الخداع في إغوائنا وإغرائنا بأن نعيش لأجل مسرات الجسد والذهن الباطلة الزائلة، بدلاً من نشدان المسرات الروحية الكائنة في معرفة الله وخدمته. فإن تلك المسرات تبدأ كمباهج

بريئة تتمثل بالطعام والمطالعة والإستراحة واللهو، لكنها ما تلبث أن تصير غايات في ذاتها ثم تخمد عطشنا وجوعنا إلى الله . وقد عمد بولس إلى قمع جسده كي يجيز نفسه في إمتحان دقيق : أيعطش ويجوع إلى الله؟ أحقيقي إيمانه ؟ أم تراه صائراً عبداً للراحة والملذات الجسدية الدنيوية ؟يمكننا أن نلمس منية قلبه، في [***رسالة قورنتس الاولى 12:6]*** ، حيث يقول : ***لن ادع شيئاً يتسلط عليّ !"*** وليس هذا من قبيل الترفع الذاتي كما عند الرواقيين ، بل هو العزم المسيطر على القلب لمقاومة كل ما يضلل عن ذلك الشبع بالله الذي يحبب النفس ويتحكم في جميع نوازعها.

بينما كنت منذ بضع سنين ألقى عظات في الصوم والصلاة ، تقدم إلي بعد إحدى العظات شاب أخبرني بقصة توضح طبيعة قمع الجسد في الصلاة بطريقة تهيىء المرء للسماء. وكنت قد أشرت إلى جماعة المؤمنين بالمسيح في كوريا الجنوبية كقدوة في هذا المجال ، فحدا ذلك بالشاب أن يحدثني بعد إلقائي العظة ، فقال:

نشأت في مكان يعمل فيه خدام المسيح بثبات في كوريا. وقد نقش في ذهني إختبار زاه يبين ما لدى المؤمنين الكوريين من مواظبة على الصلاة والصوم مقرونة بالتضحية . فإن أبي كان يخدم في منتجع للمجذومين (البرص) ، وكان يقام هناك إجتماع صلاة في الساعة الرابعة فجراً. ومع أني كنت صغيراً ، فقد إصطحبني والدي بعدما أيقظني في الثالثة والنصف فجراً للوصول إلى مكان الإجتماع في الموعد، وأجلسني في الصف الأخير ، حيث تسنى لي أن أرى ما في الخارج . ولن أنسى أبداً رجلاً لم تكن له ساقان ، ولا عكازان ، إلا أنه كان يستخدم يديه جاراً نفسه على الأرض لبلوغ مكان الإجتماع عند الرابعة فجراً. حقاً ، لن أنسى ذلك أبداً . بلى ، إن النهوض باكراً نوع

من الصوم. والإقبال على الصلاة حين يصعب الوصول نوع من الصوم آخر. فعندما نقرر مثل هذا القرار ، نشنّ الحرب على رغباتنا الخادعة ونؤكد غلاوة الصلاة وقيمة إلهنا الفائقة جداً.

هل الصوم أمرٌ مسيحيّ؟

يكون الصوم مسيحياً إذا نبع من الثقة بالمسيح، وسندته قوة المسيح ، وكان هدفه مجد المسيح. وفوق كل صوم مسيحيّ ينبغي أن ترفع لافتة مكتوب عليها ما يلي:

"ما كان في كل ذلك ، من ربح لي عددته خسراناً من أجل المسيح ، بل أعدّ كل شيء خسراناً من أجل المعرفة السامية، معرفة يسوع المسيح ربي. من أجله خسرت كل شيء، وعددت كل شيء نفاية لأربح المسيح"[رسالة فيلبي 3:7-8].

ففي الصوم ، كما في حرمان النفس من أي شيء آخر، كل خسارة هي لأجل " ربح المسيح" . ولكن هذا لا يعني أننا نسعى كي نربح مسيحاً ليس لنا . ولا هو يعني أن تقدمنا متوقف على أنفسنا. فبعد أربع آيات يوضح الرسول بولس ديناميات حياة الإيمان بالمسيح، بما فيها الصوم، فيقول: ***" لا أقول إني حصلت على ذلك أو أدركت الكمال ، بل أسعى لعلي أقبض عليه ، فقد قبض علي يسوع المسيح"[الآية 12].***

هذا هو جوهر الصوم المسيحي : فنحن نئن ونحنّ ونتوق، وأيضاً نصوم ، كي نعرف أكثر كل ما يعنيه لنا الله في المسيح. ولكن ذلك فقط لأنه قد سبق فقبض علينا وما يزال يجذبنا دائماً إلى الأمام وإلى فوق للدخول في " كل ملء الله".

فدعائي لأجل جماعة المؤمنين بالمسيح أن يوقظ الله فينا عطشاً وجوعاً جديدين إلى ذاته... صوماً جديداً. ليس لأننا ما تذوقنا الخمرة الجديدة المتمثلة بحضور المسيح، بل لأننا قد

تذوقناها فعلاً ، ولأننا نشتاق –في معاناة نفس عميقة وبهيجة– إلى إختبار المزيد من حضوره وقوته في وسطنا.

" وأذكر كل الطريق التي سيّرك فيها الرب إلهك في البرية هذه السنين الأربعين، ليذلك ويمتحنك فيعرف ما في قلبك : هل تحفظ وصاياه أم لا. فذلك وأجاعك وأطعمك المنّ الذي لم تعرفه أنت ولا عرفه آباؤك، لكي يعلمك أنه لا بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان". [سفر التثنية 8:2,3].

إن ضعف الجوع المؤدي إلى الموت يبعث الصلاح والقوة من لدن الله الذي يشاء لنا الحياة. وليس هنا إبتزاز أو إنتزاع ، ولا مسعى سحري لقسر مشيئة الله. فنحن إنما نتطلع بثقة إلى أبينا السماوي وبصيامنا نقول له بلطف في قلوبنا : " أيها الاب السماوي ، لولاك لكنت أموت، فأنجدني سريعاً وساعدني!".

يوسف ويمر

"الصوم في العهد الجديد"

-2-

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

وليمة الصوم في البرية

إنّ المسيح إبن الله ، إستهل خدمته على الأرض بصيامه أربعين يوماً. ومن شأن هذا أن يجعلنا نتريث قليلاً ، ولا سيما إذا كنّا– ونحن لسنا الله!– قد إنطلقنا إلى الخدمة غير متنبهين إلى المعركة التي قد نضطر إلى خوضها. فلماذا فعل المسيح ذلك؟ ولمادا وجهه الله إليه؟ وماذا بشأننا نحن؟ هل نقوى حقاً على مواجهة المعوقات الفائقة للبشر ، تلك التي تعترض سبيل حياتنا وخدمتنا لله ، أن نجتاز مع المسيح في برية الصيام؟

في إعتقادي أنّ علينا أن نعبر إلى هناك كي نتعلم منه على الأقل ، إن لم يكن لمحاكاته في إنتصاره. فهو كان إبن الله ، وما نحن هكذا بالطبيعة. لكنه قال حقاً: " ***كما أرسلني الآب، أرسلكم أنا أيضاً" [الإنجيل حسب يوحنا 21:20]***. ولئن كانت نجاة العالم لا تتوقف على نجاحنا، لأننا أقلّ من المسيح بكثير من السنين الضوئية، فإن من شأن هذا الواقع أن يؤكد– لا أن يبدد– حاجتنا إلى الصوم في حياتنا. صحيح أن ميدان حربنا أصغر من العالم كله، غير أن ضعفنا أكبر. فلماذا صام المسيح إذ باشر عمله العظيم ؟ ومادا يمكن أن نتعلم عما يخصنا نحن؟

الجوع إلى كل ملء الله

إن قلبي جائع إلى كل ما في الله من الكمال. وأشتاق إلى أن يعمل الله عملاً أعمق في وسط شعبه. كما أتوق إلى موجة

جارفة من غيرة الدعوة لنشر رغبة قلبية في سيادة المسيح بجميع الأشياء لفرح الشعوب جميعاً.وأتوق لأن ولادة جديدة ،أكيدة وفائقة ، حاصلة أسبوعاً بعد أسبوع من جراء الشهادة الغعالة التي يؤديها شعب الله المؤمنون المغيرون حيثما يسمى إسمه تعالى. إنما كانت خدمة المسيح ، وستكون دائماً أبداً، منقطعة النظير. وإلى حدّ ما ، لنا قدوة في هذه الخدمة . غير أنها بملئها تؤدي الشهادة لفرادته الإلهية المطلقة. ومع ذلك فكيف يغفل ألا نسأل عن ذلك الصوم غير المعتاد في مستهل خدمته هل كان مقصوداً به ما يتعدى عمله الخاص؟

قال " شارلز اسبرجن" الواعظ اللندنى الموهوب منذ قرن مضى: "كانت أوقات الصوم والصلاة التي قضيناها في خيمة الإجتماعات الكبيرة أياماً رفيعة فعلاً ، فما كانت بوابة السماء يوماً أوسع مما كانت يومذاك، ولا كانت قلوبنا يوماً أقرب إلى المجد الجوهري مما كانت في تلك الأيام ".فالإقتراب إلى ضياء مجد الله هو يقيناً مفتاح التوهج بالنور الذي لا يخبو والنار التي لا تخمد. أوليست هذه حاجة الساعة ، كل ساعة ، حتى يرى العميان ويتحولوا من الظلام إلى النور ويمجدوا الله، أبانا السماوي***[سفر أعمال الرسل 18:26؛ الإنجيل حسب متى 16:5]***. وإذا كان من هو نور العالم قد جاهد في سبيل ناره بالصوم ، أفلا يكون هنالك ما نتعلمه نحن لأجل سُرجنا الخافقة الواهية؟

الروح نزل على المسيح كأنه حمامة

أعتقد أن هنالك ما نتعلمه فعلاً. إذاً ونتعلم من المسيح. بحسبما ورد في ***[الإنجيل حسب متى 16:3]***، صعد المسيح من الماء

بعدما غطسه يوحنا (يحيى بن زكريا) ، فأنفتحت السماوات ونزل الروح الإلهي عليه كأنه حمامة. فما معنى هذا؟ لقد كان الروح الإلهي دائماً مع المسيح فبالروح الطاهر حُبل به في أحشاء أمه العذراء[***الإنجيل حسب لوقا 35:1***]. ومنذ الأزل السحيق ، كان إبن الله واحداً ، على حد ما قاله بولس صراحة من " ***أنّ الرب هو الروح" [رسالة قورنتس الثانية 17:3]. فماذا عنى متّى إذاً لما قال : " فإذا السماوات قد إنفتحت ، فرأى روح الله يهبط كأنه حمامة ونزل عليه؟***

لقد عنى أن الله كان يحب إبنه محبة فائقة حتى أراد أن يعده، في العلن وبكل قوة ، على هذا النحو الخاص ، للخدمة الموضوعة أمامه. فقد أراد أن يؤكد له سروره به، وهدايته له، ومساندته ودعمه. وإذ نزل الروح الإلهي على المسيح ، فال الله الآب ***[في الآية 17]: " هذا هو إبني الحبيب الذي عنه رضيت".*** بعبارة أخرى ، كان هذا التجلي الخاص للروح الإلهي إظهاراً لمحبة الآب غير المحدودة لإبنه (المسيح :"هذا هو إبني **الحبيب**") ولمصادقة الآب وتأييده العظيم لشخص المسيح وخدمته " الذي عنه رضيت".

لا أحد تجرأ قطّ على أمر كهذا ولا احد يستطيع

ما كان المسيح مزمعاً أن يضطلع به فريدٌ في تاريخ العالم. فما من إنسان آخر قط عقد عزمه على أن يعيش ويموت بإعتبار أنه " **حمل** ***الله الذي يرفع خطيئة العالم" [حسب يوحنا 29:1].*** وقد علم المسيح أن مهمته بوصفه " ***إبن الإنسان*** " كانت أن " ***يفدي بنفسه جماعة الناس"[حسب مرقس 45:10]***، وأنه قد جاء إلى العالم كي ينجي الخاطئين راجع[***رسالة طيموتاوس الأولى 15:1]***. *وعلم من* ***[سفر أشعيا 53]*** أن مشيئة الله قضت بأن يسحقه سحقاً، وأن يضع عليه إثم حميعنا، وأن يزكي بموته كثيرين من الخاطئين***[الآيات 10،11،6]***. وعلم أن الله قد أغضى عن الخطايا

الماضية بدافع حلمه ، وأن تجلى عدل الله كان على المحك في حياته وخدمته***[رسالة رومة 26,25]***. وعلم أن صدقية الله في جميع وعوده تعلقت على إتمامه، بكل أمانة وطاعة لكل كلمة نطق بها في العهد القديم ***[الرسالة نفسها 8:15]***. وقد علم أن من شأن ذلك كله أن يكلفه حياته ، وأن عذابه سيكون مخزياً ومؤلماً على نحو لا يوصف ***[الإنجيل حسب مرقس 34,33:10]***.

لقد علم الله الآب أن ذلك آت ، وقد علم الله الإبن أنه آت. وهكذا كلف الآب الروح أن يهبط كحمامة على الإبن مؤكداً له محبة الآب، ولإعلان رضى الآب التام عنه ، على نحو لا ريب فيه . فمن الآثار العجيبة لكلمات الآب " إبني الحبيب الذي عنه رضيت" طمأنة المسيح– وطمأنتنا نحن– أن نار الهوان التي كان على وشك الإجتياز فيها **لم تكن** بسبب عدم رضى الآب. فإن الآب كان قد بدأ يهيىء المسيح– ويهيئنا نحن– كي نعرف أن الصرخة اليائسة " لماذا تركتني؟" لن تكون هي الكلمة الاخيرة.

الروح الإلهي إقتاد المسيح إلى التجربة والصيام

من المهم على نحو خاصّ أن نعي ما قلناه آنفاً إذ نلاحظ في الآية التالية***[حسب متى 1:4]***. ماذا كان أول فعل أتاه الروح بعد نزوله على المسيح بتلك الطريقة: ***ثم سار الروح بيسوع إلى البرية ليجربه إبليس"***. فأول فعل أتاه الروح في خدمة المسيح أنه سار به إلى البرية حيث يكون عرضة لإغواءات الشيطان.

وبقيادة الروح الإلهي أعدّ المسيح نفسه لهذا الإمتحان بالصوم. " ***ثم سار الروح بيسوع إلى البرية ليجربه إبليس. فصام أربعين***

يوماً... فإن روح الله أراد لإبن الله أن يمتحن لدى إنطلاقه إلى الخدمة، كما أراد أن ينتصر المسيح على إغواءات إبليس بواسطة الصوم. فلا يغربن عن البال أن المسيح إنتصر على أكبر عدو لنفسه ولنفوسنا ولإنقاذنا الأبدي، بواسطة الصوم!

يتخيل إليّ أن هذه الحادثة ينبغي أن تهز كياننا. فها هو المسيح على عتبة أهم خدمة في تاريخ العالم . وعلى طاعته وبره يتوقف خلاص العالم. ولن يتسنى لأحد البتة أن ينجو من العقاب الأبدي بغير هذه الخدمة الجلي المتمثلة بمعاناة المسيح وموته وإنبعاثه، طائعاً مختاراً. وقد شاء الله أن تتعرض هذه الخدمة ، منذ إنطلاقتها، لإمتحان خطير يتمثل بإغواءات الشيطان للمسيح بالتخلي عن سبيل الإتضاع والمعاناة والطاعة. ومن بين مئات الأمور التي كان ممكناً أن يفعلها المسيح لمكافحة هذا التهديد الهائل لخلاص البشر ، قاده الروح الإلهي إلى الصيام.

لو تسنى للشيطان ان ينجح في ثني المسيح عن سلوك سبيل الطاعة المتواضعة المضحية، لما كان هنالك خلاص أو نجاة ، ولكنا ما نزال في خطايانا ، وما كان لنا رجاء وعليه ، فالفضل في خلاصنا يعود (جزئياً، لئلا نبالغ) إلى صيام المسيح. وفي هذا دعم رائع للصوم فلا نمرّ بهذا مرور الكرام ، بل لنفكر فيه. لقد باشر المسيح خدمته بالصوم، وإنتصر على عدوّه بالصوم. وقد أنجز عمل نجاتنا الأبدية تاماً لأن منجّينا إستهل خدمته المُفضية إلى ذلك العمل بالصوم.

إعادة تمثيل إمتحان بني إسرائيل في البرية

كي نعي هذا بمعناه الاوفى ، ينبغي لنا الآن أن نلقي نظرة على سفر تثنية الإشتراع. فكل مرّة رد المسيح على تجارب إبليس الثلاث في البرية مقتبساً من سفر التثنية:" ***لا بالخبز وحده***

يحيا الإنسان" [التثنية 3:8]: " لا تجربوا الرب إلهكم"[16:6]، " الرب إلهك تتقي وإياه تعبد" [13:6] .

هذه الحقيقة البالغة الأهمية . فها المسيح يقتاده الروح إلى البرية – أرجو الإنتباه لهذا : **إلى البرية** – وكي يقاوم المسيح إغواءات الشيطان ،يقتبس آيات من سفر التثنية ،كل منها نطق بها موسى لبنى إسرائيل بخصوص وقت **تجربتهم في البرية** أو الصحراء.

نقرأ في الإنجيل حسب [**متّى** ***4,3:4]: " فدنا منه المجرب وقال له: <إن كنت إبن الله، فمر أن تصير هذه الحجارة أرغفة>. فأجابه: <مكتوب : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله>"***، فلنقارن الآن بهذا ما جاء في[***سفر التثنية: 3,2:8]*** ونلاحظ التوازيات بين ذلك الوضع في البرية ووضع المسيح في البرية. فقد قال موسى للشعب:

" و إذكر كل الطريق التي سيرك فيها إلهك في البرية *[* ملاحظة: كما سار الروح بالمسيح إلى البرية] ***هذه السنين الأربعين*** [ملاحظة: كما ظل المسيح هناك أربعين يوماً] ، ليذلّلك ويمتحنك [ملاحظة: كمّا جرب المسيح] ***فيعرف ما في قلبك : هل تحفظ وصاياه أم لا. فذلّلك وأوجاعك***[ملاحظة: كما جاع المسيح بسبب صيامه]***وأطعمك المنّ الذي لم تعرفه أنت ولا عرفه آباؤك ، لكي يعلمك أنه لا بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان***[ملاحظة: تماماً كما قال المسيح للشيطان]".

إننا نجد من المشابهات بين ما يجري للمسيح هنا في البرية وما جرى قديماً لبني إسرائيل عدداً وافراً جداً بحيث لا

يسوغ لنا أن نعتبر الأمر مجرد مصادفة. فالله يعلمنا درساً هنا. لقد إقتاد روح الله المسيح إلى البرية يعني هذا؟

إنه يعني أنّ ظلال العهد القديم حلّت محلها حقيقة العهد الجديد . يعني أن ما هو على المحك هنا إنما هو أعظم من موسى والبرية والشريعة ويشوع وأرض الوعد.يعني أنّ زمن الإتمام بات وشيكاً. فها هو الوعد المعطى لموسى آخذ في التحقق: ***"يقيم لك الرب إلهك نبياً مثلي من وسطك، من إخوتك، فله تسمعون"[التثنية 15:18]*** . يعني أن الله الآن ، بصيرورة إبنه بشراً، يهيىء إنقاذ شعبه المؤمنين بالمسيح من عبودية الخطيئة إلى أرض الوعد الجديدة– أرض الغفران والتزكية والحياة الخالدة الباقية إلى الأبد. وفي سبيل ذلك أرسل الله موسى جديداً ، أو في هذه الحالة يشوعاً جديداً (المسيح يمثل دور كليهما، والإسم " يسوع"[عيسى]. يطابق "يشوع" في كتاب العهد الجديد اليوناني) ويشوع هذا الجديد يقوم رأساً وممثلاً لكامل الشعب الجديد الذي سوف يجمعه المسيح من جميع الأمم، لا من اليهود وحدهم. فبالنيابة عنهم يقتاد الروح الإلهي المسيح الآن إلى البرية، حيث يمتحن كما إمتحن بنو إسرائيل، ويجوع كما جاعوا، حتى إذا إنتصر يدخل هو وشعبه جميعاً بسلام إلى أرض الوعد الجديدة– أرض الغفران والحياة الخالدة الباقية إلى الأبد.

صومه كفاحاً وسلاحاً ، كما كان إختباراً وإنتصاراً معاً

في وسعنا الآن أن نعي معنى صيام المسيح على نحو أجلى. فلم يكن إختياراً إعتباطياً لشيء يفعله في مواجهة إغواءات إبليس، بل كان فعلاً إرادياً من التماهي مع شعب الله في حرمانهم وإمتحانهم لمّا كانوا في الصحراء. فكأنما يقول : " لقد أرسلت كي أخرج شعب الله الجديد من عبودية الإثم والخطيئة إلى أرض

النجاة والخلاص الموعودة. وكي أفعل ذلك ، ينبغي لي أن أكون واحداً منهم. لهذا ولدت، ولهذا عمدت بالماء.لذلك سأخوض الإمتحان الذي مروا فيه. سأمثلهم في البرية، وأدع قلبي يسبر الصوم غوره، ليظهر أين ولائي ومن إلهي. وبعون روح الله سأنتصر عبر هذا الصوم. سأهزم إبليس وأقود جميع المتكلين عليّ إلى أرض المجد الأبدي الموعودة".

بعبارة أخرى ، لم يكن صوم المسيح فقط إعداداً للتجربة أو الإمتحان ، بل كان جزءاً من تجربته وإمتحانه ، مثلما كان الجوع إمتحاناً لبني إسرائيل في الصحراء . فقد قال موسى الكليم : ***"[سأبارك الرب في البرية] ليذلّلك ويمتحنك، فيعرف مل في قلبك : هل تحفظ وصاياه أم لا ؟ فذلّلك وأجاعك "***
[التثنية2:8] . فكذلك كانت الحال بالنسبة إلى المسيح ، إذ سار به الروح إلى البرية ، وجعله يجوع، ليمتحنه فيظهر ما في قلبه ، وإنه يحب الله لا الخبز. ولكن ذلك لا يعني أن صومه ما كان أيضاً– حتى في الوقت نفسه –سلاحاً في المعركة مع الشيطان . فالصوم إمتحان لغرض القلب وموضعه، وحين يبين أن القلب مع الله وليس مع الدنيا، توجه ضربة قاضية إلى الشيطان . فعندئذ لا يكسب الشيطان موطىء القدم الذي يكون له إذا كان قلبنا واقعاً في حب الأمور الدنيوية كالخبز ونحوه.

الصوم بوصفه حرماناً كاشفاً للقلب

غالباً ما يدعى شعب الله للعيشة بغير أسباب الحياة المعتادة. " ***البار كثيرة مصائبة، والرب من جميعها ينقذه"[المزمور 20:34]. " يجب علينا أن نجتاز مضايق كثيرة لندخل ملكوت الله"[سفر أعمال الرسل 22:14]. " نئن منتظرين... إفتداء أجسادنا"[رسالة رومة 23:8]***. وما الصوم إلا إختبار إرادي وجيز لحرمان من هذا

النوع. فعندما نختبر هذا الإمتناع الطوعيّ ، يظهر الرب ما في قلوبنا : ماذا يسيطر علينا؟ وماذا نقدر وعلام نتكل ؟ وقد سبق أن رأينا هذا في مدخل الكتاب ، حيث أشرنا إلى قولة " ريتشارد فوستر" في كتابه " الإحتفال بالإنضباط": " أكثر من أي آخر للنفس ، يكشف الصوم الأشياء المسيطرة علينا".

عبيد ماذا نحن؟ وإلام نجوع الجوع الأشدّ. ألطعام أم الله؟ فالصوم ميدان إمتحان، وميدان شفاء يستخدمه الله. أنتذمر ونتشكى كما فعل بنو إسرائيل بغياب الخبز؟ وقد كان السؤال المطروح أمام المسيح هو هذا : أيتحول عن طريق الطاعة المضحية ويحول الحجارة خبزاً ، أم يحيا " بكل كلمة تخرج من فم الله؟ فالصوم طريقة بها نظهر لأنفسنا ما في قلوبنا ونعترف بذلك لإلهنا : أين نلتمس شعبنا الأقصى – أفي الله أم في عطاياه؟

وهدف الصوم أن نصير أقلّ إعتماداً على الطعام وأكثر إتكالاً على الله. هذا معنى كلمات الآية في [***الإنجيل حسب متى 4:4]: " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله".*** فكلما صمنا نقول مع المسيح: " ***ليس بالخبز وحده ، بل بك يا رب ... ليس بالخبز وحده بل بك يا رب!".***

الصوم لأجل الله، لا لأجل خبزه المعجزيّ

لأحاول أن أبين لك لماذا أعتقد أن هذا هو ما عناه المسيح عندما أفحم الشيطان بقوله له إن الإنسان يحيا " ***بكل كلمة تخرج من فم الله***". لماذا أعتقد أن المسيح يقول ما فحواه : " ثقوا بالله ، لا بالخبز"؟

نجد المفتاح في سياق الكلام في[***سفر التثنية 3:8]***، من حيث إقتبس المسيح ردّه في***[إنجيل متّى 4:4].***

[الرب إلهك] أطعمك المنّ الذي لم تعرفه أنت ولا عرفه آباؤك، لكي[لاحظ التعليل] يعلمك أنه لا بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان.

لاحظ منتبهاً أنه يقول هنا إن إعطاء المنّ هو الإمتحان : ليس منع الطعام ، بل **منح** الطعام . والغاية أن يفهم الشعب أنّ الإنسان لا يحيا بالخبز وحده. فقد أعطاهم المن طعلماً لم يسمع به من قبل نازلاً من السماء.لماذا ؟ يقول موسى : حتى يتعلموا أن يحيوا بكل ما يخرج من فم الله.فكيف ذلك؟ وفيم يعلم هذا الدرس إنزال المن المعجزي؟ إنما المنّ واحدة من الطرائق العجيبة التي بها يستطيع الله ، بمجرد كلمة ، أن يسد حاجتهم حين يبدو أن لا رجاء في كل شيء آخر. فبيت القصيد عند موسى هو أنه يجب علينا أن نتعلم الإتكال على الله ، لا على أنفسنا. علينا أن نثق به من جهة كل بركة غير متوقعة كلياً يأمر من فمه ليخبرنا.

ولكن لنلاحظ الآن ما يفعله الشيطان بهذا الحق عند مواجهته المسيح. فالشيطان يقول للمسيح :" ***إن كنت إبن الله ، فمر أن تصير هذه الحجارة أرغفة"[حسب متى 4:3]*** . بعبارة أخرى ، اصنع منّا لنفسك كما صنع الله أبوك في البرية . إن الشيطان محتال إلى أقصى الحدود. وهو يعرف الكتاب المقدس معرفة دارس داهية، ويعرف ما تتضمنه كلمة الله في الأساس. فقد تنبه إلى أن قُصد به تعليم الشعب قوة الله القادرة على إتيان المعجزات لإعالتهم في ضيقهم. وهكذا يحاج المسيح قائلاً ما فحواه: " إنّ سبب إعطاء الله أبيك المنّ في البرية كان لتعليم الشعب أن يتوقعوا المعجزات عندما يكونون في ضيق . فهلا تقدم لنفسك شيئاً من الخبز المعجزي، وبذلك تكون عاملاً بالمكتوب المقدس!"

أما مؤدى ردّ المسيح فكان : " أيها الشيطان، ما أقربك

وما ابعدك في آن!فلطالما تناولت كلمة الله بهذه الطريقة، بمنتهى الخبث والتضليل. تتظاهر بأنك توافق على كلمة قالها الله، ولكنك تحول كل كلمة منه ضده. إليك غرض المنّ يا شيطان: لا تعتمدوا على الخبز، حتى لو كان خبزاً معجزياً، بل توكلوا على الله. لا تنالوا شبعكم الأقصى في الحياة من الطعام، ولو كان بمعجزة أجراها الله، بل من الله بالذات. فكل كلمة تخرج من فم الله تعلن الله. وهذا الإعلان الذاتي غذاؤنا في أعمق الأعماق. هذا يدوم إلى الأبد .وفي هذا الحياة الباقية أبداً. أذهب ، يا شيطان، إن الله نصيبي. وما كنت لأتحول عن سبيله وعن خلته وعشرته، ولو لأجل المن المعجزي!"

ذلك هو الدرس الأعمق في صوم المسيح في البرية. فهو كان سلاحاً في محاربة الخداع الشيطاني، إذ برهن بكل جلاء أن جوع المسيح إلى الله ومشيئة الله كان أقوى بما لا يقاس من جوعه إلى عجائب الله. وما كان المسيح ليفلسف تحويل الحجارة خبزاً على أنه تحديداً ما ينبغي أن يفعله بصفته إبن الله فيما يعيد إجراء إختبار البرية الذي إجتاز فيه شعب الله قديماً:فهؤلاء نالوا المنّ، وهو سيصنع منّا. ولو فرضنا أن هذا المستحيل حصل لكان الصوم تمهيداً دينياً لإجراء إشباع معجزي.

ولكن المسيح لم يفكر او يحلل بهذه الطريقة . وما كان صومه لغرض من هذا القبيل. بل إنه بالاحرى فكر وعلل هكذا: " لقد أرسلت كي أعاني وأعذب وأموت لأجل شعبي. والسبيل الوحيد لتنفيذ هذا تماماً هو أن احب الله أبي منتهى الحب، فيكون هو عندي أغلى من آيات قوته المعجزية لإراحتي من كربتي. أنا أعلم أن مسرة الله هي أن يسحقني بالألم لأجل المؤمنين، على ما جاء في الفصل الثالث والخمسين من سفر أشعيا، الآية العاشرة . وما كنت لأستخدم الصوم سبيلاً للإستعفاء من هذه الرسالة

الجلى. فذلك ما يبتغي الشيطان أن يحول صومي إليه: تمهيد للإمداد الإلهي المعجزي بالخبز، على غرار ما حصل في البرية كما يفيد سفر تثنية الإشتراع. ولكن هنا يكمن الفرق: أولئك إمتحنوا قليلاً ، وأنا سأمتحن كثيراً، لأنّ ما يترتب على إمتحاني أكثر بكثير جداً مما ترتب على إمتحانهم".

إنتصار الجوع لأجل الله

ثم ماذا كان الصوم بالنسبة إلى المسيح؟ لقد كان إختباراً وإنتصاراً معاً. إذ كان إمتحاناً لأعمق شهية لديه، وإنتصاراً لجوعه إلى الله فوق كل شيء. ولذلك كان أيضاً إنتصاراً على الشيطان. فطريق الجلجثة [مكان الجُمجُمة، حيث مات المسيح مصلوبا] كانك الطريق إلى موته هو ، وإلى هزيمة إبليس. ذلك أن المسيح ، بموته على الصليب "***خلع أصحاب الرئاسة والسلطان، وشهرهم فسار بهم في ركبه ظافراً"[رسالة قولسي 15:2]*** . فالطريق التي أفضت إلى هذه الهزيمة النكراء بدأت بصوم أربعين يوماً. وفي ذلك الصوم أعلن المسيح القوة التي مكنته من سحق رأس الحية في الجلجثة.تلك كانت قوة الإيمان ،أي قوة شبع بالله فائق يسمو على كل شيء، بما في ذلك عطايا الله المعجزية. هذا الإتكال الراسخ على الله وهذا الشبع الكلي به أيدا المسيح حتى نهاية الطريق. فإنه " ***في سبيل الفرح المعروض عليه، تحمل الصليب مستخفاً بالعار، ثم جلس عن يمين عرش الله"[رسالة العبرانيين 2:12]*** .

إن الصوم هو تصريح منتظم ، وأحياناً حاسم ، بأننا نفضل أن نتمتع بالوليمة حول مائدة الله في مملكة السماء على التنعم بأطيب أطايب هذا العالم الفاني. ولقــد عرف المسيح مــا

تركه في السماء ، كما عرف إلى ما سوف يعود. فذلك كان رجاءه الأعظم وفرحه الأسمى. ومرة قال لحوارييه: " ***لو كنتم تحبونني، لفرحتم بأني ذاهب إلى الآب، لأنّ الآب أعظم مني[في أتضاعي على الأرض]" [حسب يوحنا 28:14]*** . فقد كانت رغبة المسيح العظمى أن يعود إلى الآب حاملاً ثمرة " عناء نفسه" أي جماعة المؤمنين به ***[سفر أشعيا 11:53]***. تلك كانت الوليمة التي تلذذت بها نفيه، وهي ما أيده في صومه في موته.

أنستغني عن " خادم الإيمان" الجائع؟

ليس السؤال المطروح أمامنا أساساً " هل نصوم"، بل " هل نجوع هكذا إلى الله؟ أهذه طبيعة إيماننا : أننا شباعى بكل ما يعد الله أن يكونه لنا في المسيح؟... شباعى إلى حدّ أننا نستطيع أن نحمل صليبنا ونسير وراءه على طريق الجلجثة؟ وجياع إليه وحده حتى إن المعجزات والعجائب التي يعولنا بها تقصر عن إشباع نفوسنا؟ وما دام هذا السؤال، فعلينا من ثم أن نسأل: أنستغني عن " خادم الإيمان" الجائع الذي يدعى الصوم؟

لا تتعلق المسألة بكسب شيء أو إستحقاق شيء أو إنتزاعه ، من عند الله . بل هذه المسألة: أما وقد ذقت طيبة الله في وليمة البشارة بالمسيح وخيراتها ، فكيف أضاعف تمتعي به تعالى قيما أغرى كل لحظة من حياتي بأن أجعل عطاياه الصالحة إلهاً لي؟ بأية أسلحة أخوض معركة الإيمان وأحرس قلبي من العواطف الغريبة ومن الشهيات الخوانة؟ يقيناً، سأحمل سيف الروح–كلمة الله– وأواظب على الدعاء والصلاة. ولكن سأتخذ أيضاً خادم الإيمان المسكين والجائع معيناً لي. ففي ضعفه هو قوي. وخواؤه يظهر حاجتي ويجعل كمال الله أكثر غلاوة.

إن ضعف الجوع المؤدي إلى الموت يستحضر صلاح الله وقوته وهو تعالى يشاء لنا الحياة. وليس هنا من إبتزاز ولا

سعي سحري لإكراه مشيئة الله.فنحن إنما نتطلع بثقة إلى أبينا السماوي، وبصومنا نقول بلطف في قلوبنا: " أيها الآب السماوي، لولاك لكنت أموت. فهيا لنجدتي، أسرع لمعونتي".

كيف نغذي رؤيا لله مشبعة للنفس؟

إنّ المعونة التي نحتاج إليها ، قبل كل شفاء للجسد وكل أمان مادي وكل توجيه مهني وكل تناغم في العلائق، هي معونة الله لنا حتى نرى ونتذوق مجد الله في المسيح. فإذ عاينا مجد الله في البشارة بالمسيح، آمنا فنجونا من الشر وصرنا مزكين أمام الله**[رسالة قورنتس الثانية 6,4:4]**. وإذ نعاين مجد الله في وعوده ، نطهر ونقدس **[** ***الرسالة نفسها 18:3]***. وهنالك طريقة واحدة كي ننهي شوطنا ونحفظ إيماننا ونثبت إلى النهاية، ألا وهي أن نكون ***" محدقين إلى مبدىء إيماننا ومتممه"*** أي المسيح ***[رسالة العبرانيين 2:12]***؛ راجع أيضاً **[1:3]**، غير هادفين " ***إلى ما يرى ، بل إلى ما لا يرى" [رسالة قورنتس الثانية 18:4]***، راغبين " ***في الأمور التي في العلى"[رسالة قولسي 2:3]***. هذه هي مشيئة الله لنا ، وهذا عمل الله فينا***[رسالة العبرانيين 20:13و21]***.غير أننا نحن الخلائق البشرية الساقطة مكونون على نحو قال فيه المسيح إن " هموم الحياة الدنيا وفتنة الغنى وسائر الشهوات"**[** حتى ما هو بريء كالطعام] تستولي على القلوب " فتخنق الكلمة" المقصود بها أن تظهر لنل مجد الله ***[الإنجيل حسب مرقس 19:4]***. ولذلك فإنّ حرب الإيمان، ومعركة معاينة مجد الرب يوماً فيوماً، تخاضان لا بتغذية النفس بالحق فحسب، بل أيضاً بالصوم لتهدئة شهياتنا، ولإماتتها إذا دعت الحاجة.

خاض " دايترش بونهويفر" صراعاً مريراً مع كلفة إتباع المسيح. وفكر كثيراً وطويلاً في تكلفة طريق الجلجلثة.. وكما فهم

الأمر، عنى له أخيراً مقاومة أدولف هتلر، مما أدى إلى إعدامه شنقاً في مدينة فلوسنبرغ بألمانيا في 9 نيسان (أبريل)1945 وله من العمر تسع وثلاثون سنة. وقد تنبه دايترش جيداً إلى خداع جسدنا ، والحاجة إلى خوض معركة الإيمان على كل جبهة يوماً فيوماً بإبتهاج وإتضاع:

يقاوم الجسد هذا الإتضاع اليومي، أولاً بالمجابهة المباشرة ، ثم بإخفاء نفسه تحت ستار الكلام الروحي(مثلاً، بإسم " الحرية المسيحية"). فنحن نتذرع بالحرية من كل إلتزام شريعيّ، ومن الإستشهاد الذاتي والإماتة، ونستبعد ذلك كله ببراعة، حتى إننا نتغاضى عن اللجوء المعقول إلى الإنضباط وتدريب الذات. وهكذا نلتمس الأعذار لإنغماسنا الذاتي وإضطراب أوقات الصلاة لدينا، ولكنّ المفارقة بين سلوكنا وكلمات المسيح بينة وممضة. إننا ننسى أنّ أتباع المسيح يعني التنكر لهذه الدنيا، وننسى الفرح والحرية الحقيقيين اللذين ينجمان عن ضبط حياتنا بمقتضى التقوى والقداسة.

حقاً إن الفرح في الله هو مصدر القوة على السير مع المسيح من البرية إلى الصليب فإلى الحياة الخالدة أبداً. ولكن الحفاظ على ذلك الفرح في مواجهة أدهى منافستنا وأوفرها براءة هو كفاح يستمر مدى الحياة. وفي إطار هذا الكفاح يكون الصوم، خادم الإيمان المتضع الجائع، رسولاً لنعمة الله، يوافي كل صيام بالكلمات عينها:

" فإن التين لا يزهر، والكروم لا غلال فيها،
وحصيلة الزيتون تكذب ، والحقول لا تخرج طعاماً.

تنقطع الغنم من الحضيرة، ولا يكون بقر في الإسطبل.
أما أنا فأتهلّل بالرب،
وأبتهج بإله خلاصي"

- ***[سفر حبقوق 17:3و18]***

" وإذا صمتم فلا تعبسوا كالمرائين، فإنهم
يكحلون وجوههم، ليظهر للناس أنهم صائمون.
الحق الحق أقول لكم انهم أخذوا أجرهم. أما أنت،
فإذا صمت ، فإدهن رأسك وأغسل وجهك ، لكيلا يظهر
للناس أنك صائم ، بل لأبيك الذي في الخفية،
وأبوك الذي يرى في الخفية يجازيك".

- ***[الإنجيل حسب متى 6:16-18]***

يا ربّ، ما أقل ما يحبك من يحب معك
شيئاً آخر لا يحيه لأجلك"!

القديس أغسطينوس
" الإعترافات"

" لنتعلم من إرشادات سيدنا في شأن الصوم أهمية
لإستبشار في تديّننا . فهذه الكلمات " أدهن
رأسك وأغسل وجهك" حافلة بالمعنى العميق...
أنحن غير مكتفين بأجرة المسيح وبخدمة المسيح؟
طبعاً لا! إذا فلا نظهر بمظهر المكتفين".

جي سي رايل
" أفكار تفسيرية في الأناجيل"

- 3 -

الصوم لأجل مكافأة الآب

فكرة المسيح الجذرية:
التوجه نحو الله في الصوم

كان " كارل لندكويست" رئيساً لمعهد " بيتئيل" وكلية اللاهوت التابعة له نحو ثلاثين سنة، وقد توفي سنة 1991 بسرطان الجلد. وفي آخر عقد من حياته خصص كثيراً من طاقته كي يدرس ويروج التأملات التعبدية الشخصية وتدريبات الحياة المسيحية. حتى إنه أنشأ ما سماه "جمعية القلب الملتهب المسيحية"، وأخذ ينشر رسالة دورية تتضمن التنوير والتشجيع الروحيين.

وفي رسالة أيلول (سبتمبر) 1989، روى كيف بدأ الصوم أول مرة على محمل الجد:

إن نظرتي الجدية إلى الصوم كتدريب مسيحي بدأت تتكون عقب زيارتي للدكتور " جون غن كيم" ، كوريا ، فقد سألته: " أصحيح أنك قضيت أربعين يوماً صائماً قبل حملة الدعوة إلى الإيمان عام 1980؟" قال : " نعم، ذلك صحيح". وكان الدكتور كيم مديراً لحملة الدعوة التي كان متوقعاً أن يحضرها على التوالي مليون نفس. ولكن قبل موعد بدء الحملة بستة أشهر أعلمته الشرطة بسحب الترخيص. فآنذاك كانت كوريا تشهد إضطراباً سياسياً، وقد وضعت سيول تحت الأحكام العرفية. ورأى الضباط الكبار أنهم لا يستطيعون المجازفة بالسماح لأعداد

هائلة من الناس بالإجتماع في مكان واحد . وهكذا مضى الدكتور كيم وبعض معاونيه إلى جبل إعتادوا أن يقصدوه للصلاة، حيث قضوا أربعين يوماً أمام الله مواظبين على الدعاء والصوم لأجل الحملة. ثم رجعوا وتوجهوا إلى دائرة الشرطة.وما إن رأى الضابط المسؤول الدكتور كيم حتى قال له: " أوه، لقد غيرنا رأينا وفي وسعكم أن تباشروا إجتماعكم!"

ولمّا عدت إلى الفندق ، فكرت في كوني لم أصم قط كذلك. لعلي ما رغبت يوماً في أن يجري الله عملاً على ذلك المستوى. إن جسم الدكتور كيم موسوم بعدة أصوام مدة واحدها أربعون يوماً، في أثناء قيادته الروحية لعمل الله في آسيا. على أنني أيضاً ما شهدت قط المعجزات التي شهدها هو.

وروى الدكتور" لندكويست" ما جرى في واحدة من خلوات "القلب الملتهب" كان يديرها ، إذ رأى أحد الطلبة الكبار محجماً عن الأكل . وسأله عن سلامته، فعلم أنه شارف على نهاية صوم واحد وعشرين يوماً في سياق إلتماسه الإرشاد الإلهي بشأن المرحلة المقبلة من حياته.

كذلك قال الدكتور " لندكويست" أيضاً إنه في سني خدمته الأخيرة وجد في الصوم المعدل معواناً لحياته وعمله. ومما قال:

بدلاً من قضاء ساعة في الغذاء ، إستخدم ذلك الوقت للذهاب إلى غرفة مخصصة للصلاة تكون في العادة " غرفة الشعلة" في كلية اللاهوت. وهناك أمضي فرصة الغذاء في التعبد لله والصلاة والدعاء. ولقد تعلمت بعداً شخصياً جداً لما قاله المسيح مرة : ***" لي طعام أكله لا تعرفونه".***

أفهم مما تقدم أن الحرمان من الطعام بالصيام أثبت للدكتور " لندكويست" أنه ربح ربيح. فإذ تخلى عن وجبة الظهر

ليتقابل مع الله بطريقة خاصة ، وجد طعاماً يأكله في التمتع بعشرة المسيح القائل : " ***لي طعام أنتم لا تعرفونه"[الإنجيل بحسب يوحنا 32:4]***. ويبدو أن الدكتور" لندكويست" إختبر شخصياً في " غرفة الشعلة" تحقيق ما جاء ***في [سفر الرؤيا 20:3] " هاءنذا واقف على الباب أقرعه ، فإن سمع أحد صوتي وفتح الباب ، دخلت إليه وتعشيت معه"***. فإذ حرم الدكتور " لندكويست" نفسه من الطعام المادي ، وجد وليمة من نوع آخر في عشرة المسيح. ولقد دخل مخدعه ، بعيداً عن المدح الرئاسي ، فكافأه الآب السماوي.

ليس " إن " بل " إذا صمتم"

من النصوص التي أثرت كثيراً في الدكتور" لندكويست"، في تلك السنين الأخيرة من حياته ، الآيات التي ننظر فيها الآن ***[الإنجيل بحسب متى 6:16-18]***.

"وإذا صمتم فلا تعبسوا كالمرائين ، فإنهم يكلحون وجوههم ، ليظهر للناس أنهم صائمون. الحق الحق أقول لكم إنهم أخذوا أجرهم. أما أنت ، فإذا صمت ، فأدهن رأسك وأغسل وجهك ، لكيلا يظهر للناس أنك صائم، بل لأبيك الذي في الخفية، وأبوك الذي في الخفية يجازيك".

وما لفت إنتباهه في هذا النص هو قول الآية السادسة عشرة: " وإذا صمتم..." فعلى غرار الكثيرين غيره ، لاحظ أن النص لا يقول : "إن صمتم"، بل" إذا صمتم" يعني "حين تصومون". ومن ثم أستنتج ، كمعظم المفسرين ، وأنا معه ، أن المسيح إعتبر أمراً بديهياً أن حواريه سوف يراعون عادة الصوم الطوعي تلك التي مارسها الأتقياء. فقد سلم المسيح بأن الصوم أمر صالح، وأن حواريه سيفعلونه. وهذا ما سبق أن رأيناه في الفصل الأول ، حيث أشرنا إلى تأكيد المسيح لمّا قال : *"ستأتي أيام*

فيها يرفع العريس من بينهم، فحينئذ يصومون" [حسب متى 15:9].وهكذا ، *ففي[الفصل السادس من الإنجيل حسب متى ، الآيات 16-18]*، لا يعلم المسيح في موضوع وجوب الصوم أو عدمه ، بل إنه يفترض أننا سنصوم ويعلمنا كيف نقوم بالصوم ، وخصوصاً كيف لا نقوم به.

كيف لا نصوم

إن كان للصوم المسيحي أن يصبح جزءاً من حياتنا ، كوسيلة إلى التماس *" كل ما في الله من كمال "[رسالة أفسس3:19]*، فعلينا أن نعرف كيف لا نقوم به. ولا يعني هذا أساساً التنبه إلى المتطلبات الصحية لتجنب أوجاع الرأس مثلاً ، بل بالحري التنبه إلى المخاطر الروحية التي تتربص بكل ممارسة دينية ورعة . وبالحقيقة أن الكتاب المقدس يمسك عن ذكر أي شيء مما يتعلق بمخاطر الصوم الطبيعية، تاركاً هذه المسالة الثانوية لفحصنا وحصافتنا. ولكن ما أعظم إهتمام الكتاب المقدس بالأخطار الروحية التي تحفّ بهذا الفعل المقدس!

فالمسيح يحذرنا، في *[إنجيل متى 6:16]*، من التشبه بالمنافقين : *"وإذا صمتم فلا تعبسوا كالمرائين ، فإنهم يكلحون وجوههم ، ليظهر للناس أنهم صائمون"* . إذاً المنافقون قوم يقومون بتدريباتهم الروحية حتى " يظهر للناس " ما يفعلون وهذه هي المكافاة التي يستحقها المنافقون. ومن منا لم يشعر بمقدار المكافاة الحاصلة من إعجاب الآخرين بإنضباتنا أو غيرتنا أوحماستنا أو تقوانا؟ فتلك هي مكافأة عظيمة بين الناس. وما أقل الأمور التي تشبع قلب الإنسان الساقط أكثر من تعظيمنا وإمتداحنا على إنجازاتنا ، ولا سيما مآثرنا الخلقية والدينية!

هذه الرغبة الملحة أبتلي بها القادة الدينيون في أيام المسيح إبتلاء ًشديداً . فمن جهة علماء الشريعة والفريسيين

المتزمتين ، نبه المسيح الناس إلى أنهم " ***يحبون المشي بالجُبب وتلقي التحيات في الساحات ، وصدور المجالس في الجامع ، والمفاعد الأولى في المآدب ، يأكلون بيوت الأرامل ، وهم يظهرون أنهم يطيلون الصلاة " [حسب مرقس 12:38-40].*** آه ما أقوى حب إمتداح البشر! فإننا نلبس في سبيله الجبب أو الأردية، ونشرئب له في الساحات أو الأسواق ، ونتوضع لأجله في الحفلات، ونشغل منصباً مهماً في دور العبادة، بل نطيل أيضاً صلواتنا لنستمر حبنا للمال غير الراحم بتمويه الممارسات الدينية. وهذا كله نحن معرضون لفعله لشهوتنا النهمة إلى إمتداح الناس لنا . فنحن نرغب في أن نطرى ويشاد بنا، ونريد من الناس أن يحبونا ويعجبوا بنا ويحسنوا الكلام عنا . وهذه نزعة قتالة ! فلا ننسى أن المسيح حذرنا بقوله : " ***من رفع نفسه وضع، ومن وضع نفسه رفع"[حسب متى 12:23].***

وفي[***الإنجيل حسب متى 6:16]*** قال المسيح إننا إن كنا نحب هذه المكافأة التي تأتينا من الآخرين نحصل عليها حتماً" ***الحق الحق أقول لكم إنهم أخذوا أجرهم*** " كاملاً. بعبارة أخرى ، إن كانت المكافأة التي تستهدفها بصيامك هي إعجاب الآخرين، فذلك هو ما ستناله، ويكون ذلك هو كل ما تناله. ذلك أن خطر الرياء أو النفاق يكمن في أنه ناجح جداً. فهو يستهدف إمتداح الناس، وينجح في جلبه. ولكن يكون هذا هو كل ما في الأمر!

لماذا يكون نفاقاً أن يعرف الناس ما انت فاعله؟

إنما تكمن مسألة هنا : لم هذا نفاق ؟ ههنا قوم متدينون، يقررون أن يصوموا، ولكن بدلاً من كتم صيامهم يكشفونه علناً. فلم هذا نفاق؟ كان ممكناً أن يبدو أنه عكس النفاق. فلم الصيام ليس نفاقا، بل النفاق أن تدهن رأسك وتغسل وجهك ولا تدع أحداً يعرف أنك صائم؟ أوليس تعريف النفاق ، أو

الرياء، أن تحاول الظهور خارجياً على خلاف ما أنت عليه داخلياً؟ فهؤلاء القوم المتدينون يظهرون الحقيقة ، إذاً لماذا لا يكونون نقيضاً للمنافقين؟ إنهم يصومون، ويظهرون صائمين، فلا تزييف ، بل صدق ... وإذا صمت فلا بأس في الظهور صائماً!

غير أن المسيح يسميهم " مرائين" ، منافقين ! لماذا ؟ لأن القلب الذي يحفز على الصوم ينبغي أن يكون قلباً خالصاً لله. فالصوم ، من منظور المسيح ، هو جوع إلى الله ، وإلا فلا يكون ما هو أسوأ منه. ولكن القلب الذي يحفزهم على الصيام جائع إلى إعجاب البشر . وعليه، فهم صرحاء وشفافون بشأن ما يفعلون ، غير أن هذه الصراحة خادعة من جهة ما في قلوبهم . ولو شاؤوا أن يكونوا صرحاء فعلاً ، لكان عليهم أن يعلقوا حول أعناقهم لافتة تقول : " أهم مكافأة لي في صومي هي إمتداح **البشر**". ولو فعلوا ، ما كانوا منافقين ، بل كانوا عقماء على نحو صريح شفاف لا نفاق فيه. ولكن في ما يفعلونه إخفاء لعقمهم وستراً له بالصوم. وهنا مكمن نفاقهم !

وعليه ، فقد وقع هؤلاء الصائمون في خطرين : **الأول** أنهم يلتمسون في صومهم المكافأة الخطأ ، أي تقدير الناس ، حباً منهم لامتداح البشر لهم ، والثاني أنهم يسترون هذا بتظاهرهم بمحبة الله. فالصوم يعني حباً لله ، جوعاً إلى الله. وهكذا يقولون إن لهم قلباً خالصاً لله، زلكنهم في الداخل يستقتلون للظفر بإعجاب البشر وإمتداحهم لهم.

إذاً كيف نصوم؟

في ***[الإنجيل حسب متى ، الفصل السادس والآيتين 17و18]***، يقدم المسيح بديلاً من طريقة الصوم تلك ، واصفاً الطريقة التي

يريد أن يتم بها ، فيقول : *" أما أنت ، فإذا صمت ، فإدهن رأسك وأغسل وجهك ، لكيلا يظهر للناس أنك صائم، بل لأبيك في الخفية، وأبوك الذي يرى في الخفية يجازيك"*.

هل يناقض الصوم الحماعي كلام المسيح؟

نجد في الكتاب المقدس ، بعهديه القديم والجديد، أنواعاً شتى من الصوم العلني. فمثلاً ، في*[سفر أعمال الرسل -23:14 31:13]* ، صام برنابا وبولس بطريقة ما كان ممكناً إبقاؤها سراً. فهل كانا طائعين لوصية المسيح هذه؟ وهل قال المسيح إن الصوم الوحيد المسموح به هو الصوم الشخصي الذي لا يمكن أن يلاحظه أحد آخر ؟ من شأن ذلك أن يبطل وجود الصوم عملياً ، لأنه حتى الصوم الشخصي يكاد يستحيل إبقاؤه سراً إذا كان متزوجاً أو متعوداً أن يتناول طعامه مع الآخرين.

ولكن في نصوص الكتاب بضعة دواع للإعتقاد أن المسيح لم يكن يستثني الصوم الجماعي. منها أن جماعة المسيح الباكرة ، بمن فيها الرسل، مارست الصوم العلني مثلاً*[سفر الأعمال 3:3]* . ومنها أيضاً أن هذا الجزء من*[الإنجيل حسب متى 6:1-18]* يستهل بالتحذير التالي: *" إياكم أن تعملوا بركم بمرأى من الناس لكي ينظروا إليكم"*. فبيت القصيد من الجزء كله ليس أن البر العلني " بمرأى من الناس أمر سيء، بل السيء أن يقوم به المرء **كي ينظر الناس إليه**.وهذا نؤكده حقيقة كون المسيح قد مارس الصلاة العلنية رغم أنه قال : *" أما أنت فإذا صليت فأدخل حجرتك وأغلق عليها بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفية"* راجع*[الإنجيل حسب لوقا 1:11, 21:3]* وحسب *[يوحنا 41:11]*.

ومن الإثباتات الأخرى لكون الصوم العلني ليس كله سيئاً، وأن المهم هو الحافز، حقيقة قول المسيح في*[إنجيل متى 16:5] " فليضيء نوركم للناس ، ليروا أعمالكم الصالحة ، فيمجدوا أباكم*

الذي في السماوات ". وهو هنا يجاوز القول إن بعض أعمال البر علنية لا يمكن إخفاؤها[كخدمة السامري الصالح للمنكوب]، إذ يقول بالأحرى إنّ على أتباع المسيح أن ***يريدوا من الناس رؤية*** أعمال برهم في سبيل تمجيد الله: " ***ليضيء نوركم للناس ، ليروا أعمالكم الصالحة***". وعليه ، فالحافز الموضوع على المحك ليس مجرد الرغبة أو عدمها في رؤية الآخرين لأفعالك ، بل **السبب** الذي يحدوك على جعلهم يرونها: أفي سبيل تمجيد الله، أم لتلقي الإعجاب؟

من هنا أقول إن عرف أحد أنك صائم فلا تكون بالضرورة قد أخطأت. إنّ قيمة صومك لا تتبدد إن لاحظ أحد أنك لم تتغدّ. فمن الممكن أن تصوم مع أناس آخرين- كأن تصوم مثلاً هيئة الرعاية في جماعة من جماعات المؤمنين لالتماس وجه الرب في خلوة روحية- ومع ذلك ***لا تفعل هذا حتى يراك الناس*** . فليس أن ترى صائماً مجرد حادثة خارجية . أما أن تصوم ***حتى يراك الناس***،على حدّ ما يقصد المسيح هنا ، فذاك حافز من القلب لتمجيد الذات.

أن تصوم حتى يراك الآب

من ثم يضيف المسيح القسيمة الإيجابية : إفعل هذا كله حتى ترى من قبل"أبيك الذي في الخفية". بعبارة أخرى، صم كي يراك الله، صم بنية صافية أن يراك الله. فكما يعلمنا المسيح، ما الصوم إلا فعل يتوجه نحو الله تحديداً. فقم به من نحو الله، وهو يرى حين لا يرى سواه.

إن المسيح يمتخن واقع الله في حياتنا. أعندنا حقاً جوع إلى الله نفسه أم جوع إلى الإعجاب البشري؟ فمـــا أسهل أن نقوم

بالأفعال الدينية فيما الآخرون يراقبون! ذلك إن الوعظ والصلاة ، وحضورإجتماعات العبادة وتلاوة الكتاب المقدس، وأعمال الرحمة والإحسان ، تكتسب جميعاً صبغة من إرضاء الذات وإبهاجها إذا علمنا أن الآخرين سيعرفونها ويحسنون الظن بنا. حقاً إن بنا إدماناً قتالاً للظفر بتقدير الناس وإعجابهم.

الهول في إضفاء صبغة الأفقية على المقدسات

ولكن ليس ذلك هو العيب الوحيد في حافز الرغبة في رؤية الآخرين لنا.فثمة ما يسيء إلى الله، وعلى نحو أكثر مباشرة. ألا وهو ذلك الإحساس الماكر الذي ينشأ في دواخلنا ، وعلى غير وعي منا عادة، أن الفعالية الحقيقية لأفعالنا الدينية هي على المستوى الأفقي بين الناس، وليس أمام وجه الله الكريم ، كأن نعلل هكذا : إذا رآني أولادي أشكر الله قبل تناول الطعام، فإن ذلك يفيدهم ، إذا رآني المسؤلون الآخرون صائماً ، فقد يحفزون على الصوم، إذا رآني زميلي في المهجع أقرأ الكتاب المقدس، فقد يحفز على القراءة... وهكذا دواليك.

إنما ليس ذلك كله سيئاً. فإن صلوات المسيح العلنية أثرت حتماً في حواريه**[الإنجيل حسب لوقا 1:11]** ولكن الخطر يكمن في أن حياتنا ، بما فيها النواحي الروحية ، تبدأ تسوغ وتفهم فقط على الصعيد الأفقي نظراً للآثار التي قد تخلفها لأن الآخرين يرونها حاصلة. ومن ثم يمكن أن يغدو الله، على نحو ماكر وبطيء، شخصاً ثانوياً في حياتنا المعيشية . قد نظن أنه تعالى مهم بالنسبة إلينا لأن كل تلك الأمور التي نحن فاعلوها هي من نوع الأمور التي يريد لنا أن نفعلها. غير أنه في الواقع ينزع من إطار الصورة بوصفه مركزها. ويترسخ ذلك في دوافع قلوبنا

بحيث نشعر بالرضى الكلي حين يكون الآخرون مراقبين لنا، إلا أننا نشعر بإنعدام الحوافز حين لا يعرف أحد ما نحن فاعلون إلا الله وحده!

وما يفعله المسيح بهذه الكلمات في الفصل السادس من الإنجيل حسب متى هو أنه يمتحن قلوبنا ليرى هل يكون الله نفسه كنزنا. إنه ينتقل بالصوم من المظهر الخارجي إلى الجوهر الداخلي الجذري، جاعلاً الصيام علامة على توجهنا الحقيقي نحو الله. " فبالنسبة إلى اليهودية، كان الصوم علامة **خارجية** على حالة **داخلية** ، أما بالنسبة إلى المسيح ، فقد كان الصوم علامة داخلية على حالة خارجية". ويجري المسيح الإمتحان ليرى إن كان إعجاب الآخرين بتقوانا، أو حتى تأثيرها الروحي فيهم ، قد أصبح الغذاء الحال محل الله والذي يغوي نفوسنا. ماذا يكون شعورنا حين لا يعلم أحد آخر ما نحن فاعلون؟ وبم نشعر حين لا يقول أحد: " كيف حال صيامك؟" أنحن قانعون بالله حين لا يعلم أحد سواه أننا قد فعلنا ما كان ينبغي فعله؟

إن المسيح يدعونا إلى التوجه نحو الله نفسه بصورة جذرية.إنه يدفعنا على أن تكون لنا عشرة شخصية حقيقية وأصيلة كلياً مع الله. فإن لم يكن الله بالنسبة إلينا حقيقة ملموسة، على نحو شخصي وحيوي، فما أشقانا إذ نتحمل أمراً صعباً حين لا يرانا أحد سوى الله! من شأن ذلك أن يبدو أمراً عديم المعنى إلى أقصى الحدود، لأن سلسلة الإمكانيات الأفقية تزول بكاملها فيما لا يعلم أحد ما نحن قائمون به. غير أن كل ما يهم هو الله، ومن هو الله، وماذا يفكر من جهتنا ، وما سوف يفعله.

أية مكافأة ينبغي أن نلتمس في صومنا؟

هذا ينقلنا إلى الجزء الأخير من الآية الثامنة عشرة، والوعـــد الـــذي يقدمـــه المسيح بشأن ما سيفعله الله لأجل الذين

يركزون رأسياً عليه ولا يبتغون مديح الناس لجعل تعبدهم قيماً. فالمسيح يقول: *وأبوك الذي يرى في الخفية يجازيك*" . وعليه ، فمن الخير والصواب أن نرغب ونطلب مكافأة الله في الصوم. وما المسيح ليقدم لنا هذا الوعد لو كان من العيب أن نبتغيه.و لطالما حاججت على مدى عقود بأن التماس مكافأة الآب ليس أدنى من المسيحية مستوى ولا مناقضاً للمحبة أو الفضيلة الحق.فكما قال " سي أس لويس":

هنالك مكافآت لا تلطخ الدوافع. فليس حب رجل لامرأة إرتزاقاً لأنه يريد أن يتزوجها، وليس حبه للشعر إرتزاقاً لأنه يرغب في قراءته، ولا حبه للرياضة منتقضاً لانه يريد أن يركض ويقفز ويمشي. فالحب، تعريفاً يسعى إلى التمتع بغرضه.

فإن الصواب " فقط لأنه بصواب " ليس مثالاً مسيحياً . أما فعل الصواب لأننا نريد أن نضاعف إبتهاجنا بالله فمثال مسيحي. وعليه، فهنا أيضاً يثار السؤال : أنسمع المسيح ونتعلم منه، أم نأتي بفلسفتنا من خارج الكتاب المقدس ونسكته مرة أخرى؟

إن مؤدي ما يقوله المسيح : " لا تصم حتى يراك الناس، بل حتى يراك أبوك السماوي وأبوك الذي في الخفاء هو يكافئك". وليس في المعنى الأصلي ما يفيد إعطاء الأجر مقابل عمل يؤدى. فاللفظة اليونانية " أيودوساي" قد تشير إلى وفاء الدين مثلاً*[الإنجيل حسب متى 26:5*] ولكن ليس دائماً. وهي الكلمة المستعملة لتسليم الوالي بيلاطس جثمان المسيح إلى يوسف الرامي [**حسب متى 58:27**]، ولإعادة المسيح السفر إلى خادم المحفل[**حسب لوقا 20:4**]،ولردة الصبي الذي شفاه إلى أبيه [**لوقا 42:9**]، ولتأدية الرسل الشهادة بإنبعاث المسيح من الموت حياً [**سفر أعمال الرسل 33:4**]، ولمكافأة الرسول بولس بإكليل البر *[الرسالة الثانية إلى طيموتاوس 8:4].*

إذاً ، لا تتضمن الكلمة في ذاتها مبادلة تجارية حيث يعطى المرء أجراً لقاء عمل يؤديه.

فكيف ينبغي لنا أن نفكر في مكافأة الله ؟ إنّ الله يرانا صائمين، ويرى أن لدينا شوقاً شديداً يبعدنا عن إستهلاك خيرات الدنيا كي نصوم. إنه يرى أن قلوبنا لا تنشد المسرات الشائعة الحاصلة من إعجاب البشر وتصفيقهم. إنه يرلى أننا لا نتصرف بدافع من القوة حتى نبهر الآخرين بإنضباتنا وتدربنا ، ولا حتى بدافع من الرغبة في التأثير بالآخرين كي يحذوا حذونا. ولكننا قد توجهنا نحو الله من ضعف كي نعبر له عن لإحتياجنا– وعن إشتياقنا الشديد– إلى أن يتجلى في حياتنا على نحو أبهى، لبهجة نفوسنا ولمجد اسمه تعالى.

كيف يمكن أن نخون الله بالصوم؟

حين يرى الله حالنا، يستجيب لنا، فيتصرف ويكافىء . فما هي " المكافأة" أو " المجازفة" التي يعد بها المسيح من لدن الله أبينا في هذه الآيات؟ بطريقة غير سوية، قد يتساءل حتى عن كون المكافأة الموعود بها من لدن الله هي " مدح الناس"، وكأن الله قال:" ما دمتم لم تلتمسوا هذا الجزاء بالصوم العلني ، بل تطلعتم إلي، فسأعطيكم هذه الأمنية التي تتوقون إليها فأجعل البشر يمتدحونكم". فإن كان هذا مرتجانا، نخون الله أبانا.

ذلك هو ما تتناوله[***رسالة يعقوب في الفصل الرابع، الآيتين 4,3]***. فإن يعقوب يصور الصلاة والدعاء بصورة التماس نرفعه إلى سيدنا السماوي. ثم ينظر في إمكانية طلبنا إلى سيدنا أن يدفع لنا أجرة خيانتنا له: ***" تسألون ولا تنالون، لأنكم لا تحسنون السؤال ، لرغبتكم في الإنفاق على أهوائكم. أيتها الزواني ، ألا تعلمون أن صداقة***

العالم عداوة الله؟" والكلمة " الزواني" هي المفتاح هنا. فالمؤمنون يدعون هنا " زواني" إذ يصلون لأجل شيء ينفقونه على أهوائكم .وذلك لأن الله تستعار له هنا صورة " الزوج" ، فيكون العالم – أي الحياة الدنيا– بمثابة بغي تغوينا بأن نمحضها المودة التي تخض الله وحده. إلى هذا الحد البغيض يمكن تكون غواية " الدنيوية" ماكرة. فربما تذر برأسها ليس ضد الصلاة، بل في الصلاة، ليس لأجل الله سيدنا " وزوجنا" الكلي الكفاية، بل لأجل عطاياه في الدنيا فحسب ، حتى لنا أن نغرم بها ونمحضها الود.

كلاّ! فإن المكافأة التي ينبغي لنا أن نلتمسها من لدن الأب السماوي في الصوم ليست أولاً أو أساساً عطايا الله بالذات. ففي أي موضع من السياق يمكن أن نستشف المكافأة التي يشجعنا الله على نشدانها؟أعتقد أن لنا دليلاً ثقة في الصلاة التي علمها المسيح حواريه تواً كما دونت في***[الإنجيل حسب متى 6:9-13]***.فهي تبدأ بثلاث طلبات ينبغي للمؤمنين أن يرتجوها من لدن الله : الأولى أن يقدس إسم الله أو يجل ويهاب، والثانية أن يحل ملكوت الله، والثالثة أن يجري العمل بمشيئته على الأرض كما هو جار في السماء. فتلك هي المكافأة الأولى والأولى التي يوصينا المسيح بأن نلتمسها في صلاتنا وصومنا، حيث يصوم بدافع الأشتياق لأن يعرف اسم الله ويقدر ويكرم، وبدافع الإشتياق لأن يمتد ملكوته ثم يبلغ كماله وتمامه في التاريخ ، وبدافع الإشتياق لأن يجري العمل بمشيئته في كل مكان بمثل الطاقة والمثابرة اللتين بهما يجري العمل بها في السماء على أيدي الملائكة الذين لا ينون ولا يهنون ولا يغمض لهم جفن إلى أبد الآبدين.

إبتغاء ما ليس الله... في سبيل الله

يقيناً أن الله يرزقنا خبز يومنا ، وأشياء كثيرة أخرى ، من طريق الصلاة والصوم. وليس من الخطاء أن نلتمس معونته تحديداً في كل ميدان من ميادين حياتنا . غير أن هذه الطلبات الثلاث – أي إكرام اسمه وإقبال ملكوته وإتمام مشيئته– هي المحك والإمتحان الذي به جوعنا إلى الله ، أم هل تتنافس عطاياه لاحتلال مكان السيادة والصدارة والإعزاز في حياتنا .فهيمنة الله على شيء هي المكافأة العظيمة التي نتوق إليها في صومنا: هيمنته على عواطفنا وقرارات حياتنا جميعاً ، في طهارة جماعة المسيح، هيمنته في إنقاذ الضالين ونجاتهم الأبدية، هيمنته في توطيد البر وإشاعة العدل ، هيمنته لأجل فرح الشعوب كلها خلال تبليغ العالم كله بشارة الحياة والنجاة. فإن التوجه إلى الله إلتماساً لهيمنته أو سيادته الكلية الكفاية يضع على المحك جميع رغباتنا الأخرى : أهي في سبيل الله؟ هذا هو السبب الأقصى الذي من أجله دعانا المسيح لأن نصوم بغير أن نرغب في رؤية الآخرين لنا . ليس فقط حتى نحصل على إشباع رغباتنا من عند الله ، لا من عند البشر(وبذلك نجعل الله قيماً على خيانتنا الروحية له!) ، بل بالتحري حتى نعد الله نفسه رغبتنا القصوى وكل ما عداه شعاعاً ثانوياً لمجده الآسر.

وهكذا نسأل ، إذ نصوم ونصلي : هل نريد قهر العادات السيئة والعادات القديمة ، وإزالة كل عقبة في سبيل التمتع الأكمل بالله، حتى يرى الناس ويمجدوا الله ؟أنريد لأبنائنا الضالين وبناتنا التائهات أن يعودوا إلى كنفنا لأن من شأن ذلك أن يكرم اسم الله؟ أنريد لجماعات المؤمنين بالمسيح أن تنمو لأنّ تقديس اسم المسيح عرضة للخطر بين غير المؤمنين ؟

أنريد للبلدان المقفلة في وجه بشارة المسيح أن تفتح أبوابها رغبة منا في سيادة ملك المسيح؟ أنريد أن يتولى المسؤوليات في الحكومات قادة نزهاء لأنه ينبغي لهذا العالم أن يعظم صلاح الله وعدله؟

ذلك هو ما يدعونا المسيح إليه: أن نتوجه نحو الله جزرياً في عيشتنا وصلاتنا وصومنا . وعليه ، فلأجل خير نفسك ، وتجاوباً مع المسيح ولأجل تعزيز سيادة الله في كل شيء لخير جميع الشعوب ، مشط شعرك وأغسل وجهك ، ودع أباك الذي يرى في الخفية يلاحظ كم أنت جائع إليه بصيامك . فالأب السماوي الذي في الخفاء فياض بالمكافأت لأجل فرحك ولأجل مجده.

" وكانت هناك نبية هي حنة إبنة فانوئيل...
لا تفارق الهيكل ، متعبدة بالصوم والصلاة ليل نهار...
أخذت تحمد الله، وتحدّث بأمر الطفل كل من
كان ينتظر إفتداء أورشليم "
-[الإنجيل حسب لوقا 2:36-38.]
" وقد أعدّ لي إكليل البر الذي يجزيني به
الربّ ، الديّان العادل ، في ذلك اليوم ، لا وحدي
بل جميع الذين إشتاقوا ظهوره...
آمين ، تعال أيها الربّ يسوع".
-[رسالة طيموتاوس الثانية 4:8]،
[رؤيا يوحنا 22:20]

هل نحب ظهور الربّ وتشتاقه؟ إذا لا بد أن تبذل كل جهد لحمل البشارة إلى العالم كلّه. ففي ضوء التعليم الصريح في

كلام الله المكتوب، وفي ضوء تعريف سيدنا لدعوتنا ورسالتنا في " مأموريته العظمى"، يقلقني أن نستخف بهذا الأمر . فإن له الملك ، وهو مالك في السماوات ، ويعلن ملكه على الأرض قي جماعته وبها. حتى إذا أكملنا رسالتنا، فإنه سيعود ويقيم ملكوته في مجده الباهر. وقد وهبنا لا أن ننتظر إقبال يوم الله فحسب ، بل أن نستعجل مجيئه أيضاً.

جورج لادّ

" بشارة الملكوت"

-4-

الصوم لأجل مجيء الملك

كم نفتقده؟

إن الصوم تعبير طبيعي عن جوع القلب إلى رجوع المسيح رأينا في ***[الإنجيل حسب متى 15:9]*** (الفصل الأول) أنّ المسيح صور نفسه بصفته **عريس جماعته،** وأوضح أن حواريه لم يكونوا يصومون لأن **العريس** بينهم. ثم أردف: ***ولكن ستأتي أيام، فيها يرفع العريس من بينهم ، فحينئذ يصومون"***. وهكذا يربط المسيح صومنا المسيحي بالإشتياق إلى عودة العريس . وعليه ، فمن أهم معاني الصوم المسيحي التعبير عن جوع قلوبنا إلى مجيء **الملك.**

الصيام والعشاء الرباني

الصوم قسيم متوجه نحو المستقبل للإحتفال المتوجه نحو الماضي بالعشاء الرباني. فقد قال المسيح : ***" إصنعوا هذا لذكري "[الإنجيل حسب لوقا 22:19].*** فعند تناول العشاء الرباني نتذكر الماضي فنقول : لقد جاء المسيح؛ ولقد مات مصلوباً تعويضاً عن آثامنا ومعاصينا ، ولقد إنبعث حياً من بين الأموات؛ فأسقطت ذنوبنا وغفرت لنا آثامنا وخطايانا ، إذ وقعت دينونتنا وعقوبتنا على المسيح نيابة عنّا. وهكذا برئت ساحتنا وختم صك براءتنا ، وتمت مصالحتنا مع الله، وفك قيد عبوديتنا للمعصية والخطيئة، وسحق عدو نفوسنا مبيناً. لقد كسرت شوكة الموت ، وتحول عنا

مصير الجحيم إلى غير رجعة ، ووهبنا الحياة الخالدة إلى الأبد. نعم ، لقد جاء سيدنا الفادي العظيم ! فلنعيد على أساس هذه الحقائق العظيمة ونرسخ نفوسنا على الأساس المتين في إحسان الله وإنعامه الفائقين المتجليين في موت المسيح النيابي وإنبعاثه المجيد.

ذلك ما نقوله في أكلنا للعشاء الرباني ، ولكن بعدم الأكل ، أي بالصوم ، ننظر إلى المستقبل وفي قلوبنا وجع وأنين ، قائلين : " حقاً، لقد جاء. وحقاً كان ما فعله لاجلنا فريداً مجيداً. ولكن بسبب ما رأينا ، وما تذوقنا، نشعر فعلاً بغيابه شعورنا بحضوره. لقد رحل عنا **العريس** وهو ليس هنا بجسده. كان هنا، وأحبنا منتهى الحب ، إلى أقصى الحدود . وفي وسعنا أن نأكل ، بل أن نحتفل ونعيد، لأنه قد جاء . غير أننا أيضاً نعلم هذا : ليس هو ههنا بعد كما كان قبلاً . كما قال الرسول بولس: < ما دمنا في هذا الجسد ، ***نحن في هجرة عن الرب> وغياب السيد مؤلم جداً***. كذلك الشر والشقاء في العالم مؤلمان . وشعب المسيح ضعفاء ومحتقرون،< كالخراف بين الذئاب> ***[حسب متى 16:10]***. فإننا نتوق إليه كي يعود ويتبوأ عرشه ويملك في وسطنا ويزكي شعبه وحقه ومجده!".

لست أعني الإدعاء أن المسيح سن الصيام ، بمثل الرسمية والحسمية اللتين بهما سنّ العشاء الرباني . فما قال قط عن الصوم : ***إفعلوا هذا حتى رجوعي***". غير أنه قال : " ***ستأتي أيام فيها يرفع العريس من بينهم ، فحينئذ يصومون***". فلسنا هنا أمام وصية صريحة أو فرض مسنون ، بل أمام إنباء مسبق.فههنا تصريح بما سوف يبدو سوياً لدى الذين يحبون **العريس** ويفتقدونه.

مناداة الله نهاراً وليلاً

إنّ الصيام يطرح هذا السؤال : هل نفتقد عريسنا الغائب؟ وما مدى جوعنا إلى رجوعه؟ ألا إنّ الصوم المنتظم شبه الشامل

لأجل رجوع المسيح لهو شهادة على أكتافنا بحضور الدنيا وغياب العريس. وما هكذا ينبغي أن يكون الوضع!ففي [***الإنجيل حسب لوقا 18:7و9]*** يقول المسيح :

" أنما ينصف الله مختار يه الذين ينادونه نهاراً وليلاً وهو يتمهل في أمرهم؟ أقول لكم : إنه يسرع في إنصافهم . ولكن ، متى جاء إبن الإنسان أفتراه يجد الإيمان على الأرض؟"

وبيت القصيد في هاتين الآيتين أن إبن الإنسان (أي المسيح) سوف يعود. وعندما يعود، **يؤتي** مختاريه العدل. فلا يعودون يظهرون " ***شبه أقذار العالم ونفاية الناس أجمعين " [رسالة قورنتس الأولى 13:4] ، بل " يشعون حينئذ كالشمس في ملكوت أبيهم" [حسب متى 43:13]*** . وبينما يخور إيمان الكثيرين ، وتفتر المحبة في أكثر الناس***[الإنجيل نفسه 12:24]***، فإن إبن الإنسان حين يجيء سوف يجد مختاريه ثابتين على الإيمان والمحبة إلى النهاية***[حسب مرقس 13:13]*** .

ولكن لنلاحظ حالة أولئك المختارين الذين سوف يزكون عندما يعود المسيح. يقول المسيح إنهم " ***ينادونه نهاراً وليلاً***". وهذا هو العنصر المفقود لدى الجماعة المسيحية المستريحة اليوم في العالم العصري. ففي أي مكان ينادي المؤمنون المسيح نهاراً وليلاً كي يعود وينصف مختاريه؟ وأين يوجد ذلك التوق والوجد بشأن إكتمال الملكوت؟ فلا عجب إذاً إن كان السؤال عن الصيام لأجل مجيء العريس قلما يطرح. إذا كان صراخ المناداة بالذات غير موجود، فلماذا يفكر المرء ولو تفكيراً عابراً في التعبير عنه بالصيام؟

تعال أيها الرب يسوع!

ترى ، ما هي صرخة المناداة؟ وماذا كانت صرخة جماعة المسيح الباكرة ؟ لقد كانت صرخة جماعة المسيح الأولى:

*" **تعال أيها الرب يسوع** !"* وليس من قبيل الصدفة المحض أن تكون آخر كلمات الكتاب المقدس أولاً ما قاله المسيح : *" **إني آت على عجل** "*، ثم جواب جماعته : *" **آمين ! تعال أيها الرب يسوع** "[**رؤيا يوحنا 20:22**]*. فهذه هي الصرخة المقصود أن يخلفها الكتاب المقدس كله في قلوب المختارين.

ومن الكلمات الآرامية القليلة التي حفظتها جماعة المسيح الناطقة باليونانية عن اللغة الأصلية التي إستخدمها المسيح وأتباعه الأولون كلمة *" **مارانا تا** ". ففي [**الرسالة الأولى إلى مؤمني مدينة قورنتس ، في الآية الثانية والعشرين من الفصل السادس عشر**]، يختم بولس رسالته بقوله : *" **إن كان أحد لا يحب الرب ، فليكن محروماً ! مارانا تا**"*. ومعنى هذه اللفظة " ربنا، تعال !" ولا نكاد نشك في أن هذه الكلمة أبقيت على حالتها الأصلية الآرامية للسبب عينه الذي من أجله أبقيت الكلمة " آمين" العبرية الأصل على حالها دون تغيير وذلك في جميع لغات العالم تقريباً ، حيث تستخدم دائماً بصيغتها الواحدة ، فالتعبير " مارانا تا" كان صرخة المناداة المقيمة دائماً في القلوب لدى جماعة المسيح الباكرة... " ربنا، تعال!".

وكان المسيح قد علم حواريه أن يصلوا: *"**ليأت ملكوتك**"* [**حسب متى10:6**] ، كما علمهم أن الملكوت سوف يحل بكماله وتمامه عندما يرجع هو نفسه *" **في مجد أبيه ومعه ملائكته**"[**الإنجيل نفسه 27:16**]*. لذلك كان الدعاء " ليأت ملكوتك" مرادفاً بالفعل للتعبير " **مارانا تا**" أي "تعال" أيها الرب يسوع!" ففي وسعنا أن نرى مركزانية هذه المناداة القلبية بالنسبة إلى الجماعة المسيحية الأولى. وما كان ذلك من قبيل الإهتمامات الهامشية السطحية، بل كان نقطة الدائرة بالنسبة إلى لسان حال شعب المسيح جميعاً. فإن **العريس** إنطلق في سفره قبيل العرس، وليس في وسع العروس

أن تتصرف كما لو كان كل شيء طبيعياً سوياً . فإذا كانت تحبه، فلا بد أن تئن ونحن إلى رجوعه!

هل نشتاق ظهور المسيح؟

بالحقيقة أن الرسول بولس يتحدث عن محبة ظهور المسيح ويجعلها محكاً لأصالة الإيمان. ففي أواخر حياته قال: *" وقد أعد لي **إكليل البّر الذي يجزيني به الربّ، الديان العادل ، في ذلك اليوم ،لا وحدي بل جميع الذين إشتاقوا ظهوره"[الرسالة الثانية إلى طيموتاوس4:8]***. إذاً ، ليس " إكليل البر" مكافأة لفئة واحدة فقط، الأمر الذي يقسم المختارين إلى أبرار وغير أبرار. إنه الإكليل الذي يُعطاه جميع شعب الله المؤمنين. إنه بمثابة " ***إكليل الحياة الذي وعد به من يحبونه "[الرسالة يعقوب 12:1]***، ومن هم أمناء " ***حتى الموت "[رؤيا يوحنا2 10:2]***. وعليه ، فإن الإشتياق إلى ظهور المسيح ليس فعلاً مسيحياً إختيارياً يمكن أن يفوز بمزيد من المكافيات ، بل هو ما يفعله الإيمان المسيحي الحق: إذ يحب المسيح ويشتاق ظهوره. فاللإيمان المنقذ يقول : " ليأت ملكوتك! ارجع أيها العريس الغالي . ارجع واحكم ملكاً. هيا ، تعال وزكّ شعبك منصفاً. هيا، أقبل وخذ عروسك!"

ما تعلمناه إياه حنة بشأن الإشتياق

إذ سبق المسيح فأنبأ بصيام العروس لأجل رجوع **العريس [الإنجيل حسب متى9:15]**، ما كان يتصور شيئاً غير مسموع به. فإن سابقة الصوم لأجل ملكوت الله كانت معروفة بين الأتقياء يومذاك. ويوافينا لوقا بلمحة عليها في الإنجيل الذي دونه***[لوقا 2:36-38] :***

*" **وكانت هناك نبية هي حنة إبنة فانويل من سبط آشر، طاعنة في السن، عاشت مع زوجها سبع سنوات ثم بقيت أرملة فبلغت الرابعة***

والثمانين من عمرها، لا تفارق الهيكل ، متعبدة بالصوم والصلاة ليل نهار. فحضرت في تلك الساعة ، وأخذت تحمد الله، وتحدث بأمر الطفل كل من كان ينتظر إفتداء أورشليم".

فإن يوسف ومريم كانا قد صعدا بيسوع (عيسى) طفلاً إلى المعبد الكبير في مدينة القدس . ويخبرنا لوقا عن شخصين طاعنيين في السن ، هما سمعان وحنة، عرفا هوية الطفل العظيم. وما يميز هذين الشخصين أنهما كانا يشتاقان ويتلهفان إلى مجيء المسيح. ففي ***[الآية الخامسة والعشرين]*** يقول لوقا إن سمعان كان ***" ينتظر الفرج لإسرائيل ، والروح القدس نازل عليه".*** وفي***[الآية السابعة والثلاثين]*** يفيدنا أنّ حنّة فعلاً ما كانت ***" تفارق الهيكل"*** أي المعبد، متعبدة للرب ***" بالصوم والصلاة ليل نهار".*** وبعبارة موازية ، كانت مثل سمعان تماماً، تشتاق وتحن إلى مجيء المسيح. فقد كانت تصوم وتصلى ليلاً ونهاراً كانت تتشوق إلى إقبال من يتم الفداء لشعبها وللجميع ، أي إلى المسيح الفادي.

ونراها في **[الآية الثامنة والثلاثين]** قد حضرت في اللحظة المناسبة لرؤية المسيح طفلاً ، وأخذت تحمد الله عليه وتتحدث عنه إلى كل ***" من كان ينتظر فداء أورشليم ".*** وبكلام آخر ، لقد آتى الله لمحة خاصة على مجد الملك أولئك الذين كانوا يحنون إلى فداء شعب الله آنذاك . وقد عنى هذا الإشتياق لحنة صوم وصلاة ، عقداً من السنين بعد عقد، ربما طيلة ستين سنة منذ وفاة زوجها ، وكانت تتعبد في الهيكل .

وبإعتقادي أن لوقا يخبرنا بأمر سمعان وحنة كي يوضح المشاعر التي تغمر قلوب الأتقياء حيال الوعد بمجيء المسيح وكيف يستجيب الله لأشواقهم القلبية. فهؤلاء يرون أكثر مما يراه الآخرون. ربما لا يفهمون جميع التفاصيل المتعلقة بكيفية مجيء

المسيح، مثلهم مثل سمعان وحنة يقيناً، غير أن الله ينعم عليهم مترئفاً ، قبل وفاتهم، بلمحة على ما تشوقوا إلى رؤيته أشد تشوق.

أنشتاق نحن إليه أقلّ؟

هل نحن الآن نعيش بعد مجيء المسيح أول مرة . فقد جاء ثم مضى. وقد أعلن مجده، وأراق دمه من اجل معاصينا وآثامنا، وإنبعث من الموت حياً، ثم صعد إلى السماء حيث جلس عن يمين الله الآب ، منتظراً الوقت الذي فيه يضع الله جميع أعدائه تحت قدميه. وقد أرسل الروح الإلهي الطاهر كي يخلقنا خلقة ثانية ويخصصنا لله ويسكن في دواخلنا. وقد أوصى جماعته بأن يدعوا إليه جميع الأمم ويبشروا بالحياة والنجاة فيه. ولقد وعد في***[الإنجيل حسب يوحنا 3:14]*** ، قائلاً : " ***أرجع فآخذكم إليّ لتكونوا أنتم أيضاً حيث أنا أكون***".

ففيم يقارن وضعنا بوضع حنة؟ لقد كانت آمالها مرتكزة على وعود الله الصادقة ، كآمالنا نحن. ولكن كم يفوق ما رأيناه ما رأته هي بما لا يقاس! وما أكثر ما نعرفه من أمر المسيح وما يمكن ان نرجوه! فهي ما رأت قط ما رايناه نحن من سني النعمة والرحمة والقدرة. ولم تسمع قط ما سمعناه نحن من كلام السلطان والحكمة والمحبة. ما رأت قط العميان وقد رد لهم البصر والعرج يمشون، والبرص المجذومين يبرأون والصمّ يسمعون، والموتى يبعثون أحياء، والمساكين يبشرون، وذلك كله على حدّ ما فعله المسيح. وما رأته قط معتكفاً معانياً في بستان جتسماني ، ولا مصلوباً لأجلنا في جلجثة وما سمعت قط كلمات الرحمة الفائقة : " ***الحق أقول لك : ستكون اليوم معي في الفردوس "، ولا صيحة الظفر:*** " ***تمّ كل شيء!***" وما رأته بعد إنبعاثه من الموت حياً داحراً

الشرّ والموت والجحيم. ومع ذلك فمما عرفته عنه من التوراة (كتاب العهد القديم)، أنت إليه وحننت، وصامت وصلت ليل نهار، منتظرة الفداء العتيد أن يتم.

غير أننا نحن قد رأينا ذلك كله. ونحن نعرف المسيح المنجي أفضل مما عرفته حنة بمئة مرة. والآن ، فالشخص الذي عرفناه حق المعرفة قد غاب، ونحن نسير بالإيمان، لا بالعيان. **والعريس** الذي نحبه رفع من عندنا، فأرجئت حفلة الزفاف، كما لو أنّ لحن العرس قد بدأ ونحن مشينا في الممر إليه، وفي آخر دقيقة توارى عن الأنظار!

أفنشتاق إليه من إشتياق حنة؟ أولنا في حقيقة كوننا قد شاهدناه يحيا ويحب ثلاث سنين وقليلاً ، بل في مشاهدتنا له الآن بالروح، ما يجعل شعورنا بأشواق حنة أو أكثر؟ أواه! يا لها من تهمة تثبت علينا العَمَه والبلادة والبرودة إن كان الجواب " أقل"!

تحريم الصوم من إنغماس النفس الحسّي

من تأثيرات الصوم أنّه يعزز ما يعبر عنه. أعني أن الصوم في الأساس هو تعبير النفس عن جوعها إلى الله, فهو ليس وسيلة مفروضة قسراً لحملنا على أن نحب الله ونخلص له المودة. إننا نحبه ونشتاق إليه. ومن ثم يبرز الصوم كوسيلة لأن نقول بكل جوارحنا قولاً قاطعاً ما تشعر به قلوبنا: *" إنني أجوع إليك يا إلهي!"* وعليه ، فالصوم تعبير عن الجوع إلى الله، لا موجد له.

غير أنه صحيح أيضاً أن طبيعة الصوم بحد ذاته تجعله معواناً لهذا الجوع إلى الله. والسبب أنّ الجوع إلى الله روحي، لا طبيعي. ونحن نكون أقل إحساساً بالقابليات الروحية حين نكون مقيدين بالشهوات الطبيعية. معنى هذا أن الصوم طريقة لتنبهنـــا

إلى الشهيات الروحية الكامنة بدفع سيادة القوى الطبيعية بعيداً عن مركز حياتنا . وقد أحسن " جان وسلي" التعبير عن هذا الواقع، إذ إنّ ما يدعوه " إنغماس النفس الحسي" يشكل عائقاً كبيراً في سبيل إشتياقنا إلى رجوع المسيح. ولذلك يعزز الصوم إختبار الجوع إلى الله فيما يعبر عنه أيضاً:

إنّ تخمة الخبز تضاعف لا عدم مبالاة الروح وخمولها فقط، بل أيضاً الشهوات الباطلة والدنسة، بل العواطف غير الطاهرة والنجسة. حتى الإقبال المعتدل المنتظم على تلبية حاجات النفس الحسية يدفعها إلى الإنغماس وينزلها إلى مستوى البهائم البائدة. فلا يحيط الوصف بكل ما للإسراف والتنعم بالأطعمة من تأثير في الدهن والجسم على سواء، حيث يجعل ذلك النفس متأهبة لانتهاب جميع المسرات الحسية ما أن تسنح الفرصة. وعليه، فعلى هذا الأساس عينه ، يضبط كل عاقل نفسه ويبقيها خاضعة، ويفطمها على نحو متزايد عن إنغماسات الشهوات الدنيا التي تميل طبيعياً إلى تقييدها بالدنيويات، وإلى تلويثها وجعلها منحطة أيضاً. فههنا سبب آخر يدعو الشهوات الغبية المضرة وكبح جماح العواطف الدنسة الباطلة.

لست أقصد الإستهانة بعطايا الله الصالحة ، كما لو كان تناول الطعام شراً أو حتى عائقاً لرهافة الحس الروحيّ. فأنا إنما أقول مع " وسلي" إن معظمنا يجازفون بالإسراف في " الإنغماس الحسي" بمجرد إشباع كلّ رغبة، وندرة التمهل لهنيهة من تكران النفس حتى نكتشف إن كانت تحيا فينا شهيات روحية بوسعها أن تشبعنا على مستوى أعمق بكثير مما يشبعنا الصوم ، ومقصود

منها أن تكرم الله. وهكذا هي رغبة القلب التواقة إلى مجيء المسيح ملكاً.

السيدّ يأتي كي يخدم!

تأمل كيف يصف كتاب العهد الجديد قلوب المؤمنين إذ يعيشون في ظل مجيء المسيح. فقد تذكروا كلماته التي تضمنها واحد من أعجب أمثاله: ***وكونوا مثل رجال ينتظرون رجوع سيدهم من العرس ، حتى إذا جاء وقرع الباب يفتحون له من وقتهم " [الإنجيل حسب لوقا 35:12]*** . وقد أشرت إلى هذا المثل بأنه من أعجب الأمثال لأنه يصور المسيح العائد بصورة "سيد" ومع ذلك " ***يشدّ وسطه ويجلسهم (أي خدامه) للطعام ، ويدور عليهم يخدمهم"[الآية 37]*** . أفليس هذا حابساً للأنفاس؟ الشخص الذي ننتظره، والذي سوف يأتي ، هو نفسه يعظم جلاله بالرحمة والخدمة فيجعل نفسه خادماً لفرحتنا إلى الأبد. فإنه ، حتى بعد مجيئه الثاني ، " ***لا تخدمه أيد بشرية ، كما لو كان يحتاج إلى شيء ، فهو الذي يهب الخلق الحياة والنفس وكل شيء" [سفر الأعمال 25:17].***

وهكذا ، فإنّ المؤمنين الأولين بالمسيح تذكروا وصية المسيح أن " كونوا مثل رجال ينتظرون رجوع سيدهم " ويا له من سيد خادم فائق! ههنا صورة مختلفة عن صورة **العريس** ، ولكنها لا تقل عنها بعثاً للفرح . ومن ثم آمنوا بأن رجوع المسيح ، مهما كانت شديدة الآلآم التي عليهم إحتمالها، سوف يكون إختباراً من الفرح والإبتهاج كليّ التعويض: " ***بل إفرحوا بقدر ما تشاركون المسيح في آلامه ، حتى إذا تجلى مجده كنتم في فرح وإبتهاج " [رسالة بطرس الأولى 4:13].***

معاناة مغترب

لقد كان ذلك الرجاء مهيمناً على المؤمنين الأولين بالمسيح حتى إنهم عاشوا حياتهم كلها عيشة مغترب. لم يعن هذا أنهم لم يعنوا بخير جيرانهم. بل على العكس، إذ إنّ التحرر الغني من محبة الأشياء وفر لهم حرية محبة جيرانهم بغير غرض وبفرح. وقد صدرت هذه الحرية من رجائهم الأخروي. فكانت المحبة المضحية من قبل المؤمنين بينة على أن رجاءهم آت من خارج نظام هذا العالم ***[رسالة قولسي 4:1و5 ؛ رسالة العبرانيين 32:10-34]***. وقد كان إقرارهم المشترك ***: " ليس لنا هنا مدينة باقية "[رسالة العرانيين 14:13]***؛ نحن ***" غرباء نزلاء "[رسالة بطرس الأولى 11:2]***. ويعني هذا أنّ رجوع مليكهم هو التوقع العظيم البهيج المضرم للمحبة: ***" أما نحن فموطننا في السماوات ، ومنها ننتظر مجيء المخلص ، الربّ يسوع المسيح"[رسالة فيلبي 20:3]***.

هذا " الإنتظار" المقرون بالشوق يتخلل كتاب العهد الجديد كلّه، ويحدد معنى الإنتماء إلى المسيح: ***[فكذلك المسيح قرب مرة واحدة ليزل خطايا جماعة الناس ، وسيظهر ثانية بمعزل عن الخطيئة ، للذين ينتظرون للخلاص" [رسالة العرانيين 28:9]. " حتى إنّه لا يعوزكم شيء من الهبات، وأنتم تنتظرون تجلّي ربنا يسوع المسيح" [رسالة قورنتس الأولى7:1]." ... إن ننبذ الكفر وشهوات الدنيا... منتظرين السعادة المرجوة وتجلي مجد إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" [رسالة تيطس 12:2 و 13]. " وأحفظوا أنفسكم في محبة الله ، وإنتظروا رحمة ربنا يسوع المسيح من أجل الحياة الأبدية"[رسالة يهوذا 21]***.

وهذا " الإنتظار" المقرون بالشوق لدى جماعة المسيح الباكرة لرجوع العريس يفسر صلاتها علـــى نحـــو ما صلت. فليس في

وسعك حقاً أن تشتاق إلى شيء إشتياقها الشديد إلى المسيح ولا تصرخ إلى الله منادياً. وهكذا نادت ودعت : " يا ربّ ، ليأت ملكوتك! " " مارانا تا" ! " تعال، أيها الرب يسوع!" ويقيناً أن هذا الجوع إلى المسيح ينبغي أن ينبعث في جماعة المسيح المستريحة، ولا سيما في الغرب المزدهر مادياً. وغياب الصيام مؤشر لاستراحتنا على الأمور كما هي عليه. فما من أمرىء يصوم كي يعبر عن مدى إكتفائه، بل إن الناس يصومون فقط بدافع من عدم الإكتفاء: " ***أيستطيع أهل العرس أن يحزنوا ما دام العريس بينهم؟ ولكن ستأتي أيام فيها يرفع العريس من بينهم، فحينئذ يصومون" [الإنجيل حسب متى.15:9].*** وهكذا يكون إنعدام الصيام معياراً لإكتفائنا بغياب المسيح.

الصوم لأجل الملك ليس ضبط نفس سلمياً

ولكن يرتكب خطأ خطيراً من يظن أن إيقاظ الشوق إلى العريس ينبغي أن ينشىء موجة من الإنكفاء النسكي إلى الإنتظار الخامل المشتمل على الصوم والصلاة . فليس ذلك ما ينشئه إيقاظ الشوق إلى المسيح. بل إنه ينشىء بالأحرى إلتزاماً جديداً جذرياً مهمة تبشير العالم مهما كان الثمن. وليس من شأن الصوم أن يغدو ضبط نفس سلمياً لأجل الآمال الخاصة، بل أن يكون سلاحاً مهوباً في معركة الإيمان التي لا هوادة فيها.

أما سبب قولي هذا فبسيط: إذا كنّا نشتاق لأن يعود المسيح ويأتي الملكوت ، فعندئذ ننذر حياتنا لإستيفاء الشرط الأساسي لعودته، أعني ما جاء تحديداً في[***الإنجيل حسب متى 14:24] " ستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كله شهادة لدى الوثنيين أجمعين، وحينئذ تأتي النهاية".*** فلن تأتي النهاية قبل أن تتلقى كل أمة (كل عرق وقوم) شهادة موثوقة للبشارة بالمسيح ملكاً. وعلينا نعترف في إتضاع بأن الله وحده يعلم متى تتم هذه العلامة

كلياً. أما إتمامها فيتكفل به من قال: " ***السماء والأرض تزولان، وكلامي لا يزول*** " ***[حسب متى 24:35]*** .

لن يرجع قبل إنجاز العمل

كان " جورج لادّ" أحد اساتذتي في معهد اللاهوت ، وقد أذهلني أن أشياء قليلة جداً أثرت فيه تأثيراً أعمق من إخفاق جماعة المسيح في إدراك الترابط بين تبشير العالم ورجوع المسيح. ومما قاله" لادّ":

إن الله وحده– من قال لنا إن بشارة الملكوت هذه ستعلن في العالم كله شهادة لدى الأقوام كلهم– يعرف متى يكون الغرض قد تحقق.

ولكن لا يعوزني أنا أن أعلم ذلك. إذ أعلم شيئاً واحداً فقط: أن المسيح لمّا يرجع إذاً المهمة لمّا تنجز. فمتى تنجز. فمتى أنجزت، يعود المسيح. فليست مسؤوليتنا إن نصّر على تحديد بنود مهمتنا، بل هي أن نتممها. فما دام المسيح لم يرجع ، يبقى عملنا غير منجز. فلنشتغل ونكمل رسالتنا. هل تحب ظهور الربّ وتشتاقه؟ إذاً لا بدّ أن تبذل كل جهد لحمل البشارة إلى العالم كله. ففي ضوء التعليم الصريح في كلام الله المكتوب ، وفي ضوء تعريف سيّدنا الجلي لدعوتنا ورسالتنا في " مأموريته العظمى" ، يقلقني أن نستخف بهذا الأمر راجع **[** ***الإنجيل حسب متى 28–18 : 20*** **]** . فإن له الملك، وهو مالك في السماوات، ويعلن ملكه على الأرض في جماعتها وبها. حتّى إذا أكملنا رسالتنا ، فإنه سيعود ويقيم ملكوته في مجده الباهر. وقد وهبنا لا أن ننتظر إقبال يوم الله فحسب ، بل أن نستعجل مجيئه أيضاً ***[رسالة بطرس الثانية 12:3]*** .

بكلام آخر ، إنّ الإشتياق إلى ظهور الربّ والعمل في سبيل قضية تبشير العالم كله ترابطاً مباشراً. وهذا الآمر إنما

يعمق إرتباط الصوم بمجيء المسيح ثانية. وسنرى في الفصل الخامس كيف حول الصوم مجرى تاريخ العالم تحديداً بإطلاق أول حملة تبشيرية في ***[سفر الأعمال 13-4:1]***. وذلك يوافق كلام المسيح إذ قال إن أتباعه سيصومون إشتياقاً للعريس. فإن **العريس** لن يأتي قبل تبليغ الشعوب كلها بشارة النجاة والحياة في المسيح، ويتّم الوصول إلى الأمم بالبشارة من طريق الإختراقات الروحية التي تحصل من جراء الصوم والصلاة.

الصلاة والوعظ يعزّزها الصوم

إذاً توجد على الأقل طريقتان ينبغي لجماعة المسيح ، أي العروس ، أن تعبر بهما عن إشتياقها إلى العريس: الأولى هي الصلاة أو الدعاء " ليأت ملكوتك... مارانا تا ... تعال ، أيها الربّ يسوع**!**" ، والثانية هي تبشير العالم كله" ستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كله... وحينئذ تأتي النهاية **[أي** الربّ**!**]". وبما أنّ المسيح قال : ***ستأتي أيام فيها يرفع العريس من بينهم ، فحينئذ يصومون***" وهذا ينطبق علينا نحن أيضاً ، فليس مدهشاً أن يرتبط الصوم حصراً في كتاب العهد الجديد بهذين الأمرين: الصلاة ***[حسب لوقا 37:2 حسب متى 6:6-18]***. وتبشير العالم كله ***[سفر الأعمال 13:1-4]***. فإن الصوم هو علامة التعجب في نهاية الدعاء : " مارانا تا، تعال أيها الربّ يسوع **!**" إنه الإحاطة الطوعية المعتدلة بكلفة إنجاز المأمورية العظمى، ألا وهي الألم. فبالصوم نذهب، أو ننضم إلى أولئك الذين يذهبون ، ألا وهي الألم. فبالصوم نذهب، أو ننضم إلى أولئك الذين يذهبون ، قائلين: " هلاّ تجعلني واسطة لهداية الأمم ورجوعك الوشيك**!**"

فلنشق إليه وننتظره بأكثر حدّة وحنة. أيكون إنتذارنا وتقوانا أقلّ مما كان لدى هذين التقيين السابقين للعصر المسيحيّ؟ فنحن قد عايّنا مجد المسيح، " ***مجداً من لدن الآب لإبن وحيد ملؤه***

النعمة والحقّ" [حسب يوحنا 14:1]. أو نجوع أقلّ إلى تجليه؟ فهل إستوطنا في هذه الدنيا وإسترحنا جداً حتى لم نعد تطبق التفكير في الصوم لأجل إنهاء التاريخ؟

لنقم بذلك لأجل الملك!

ماذا نقول بشأنكم أيها الكبار سناً ؟ أتستطيعون أن تتذوقوا أمجاد حضور الملك لأنها أقرب إليكم؟ وهل تحولون ذلك التذوق إلى صيام لأجل مجيء الملك؟ وما القول بشأنكم أيها الشباب؟ أتحبون المسيح كثيراً بحيث يكون رجوعه أعظم شيء يمكنكم تصوره؟ أم يقتصر عندكم على موضوع حديث ديني تتجاذبون أطرافه يوم العطلة ويساعدكم أحياناً على تحسين حال ضمائركم المنزعجة، ولكنه ليس شخصاً تريدون أن يقاطع حياتكم ؟ وماذا بشأن الكهول بيننا؟ ما شعوركم حين يقال لكم إن الصوم لأجل مجيء الملك قد يظهر مدى رغبتكم في رجوع العريس؟ هل تبعث فيكم خططكم المتعلقة بالتقاعد الذي طالما إنتظرتموه أشواقاً أقوى مما يبعثه توقع عودة المسيح ؟ أيعنينا في شيء تلهف حنة إلى مجيء المسيح؟ وهل نرغب في تجلي المسيح أكثر من رغبتنا في إنجاز شؤون مهنتنا ومشاريع عائلتنا؟ أم كل آمالنا معلقة على وجبة الطعام التالية؟

أما ينبغي أن نصوم لأجل مجيء الملك؟ ليست هذه ممارسة تعبدية جديدة غريبة من نوع ما ، بل إنما هي أن يكون لسان حالنا في جوعنا: بهذا المقدار ، يا ربّ، نريد لعملك أن يتم ولملكوتك أن يأتي، بهذا المقدار، يا ربّ ، نرغب في أن ترجع!

" وكان في الكنيسة التي في أنطاكية
بعض الأنبياء والمعلمين،

هم برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر،
ولوقيوس القيريني، ومناين الذي ربيّ
مع أمير الربع هيرودس، وشاول.
فبينما هم يقضون فريضة العبادة
للربّ ويصومون، قال لهم
الروح القدس : " أفردوا برنابا وشاول للعمل
الذي دعوتهما إليه". فصاموا وصلوا ، ثمّ ... صرفوهما".
- ***[سفر أعمال الرسل 13:1-3]***

" إن حالة الزمان الحاضر تقتضي إمتلاء خدام المسيح بملء الروح الإلهي ، ولا ينبغي لنا أن نستريح قبل حصولنا عليه. وفي سبيل ذلك، أعتقد أن الخدام ، قبل سواهم ، أن يقضوا أوقاتاً طويلة في الصلاة والصوم سراً ، كلّ على حدة وبعضهم مع بعض أيضاً. ويبدو لي أنه يناسب يومنا الحاضر أن يجتمع الخدام المقيمون في حيّ واحد معاً ويقضوا أياماً في الصوم والصلاة الحارّة، طالبين بإجتهاد إمدادات نعمة الله تلك الفائقة التي تأتي من السماء والتي نحتاج إليها جداً اليوم".

يوناثان إدواردز
" بعض الأفكار بشأن النهضة"

-5-

الصيام ومجرى التاريخ

دعوة إلى التمييز والتحفيز

من الخطر أن نتّخذ شخصياً أو مؤسسة أو جماعة قدوة لنا في الصوم. فما إن نفعل ذلك حتى تبدو آثار الخطى واضحة للعيان. وغالباً ما يعقب التحرر من الوهم الإعجاب الساذج. فلا إنسان بلا عيب، وجميع إنتصاراتنا تدخلها النقائص. ونحسن عملاً إن لطفنا تقديرنا بالإعتراف بوجود أخطاء لدى كل تقي، وبأنّ نُصرة اليوم ليست ضمانة لقداسة الغد. حتى إننا لا نستطيع أيضاً أن نقرأ حالة القلب ما وراء نصرة اليوم،لا قلب غيرنا ولا قلبنا نحن *[رسالة قورنتس الأولى 4:4].* أضف أنّ القصص المؤثرة التي نسمعها عن الصوم غالباً ما تكون قد مرّت عبر كثير من القصص المؤثرة التي نسمعها عن الصوم غالباً ما تكون قد مرت عبر كثير من العقول والأفواء التي يملكها ناس معرضون للخطاإ مثلنا نحن.

ليكن إبتهاجك مرتكزاً على كلام الله

إنّما أقول هذا كله تحذيراً لنا من نقل أساس إبتهاجنا بعيداً عن كلام الله التاريخي المكتوب إلى عمل الله الحالي المرويّ.فالله وحده لا يتغير أبداً؛ أما إنسكابات بركاته فهي في جزر ومدّ بطرق أشد إلغازاً من أن تحكم فيها عقولنا الصغيرة. ولحظة نظن أن البر سيد الساحة، يكون وباء شرير ما آخذاً في الإنتشار بيننا. أو حالما نظن أنّ الظلمة حالكة جداً بحيث يتبدد كل شيء يمسك

أحدهم بحبل ويقرع جرساً فيحضر جيشاً يحمل مشاعل.فنحن لن نحافظ على ثباتنا وثقتنا الراسخة إلا إذا تثبتنا أنظارنا على الله غير المتغير، وإعتبرنا كل موجة مرتفعة أو منخفضة عملاً من أعمال الحكمة غير المحدودة في سياق إتمام مقاصد الله المقدسة.

غير أنّ الله رتب في كلامه المقدس أن نتشجع بالذين إختبروا قبلنا إنعام الله الفائق: " ***فلا تتراخوا ، بل تقتدون بالذين بالإيمان والصبر يرثون المواعد" [رسالة العبرانيين 12:6]***؛ تذكروا مرشديكم، " ***إنهم خاطبوكم بكلمة الله، وإعتبروا بما إنتهت إليه سيرتهم وإقتدوا بإيمانهم"[الرسالة نفسها 7:13***]. حتى إذا أبينا أن يشجعنا ويرشدنا مؤمنون عاديون إختبروا بركات فائقة للعادة، كان ذلك دليلاً على كبرياء فينا ، لا على خطإ فيهم.

وهكذا حال الصوم. فالكتاب المقدس والتاريخ حافلان بأمثلة على عمل الله العجيب إستجابة سخية منه لصيام شعبه وصلاتهم. ولا يليق بنا أن نهمل هذه الأمثلة الواقعية، غير أنها ليست بمثابة دواء ناجح ناجز لكل موسم من مواسم الفتور في حياة الإيمان. وما أسرع ما نتخذ من رحمة الله في حياة مؤمن تقي صوام أساساً للحكم بأن ذلك النموذج المخصوص في التقوى هو مفتاح الحياة الروحية الحيوية!

صيام فني وعيوبه

كثيرون قرأوا مثلاً قصة " شارلز فني" (1792–1875) المختصة بإهتدائه وإختباره للصوم لاحقاً ، وإتخذوها دليلاً على الطريقة السوية للإبقاء على حالة الإنتعاش الروحيّ. وهاك ما قاله في هذا الشأن:

" إكراماً لله وحده، أقول كلمة قصيرة عن إختباري الشخصيّ في هذا المجال. فقد إهتديت إهتداء قوياً صبيحة العاشر من تشرين الأول (أكتوبر) وفي مساء اليوم نفسه وصباح اليوم

التالي ، تلقيت معموديات غامرة من روح الله، إخترقت كياني– كما بدا لي – نفساً وجسداً . وفي الحال ألفيت نفسي متوشحاً بقوة من الأعالي، حتى إن بضع كلمات قلتها هنا وهناك كانت وسيلة لإهتداء سامعيها إلى الإيمان حالاً. وقد بدا أن كلامي إخترق نفوس الناس كسهام مسنونة، وكان حاداً كنصل السيف، فحطم القلب كمطرقة وفي وسع جموع غفيرة أن تشهد لهذا الواقع. وما أكثر ما كانت كلمة تندّ عن شفتيّ، وأنا لا أتذكرها، فتجعل في التبكيت وتنتج غالباً إهتداء فورياً .كنت أحياناً أجدني خلواً من تلك القوة إلى أبعدحد.فكنت أنطلق زائراً ،ولا أحدث أي تأثير يؤدي إلى الإهتداء ، أو أناشد وأدعو وأصلي ،والنتيجةهي هي. ومن ثم كنت أخصص يوماً أو يومين للصوم والصلاة سراً ، خشيةأن تكون تلك القوة قد فارقتني ، فاحصاً لعلّي أجد سبب بكل جدّتها .وما برح ذلك إختبار حياتي".

ترى ، ماذا نفعل بشهادة كهذه؟ أنستنتج أن أياماً متكررة من الصلاة والصوم هي مفتاح الإنتعاش الدائم؟ أم نستبعد إنطباق هذه الشهادة علينا لأنها كانت إختباراً فريداً أختبره رجل واحد في تعبده لله؟ يقيناً أن الجواب الوديع والرزين يقع في نقطة ما ، بين هذين النقيضين. فليس لنا من الحكمة والخبرة في أمور الله ما يمنعنا أن نتعلم من معركة إيمان خاضها سوانا. وقد يرشدنا الله إلى تخصيص يوم الصوم للصيام ونحن نقرأ هذا الكلام ،حيث يطل علينا بوجهه الكريم ويهبنا قوة إنتعاش عظيمة. لكنه ربما لا يفعل ذلك. فآخرون إلتمسوا النهضة ولمسوها بلا صيام. ولكن آخرون صاموا وصلوا أسبوعين أو ثلاثة أو أربعة، أو أكثر ، قبل إقبال الإنتعاش عليهم. ومن الخطإ أن نعتقد أن طريقة الله مع واحد من أولاده ستكون طريقته معهم جميعاً. وقد نرتكب غلطة أخرى في إعجابنا بعمل الله في حياة الأنقياء الصائمين بأن نحسب بركته شاملة لموافقته على سلوكهم وعقيدتهم. إلا أنّ

الواقع ليس هكذا بالضرورة . ونحن نستصعب أن نتصور كيف يبارك الله خدمة شخص عقيدته غير سليمة وقلبه مبتلى بخطايا متكررة. ولكن بدا أن ّ الله كان يستخدم أبلس، الموصوف بأنه " متبحر في الكتب" المقدسة ولكن أنبغي لأقيلا وبرسقلة أن يشرحا له " ***طريقة الربّ على وجه أدق"[سفر الأعمال 18:24-26].*** كما أن المسيح ينبه إلى أن قوماً سوف يقولون له في يوم الحساب : " أما بإسمك تنبأنا؟ ولكنه سيقول لهم: " ***ما عرفتكم قطّ . إليكم عني أيها الآثمة!" [الإنجيل حسب متى 7:22و23].*** بعبارة أخرى، ليس إمتحان الحقّ والصدق وجود القوة في خدمة المرء.

فإن " شارلز فني" مثلاً تمسك بفكرة لاهوتية مناقضة لفكرة معاصريه الكالفيني " عسائيل نتلون" (1812-1844). ولكن الله إستخدم كليهما في التبشير المثمر. كذلك أيضاً إستخدم الله " جان وسلي" (الآرميني) و " جورج وايتفيلد " (الكالفيني لإتيان بآلاف النفوس إلى مملكة المسيح. إنما يجب ألا يستنتج من هذا أن صحة العقيدة أمر عديم الأهمية, فإن الضرر البعيد الامد في إعتناق آراء زائفة بشأن الله والإنقاذ الإلهي لا تبطله العلامات القصيرة الأمد على التمتع ببركة الله دون إستحقاق . وبالحقيقة أن " فني" قد رجع عن بعض أساليبه الروحية الخاصة، إن لم يكن عن آرائه المعيبة بشأن سيادة الله ، كما تؤكد بينات لا بأس بها. وإنها لحقيقة لافتة أنّ لدى الله مقاصده الحكيمة والمهيمنة في إستخدامه أشخاصاً ناقصين وذوي آراء لاهوتية معيبة، لأجل إنقاذ الضالين الخاطئين. وليس في هذا بركة تسبغ على الضلال ، بل نعمة رغماً منه. فالراية المرفوعة فوق كل بركة من بركات الله على ذوي السير غير الكاملة والعقائد غير القويمة هي ما جاء في ***[رسالة رومة 4:2]. " أم تزدري جزيل لطفه وحكمه وطول آناته، ولا تعلم أن لطف الله يحملك على التوبة؟"***

وعليه ، فما من إختبار للصوم يكفي أن يكسب إقتداءنا به دون ما إعتبار لأي أمر آخر. فعلينا أن نضع كل شيء على محك كلمة الله المقدسة. ولا تغرنا " النجاحات " أو " البركات" التي ترافق أي نموذج معين من نماذج التدرب الروحيّ. ولسوف ندرك أن الله مطلق السيادة والحرية في الإنعام بمراحمه: *" أصفح عمن أصفح ، وأرحم من أرحم" [سفر الخروج 19:33].* كما أننا سنتضع فنتعلم من إختبارات غيرنا، ولو كانوا ممن لا نتفق معهم في الرأي ، ما دام الله رحيماً ومقدماً للدروس في مظأنها غير المنتظرة.

الصيام ومجرى التاريخ

مسلحين بهذا الحذر، لنلاحظ الآن، ونحن لا نخشى الشطط، أن مجرى التاريخ قد تغير مراراً بالصوم والصلاة. ومن الممكن ضرب أمثلة عديدة . ففي السنين الأخيرة من القرن العشرين، كاد اصوم والصلاة يصيران مرادفين للجماعات المسيحية في كوريا الجنوبية. ولهذا الواقع سبب وجيه. فأول جماعة مسيحية من المؤمنين الجدد غرست في كوريا سنت 1884 . وبعد قرن من الزمان كان هنالك ثلاثون ألف جماعة ، أي بمعدل ثلاث مئة جماعة جديدة كل سنة على مدى مئة عام. وعند نهاية القرن العشرين بلغ تعداد المؤمنين الجدد ثلاثين بالمئة من مجموع السكان. وقد إستخدم الله عدة وسائط لإنجاز هذا العمل العظيم، منها إحياء الصلاة المقترنة بالصوم، لا مجرد الصلاة الفعالة. فعلى سبيل المثل، بين الجماعات التابعة لإحدى الجمعيات الكبرى وحدها أكثر من عشرين ألف شخص أكملوا

صوم أربعين يوماً ، عادة في واحد من " بيوت الصلاة" المنتشرة في الجبال عندهم.

وبالنسبة لأي مؤمن بالمسيح تواق إلى سيادة الله في الحياة، لا يمكن لخبر كهذا أن يمر بغير إيقاظ بعض الأشواق الشديدة. فعند منقلب القرن العشرين ، معظم الجماعات المسيحية في أميركا فاترة بائرة، ولها في حضارة محيطها الكافرة تأثير أقل بكثير مما تتوق إليه. أما في أوروبا، فالبلدان التي شهدت إصلاحاً جذرياً في ما مضى تعتبر الآن في عصر إنكفاء عن المسيحية الحية وتقاوم ببرودة الدعوة إلى الإيمان في سبيل تغيير الحياة وتجديدها. فكيف يعقل ألا نقف ونسأل: أيمكن أن يعين لنا الربّ أوان صوم وصلاة جديداً كسبيل إلى النهضة في أيامنا؟

الصوم والكلمة الصانعة حقبة في أنطاكية

نجد في سفر*[أعمال الرسل 13:1-4]* واحداً من أوضح التشجيعات الكتابية على إعتبار الصوم مشكلاً للتاريخ:

" وكان في الكنيسة التي في إنطاكية بعض الأنبياء والمعلمين، هم برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر، ولوقياس القيريني ، ومناين الذي ربي مع أمير الربع هيرودس ، وشاول. فبينما هم يقضون فريضة العبادة للرب ويصومون، قال لهم الروح القدس : " أفردوا برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه". فصاموا وصلوا ، ثم وضعوا عليهم أيديهم وصرفوهما. فلما كانا موفدين من الروح القدس، نزلا إلى سلوقية، ثم أبحرا منها إلى قبرص".

فالوضع أن شاول (بولس) وبرنابا وبعض القادة الأخرين في جماعة المسيح التي في أنطاكية كانوا يخدمون الرب ويتعبدون لـــه ويصومون. وبنـــاء علـــى الماجريات، يمكننا أن

نفترض، على ما أعتقد ، أنّ المسألة التي أقلقتهم بوصفهم فريق قيادة في جماعة المسيح كان هذا: "إلى أين ننطلق من هنا كجماعة؟ " وهكذا عكفوا على الصيام إلتماساً لتوجيه الروح الإلهي لهم في عملهم وخدمتهم. ومن ثم كان العمل العظيم الذي تولوه أروع من أي جهد تخطيطي رئيس اضطلعت به جماعة المسيح عموماً.

لقد كانوا جائعين كفاية لإرشاد الله شاؤوا قول ذلك بجوع بطونهم ، وليس فقط بجوع قلوبهم: " أللهم إننا نحناج إليك وإلى إرشادك ! إننا نتوق لمعرفة مشيئة روحك القدوس من جهة خدمة جماعتنا! إننا في حاجة إلى رؤيتك وأتباعك أكثر من إحتياجنا إلى الطعام".

أسئلة لا يجيب عنها الكتاب المقدس

مما يؤرقني ويحير عقلي بشأن جهود التخطيط في الجماعة المسيحية المحلية التي أخدمها منذ سبع عشرة سنة على الأقل أن كثيراً من الأسئلة التي ينبغي أن نجيب عنها لا نجد جواباً في الكتاب المقدس، مباشراً على الأقلّ. وهي بإعتقادي من نوع الأسئلة التي واجهت القادة في جماعة أنطاكية المسيحية: " يا ربّ، هل نبدأ بمشروع للدعوة إلى الإيمان على نطاق عالمي؟ وهل نبدأ به الآن؟ أنبعث بعضاً من المعلمين لدينا روادا في هذا العمل ؟ أينبغي أن نرسل شاول أم سمعان نيجر أم لوقياس أم مناين أم برنابا؟ أنبعث إثنين أو ثلاثة أو أربعة؟ وفي أي طريق نرسلهم: بالبحر أم بالبرّ؟ وهل ينبغي أن نوفر لهم كامل الدعم المادي، أم هل نتوقع منهم أن يشتغلوا لسد إحتياجاتهم، أم نأمل لأن يلاقيهم في البلاد التي يقصدونها بعض " أبناء السلام" فيطعموهم؟ وهل ينبغي أن تنضم إلينا في هذا العمل جماعات أخرى؟" إلخ،إلخ.

من هذا القبيل معظم الأسئلة التي يضطر إلى الإجابة عنها من يتولون التخطيط والتوجيه في جماعات المسيح. فأين نجد الأجوبة؟ لست أقلل من شأن التعليم الصحيح والأساسي الذي يتضمنه الكتاب المقدس حيث يقول لنا: " ***تحولوا بتجدد عقولكم لتتبينوا ما هي مشيئته ، أي ما هو صالح وما هو مرضيّ وما هو كامل*** " ***[رسالة رومة 2:12]***. ولكنّ " تبين" مشيئة الله هذا في المسائل العملية (أشاول نرسل أم برنابا أم لوقياس أم سمعان؟) ليس أمراً آلياً . فقد صلى الرسول بولس بحرارة لأجل المؤمنين، كما قال لهم: " ***نسأله تعالى أن تمتلؤا من معرفة مشيئة في كل شيء من الحكمة والإدراك الروحيّ... وتثمروا كلّ عمل صالح"[رسالة قولسي 9:1 و10]***. فإنه أمر روحي أن أميز أية أعمال صالحة، من بين عشرة آلاف إحتمال، هي ضمن " ما هو صالح" و" كل عمل صالح" مما يتعلق بحياتي وبالجماعة التي أنتمي إليها. ومن منا يستطيع القول إننا قد بلغنا الهدف في ما خص تمييز أفضل القرارات بشأن الخدمة؟ من هنا أسأل بكل تلهف: ألنا ما نتعلمه من حقيقة كون هؤلاء الأنبياء والمعلمين، الروحيّين صميماً، قد عكفوا على التعبد والصوم فيما التمسوا إرشاد الربّ؟

ولنلاحظ أربع ملاحظات بشأن هذا الخبر الوارد في**[سفر الأعمال 13:1-4]**.

أولاً، كان الصوم بعد مجيء المسيح . وأذكر لئلاً يقول قائل إنّ الصوم كان من روحانيات العهد القديم ، لا الجديد. وقد بينا في الفصل الأول من ***[الإنجيل حسب متى 15:9]***. أن المسيح توقع أن يصوم أتباعه بعد رجوعه إلى السماء . فغير عجيب إذاً أن نجدهم قائمين بهذا. وجلي أن شاول وبرنابا والآخرين في أنطاكية لم يعتقدوا أن الصوم قد زال كزقّ عتيق بمجيئ البشارة بالمسيح وخدمة الروح في العهد الجديد.

ثانياً ، كان هذا الصوم- *في **[سفرالأعمال 13]***.- جماعياً.

فعلى الأقل خمسة من المؤمنين إتحدوا في هذا التذلل أمام الرب. وأذكر هذا لأن همّاً أخر متعلقاً بالصوم نشأ عن تحذير المسيح من الصيام بهدف رؤية الناس لنا***[حسب متى 17:6 و18].***، قائلاً ***"فإذا صمت، فأدهن رأسك وأغسل وجهك ، لكيلا يظهر للناس أنك صائم، بل لأبيك الذي في الخفية، وأبوك الذي يرى في الخفية يجازيك".*** ومع ذلك ، يستحيل أن نصوم جماعياً ولا يرانا الناس. من هنا يطرح السؤال: هل يناقض الصوم الجماعي تعليم المسيح؟ لقد بينت في الفصل الثالث أنه لا يناقضه، الأمر الذي تثبته هنا ممارسة الأنبياء ومعلمي الجماعة. وبديهي أن شاول وبرنابا لم يفهما من أقوال المسيح أن الصوم الجماعي حرام . فليست المسألة الحرجة أن يعلم الناس أنك صائم بل أن نريد منهم أن يعلموا ذلك حتى تتمتع بإعجابهم.

ثالثاً، تبين أنّ هذا الصوم– في***[سفرالأعمال 13]*** – كان مناسبة لحصول إرشاد خاص من قبل الروح القدس. فقد جاء *في* ***[الآيتين 2و3]: " فبينما هم يقضون فريضة العبادة للربّ ويصومون ، قال لهم الروح القدس: : أفردوا برنابن وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه، فصاموا وصلوا، ثم وضعوا عليهما أيديهم، وصرفوهما".*** وبصياغة الكلام على هذا النحو، يريد لنا لوقا، كاتب سفر الأعمال، أن نلاحظ ترابطاً بين التعبد والصلاة والصوم وبين إرشاد روح الله الحاسم: " فبينما هم... يصومون، قال لهم الروح القدس". وهذه سابقة كتابية هامة تظهر المشاركة في العبادة والصوم والصلاة إلتماساً تواقاً لمشيئة الله من جهة حياتنا وحياة جماعتنا.

رابعاً، لقد غير الصوم– ***[في سفرالأعمال 13]*** **–** مجرى التاريخ. ويكاد يستحيل أن نبالغ في التشديد على الأهمية التاريخية لتلك اللحظة في تاريخ العالم. فقبل تلقي هذه الكلمة من الروح الإلهي، لم يبد أنّ جماعة المؤمنين بالمسيح قامت بأية خدمة ما وراء ساحل المتوسط الشرقيّ.

وقبل ذلك لم يكن بولس قد قام بأية سفرات دعوة نحو الغرب إلى آسيا الصغرى أو اليونان أو روما أو إسبانيا. وقبله لم يكن بولس قد كتب أية من رسائله التي كانت كلها نتيجة لسفراته التبشيرية التي إنطلقت من هنا.

فهذه اللحظة من الصلاة والصوم سببت حركة دعوة وتبشير أطلقت الإيمان المسيحيّ من المغمورية حتى غدا الإيمان المهيمن في الإمبراطورية الرومانية في غضون قرنين ونصف ، كما أدت إلى وجود 1,3 بليون تابع للمسيحية اليوم، ووجود شهادة مسيحية في كل بلد من بلدان العالم تقريباً. كما أن ثلاثة عشر سفراً من أسفار كتاب العهد الجديد البالغة سبعة وعشرين سفراً(أي رسائل بولس) كانت نتيجة من نتائج الخدمة التي إنطلقت في لحظة الصوم والصلاة تلك التاريخية.

وعليه ، أعتقد أنّ من الإنصاف القول إن الله سرّ بأن يجعل التعبد والصلاة والصوم منصّة الإطلاق لخدمة قيض لها أن تغيرّ مجرى تاريخ العالم. أفليس لنا درس وعبرة؟

سبق أن تحرّك الله بالصوم مراراً من قبل

لقد حدث ذلك في ما مضى ، ومن شأنه ان يحدث مراراً وتكراراً ففي سفر الاخبار الثاني،الفصل العشرين، نقرأ ان الموآبيين والعمونييّن والمعونييّن زحفوا على يوشافاط ملك يهوذا. وكان ذلك حشداً مروّعاً من المحاربين الاشداء زاحفاً على شعب الرب قديماً . فماذا أمكن ان يفعل الشعب؟ وفي أي اتجاهٍ انبغى ان يتوجهّوا؟ هاك ما جاء في ***[الآيتين 3 و4] : "فخاف يوشافاط وحوّل وجهه يلتمس الربّ، ونادى بصوم في كل يهوذا.فاجتمع بنو يهوذا ليتضرَّعوا الى الرب، مقبلين من جميع مدن يهوذا للتضرُّع الى الربّ".***

إذا ، جرى صوم عظيم شمل البلد كلّه طلباً للارشاد والانقاذ الالهيّين. وفي خِضمِّ اجتماع الصوم ذاك، حسبما تقول ***[الآيتان 14 و 15]::حلَّ روح الربّ ... على يحزئيل [الكاهن] ... فقال : < أصغوا يا بني يهوذا جميعكم ، ويا سكان اروشليم، وانت أيُّها الملك يوشافاط. هكذا قال الربُّ لكم : لا تخافوا ولا تفزعوا أمام هذا الجمهور العظيم، لأن المعركة ليست لكم، بل لله > .ثمّ لما خرج بنو يهوذا في الغد، وجدوا ان بني موآب وبني عمّون قد أفنَوا بعضهم بعضاً، وبقي بنو يهوذا يجمعون الغنائم ثلاثة أيام".***

فإن مجرى التاريخ تغيّر بصوم شعب الله آنذاك . وكثيرةُ قصص نعمة الله الظاهرة من خلال الصوم . فلنا ان نذكر صيام موسى على جبل سيناء أربعين يوماً لما تلقى شريعة الله التي باتت دستور بني إسرائيل قديماً وأساساً للحضارة الغربية المعهودة **[سفر الخروج 24:18؛ 28:34]**. ولنا أن نذكر صيام اليهود لأجل أستير عند مخاطرتها بالدخول على الملك أحشورش، مما ردّ كيد هامان الى نحره **[سفر أستير 16:4]** . ولنا ان نذكر صوم نحميا لأجل شعبه ومدينة ألهه الخربة، حتى منحه الملك أرتحششتا كلّ عونٍ احتاج اليه للعودة وترميم أسوار مدينة القدس **[سفر نحميا 4:1]** . وفي الواقع أنّ مجرى التاريخ قد تحوّل بفعل عوامل أخرى فضلاً عن الصوم. فلست أعرض مزاعم تخصُّ هذه الممارسة الانضباطية الروحية وحدها, وإنما أبدي ملاحظةً انّ الله . من حينٍ الى حينٍ، قضى بأن تكون هذه هي واسطة تغيير مجرى الاحداث لخير شعبه المتّكلين عليه.

صومٌ وطنيٌّ في بريطانيا لأجل الإنقاذ

وهكذا استمرّت الحال على هذا المنوال بعد تدوين الكتاب المقدس. فإنّ "جان وسلي" يخبرنا في صحيفته بانقاذٍ يكاد يشبه ما

وصفه الكتاب المقدس، جرى سنة 1756. ذلك ان ملك بريطانيا دعا الى يوم صلاة وصوم خاشعين إزاء خطر محتمل بغزوٍ من قِبَل الفرنسيّين. وممّا كتبه "وسلي".

كان يوم الصوم مجيداً لم تكد لندن تشهد مثله منذ زمن الإصلاح. فغصت كلُّ دارٍ للعبادة في المدينة بالحضور، ورانت على كلّ وجه مسحة من الجديّة المهيبة. يقيناً ان الله يسمع الصلاة، ولسوف نشهد بعدُ إطالةً للسلام والسكينة.

وفي ما بعدُ أضاف في حاشية العبارة التالية :"انقلب الاتضاع والتذلل ابتهاجاً وطنياً لأنّ الغزو الفرنسيّ الذي هدد الأمَّة لم يحصل".

اكتشاف الصوم من جديد في أيّامنا

يشيع في ايّامنا وعيّ متعاظم بين الكثيرين بأن اكتشاف الصوم من جديد باعتباره صرخة قلب مقترنة بالتوبة الى الله طلباً للنهضة والانتعاش قد يكون هو الوسيلة التي يستخدمها الله لايقاظ جماعته وإصلاحها. وقد لاحظ بعضهم من **[سفر الاعمال 13:1-4]** حدوث ثلاثة أنشطة ، إذ كان اولئك المعلمون والانبياء **يتعبّدون ويصلون ويصومون**. ومن هذه الأنشطة الثلاثة يشهد اثنان في أيّامنا إحياءً عالميّ النطاق.

فعندما نُجيل النظر في أنحاء العالم في غرّة القرن الحادي والعشرين، نرى نهضة عبادة مميزة. ولا يتفق الجميع على ان البُعد الموسيقي في النهضة بَرَكة خالصة من أية شائبة سواء في النوعية الغنائية او في الجودة الموسيقية . ومع ذلك، فمن يستطيع ان ينكر ان آلافاً من الجماعات والمجموعات المسيحية يسبحون الربّ بحيوية وتركيز على تعظيم الله، ممن لم يكن في اولوياتهم منذ خمسٍ وعشرين سنة مثل هذا التشديد على التشارك في التعبد لله بالطريقة الجارية اليوم؟ وليس ذلك فقط ،

بل تشهد ايامنا ايضاً حركة صلاة مدهشةً. وقد قام "داود ابريانت" بتوثيق هذه الحركة في كتابه "الرجاءُ القريب" مبيناً بعشرات الآمثلة ان "الله يحرّك شعبه كي يصلوا لأجل نهضة عالمية، وذلك على نحو محدد ومتزايد وثابت".

ولكن من بين الانشطة الثلاثة في ***[سفرالأعمال 1:13 – 4]*** (العبادة والصلاة والصوم) لم يكن للصوم مثلُ هذا الاحياء، إلاّ في أماكن قليلة على الأرجح مثل كوريا الجنوبية. وقد عجَّل هذا الواقع في طرح بعضهم لهذا السؤال :ألا يُعقل ان يكون قد رتّب ان يؤتي جماعته بركته القصوى عندما نستظهر في الصلاة مجاهدين بها مع الصوم الكثيف؟ فالصوم في حقيقته تعزيز لصلاة ورفعٌ لحدّتها. إنه علامة تعجُّب نقولُها بأجسامنا في نهاية هذه العبارة :"إننا نجوع إليك ، يا الله ، كي تتنازل إلينا بملء القوة!" إنه صرخةٌ لا تطلقها قلوبنا فقط بل جسومنا ايضاً ، ولسان الواحد منّا :" إنني اعني هذا حقاً، يا ربّ! بهذا المقدار أجوع اليك. فأنا أبغي ان تُعلن انت بذاتك اكثر مما ارغبُ في الطعام!".

دعوة يوناثان إدواردز الى الصيام

في النهضة الكبرى الاولى

أمّا انّ من شأن هذا الجوع الى الله أن يوقظ اهتماماً متجدداً بالصوم فليس بأمر جديد ولا مدهش . فقد سبق ان حدث قبلاً في اوقات النهضة. فبينما كانت رياح النهضة الكبرى الاولى في اميركا ما تزال تهبُّ سنة 1742، إذا بيوناثان إدواردز – حاميها الاشد ومحلّلها الاوعى – يشتاق لأن يوالي الله بركته ويضاعفها حول العالم. وقد كان الصوم واحداً من الوسائل التي اوصى بها وأطراها :

إن حالة الزمان الحاضر تقتضي امتلاء خدّام المسيح بملء الروح الالهيّ، ولا ينبغي لنا ان نستريح قبل حصولنا عليه. وفي سبيل ذلك، اعتقد ان على الخدّام ، قبل سواهم ، ان يقضوا اوقاتاً طويلة في الصلاة والصوم سراً، كلّ على حدة وبعضهم مع بعض ايضاً. ويبدو لي انه يناسب يومنا الحاضر ان يجتمع الخدّام المقيمون في حيّ واحد معاً ويقضوا أيّماً في الصوم والصلاة الحارة، طالبين باجتهاد إمدادات نعمة الله تلك الفائقة التي تأتي من السماء والتي نحتاج اليها جداً اليوم؟ وأودُّ أن أذكر أمراً في ما يتعلق بالصوم والصلاة اعتقد ان خدّام المسيح مُقصّرون فيه، وهو أنهم، وإن كانوا يطالبون في وعظهم بوجوب الصلاة السرية ويلحّون عليها كثيراً، قلما يذكرون الصيام السّريّ.فهذا واجبٌ أوصى به مخلّصُنا أتباعه، على غرار الصلاة السرية تماماً. ولئن كنت لا افترض ان الصوم السريّ يجب ان يمارس بطريقة محددة ونهج ثابت، مثل الصلاة السرية، فيبدو لي انه واجبٌ ينبغي ان يمارسه جميع المسيحيين المعترفين بالايمان، وأن يمارسوه تكراراً . فثمة عدة مناسبات، روحيّة ودنيوية على السواء، تستدعيه استدعاءً مؤاتياً ، وثمة عدة مراحم خاصة نرغب فيها لأنفسنا ولأحبائنا من الموافق به في هذه البلاد، في وقتنا هذا، لا بدّ ان يعتبروا من واجبهم القيام بالصوم والصلاة ثلاثة اضعاف ما يقومون بهما الآن.

وفي أيّامنا هذه تتعالى الاصوات بدعوة مماثلة الى الصيام والصلاة طلباً للنهضة والانتعاش. ولكن ليس جميع الدعاة مثل يوناثان إدواردز في عنايته بحقائق النهضة، بالنظر الى عبَر التاريخ، وحرية الله وسيادته، وسلطان كلام الله الموحى به والمتفوق على الانطباعات الذاتية.

تجذرات "إدواردز" تناسب دعواتنا المعاصرة الى الصوم

كان "إدواردز" يرجو ان تكون النهضة الكبرى آخر حركة عظمى يُجريها روح الله حول العالم إيذاناُ بالعصر الذهبي لنشر البشارة قبل رجوع المسيح. فقد قال :"ليس مستبعداً ان يكون عمل روح الله ، ذاك الفائق والمدهش، هو بدايةً – او على الاقل مقدمةً – لذلك العمل الالهي المجيد الذي كثيرا ما تنبأ به الكتاب المقدس والذي بتقدمه ونتيجته سوف يُجدد عالم البشر". لكن ما توقعه إدواردز لم يحصل، وفي هذا كان مخطئاً. غير ان نظرة ادواردز الى حرية الله وسياته لم تمكّنه من التنبوء بمدى النهضة، ولا بتاريخ حلولها، ولا بنطاقها العالمي. كما ان عدم حصول النهضة بالطريقة التي تمنّاها لم يحمله على تغيير نظراته الى الله ولا على الكلل في الاضطلاع بقضية الحق.

وفي أيام إداوردز بالذات جاوز بعضهم آماله وتعبيراته المتّسمة بمزيدٍ من الحذر بشأن ما يُحتمل حصوله. فإنهم تكلموا انطلاقاً من إعلاناتٍ خاصة وانطباعات ذاتية زعموا انهم تلقوها من روح الله. من جهة تلك الانطباعات بشأن النهضة أطبق "إدواردز" تحذيراً جريئاً يناسب أيامنا ايضاً:

أناشد شعب الله ان يكونوا حذرين جداً ، في تقبلهم لمثل هذه الظواهر. فقد رأيتُها تخفق في حالات كثيرة جداً، كما تعلمت بالاختبار ان الانطباعات الحاصلة بقوة عظيمة ، وفي أذهان أتقيا حقيقيين وبارزين، بُعيدَ اختبارات فائقة لنعمة الله وللتمتع بعشرته الطيبة، او في اثناء تلك الاختبارات، مقترنة بآيات من الكتاب المقدس ينطبع بها الذهن أقوى انطباع، تفتقر الى ما يّثبت انها إعلانات من السماء . ذلك بأنني لمستُ ان انطباعات كهذه خدّاعة وقد اثبت الواقع بطلانها، رغم اقترانها في بعض الحالات بجميع المؤثرات المميزة.

وما يجعل هذه التحذيرات حاسمة ليس فقط شيوع الانطباعات الذاتية اليوم بشأن نهضة آتية محتملة، بل ايضا كون ***[سفرالأعمال 1:13 – 4]*** ، كما يبدو، يقدّم لنا نموذجاً لألتماس إرشاد الله لنا مشتملاً على الانطباعات الذاتية . فلنذكر ان ***[الآية الثانية]*** تقول :***"فبينما هم يقضون فريضة العبادة ويصومون،قال لهم الروح القدس :<افردوا برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما اليه >"***. تُرى، كيف "قال" الروح القدس ذلك؟ لسنا نعرف على وجه التحديد. ولكنها لم تكن المرة الوحيدة في سفر الاعمال حيث اعطى روح الله ارشاداً مباشراً كهذا. فمثلاً، نقرأ في ***[الآية 29 من الفصل 8]:"فقال الروح لفيلُبس :تقدم فالحق هذه المركبة"***. وفي ***[19:10]*** نقرأ :***"وبينما بطرس يفكر في الرؤيا، قال له الروح: هناك ثلاثة رجال يطلبونك . فقُم فانزل اليهم واذهب معهم غير مُتردّد، فإني انا أرسلتهم".***

أفي كتاب العهد الجديد خطوطٌ عريضة تُعيننا كي نميّز صحة كون مثل هذا الادعاء بسماع صوت الروح الالهي في أيامنا هو من الرب حقاً؟ ليس هذا سؤالاً بسيطاً عن اعتناق المرء آراءٍ كارزماتية. حتى المؤمنين المحافظون يزعمون احياناً ان "الروح ارشدهم الى كذا وكذا"، او ان الله وجههم الى هذا او ذاك"، او ان "الربّ وضع في قلوبهم كيت وكيت". إنما السؤال هو : كيف نمتحن مثل هذه الادعاءات، ولا سيما أذا انطوت على تنبؤ بشأن نهضة آتية ، او دعوة لجماعة المسيح الى الصوم؟

كيف نمتحن الانطاباعات الذاتية

لأقترح بضعة خطوط عريضة. **اولاً**، نلاحظ في ***[سفرالأعمال 2:13]*** ان الروح الالهي تكلم الى خمسة معلمين

وأنبياء كمجموعة. طبعاً، كان في وسع الروح ان يكلم شخصاً واحداً وحده. ولكن يبدو من الحكمة ان نقول انه حيث يلزم عدد من الناس اكبر كلمةّ من الروح ، يُعلِم الروحُ بها العدد الاكبر. فلا يظهر ان طريقة الروح في العهد الجديد هي ان نقيد ضمائر المؤمنين بالانطباعات الذاتية المعطاة للغير. إن السلطان الرسولي يُلزم ضمائرنا الطاعة الكاملة ***رسالة غلاطية 12:1 ؛ رسالة قورنتس الاولى 37:14 و 38؛ الثانية 8:10 ؛ 10:13 ؛ رسالة تسالونيقي الاولى 13:2؛ الثانية 6:3؛ رسالة بطرس الثانية 1:3 و 2 و 15 و 16]***. ولكن الادعاءات الاخرى بالارشاد الالهي ينبغي ***"اختيارها" [تسالونيقي 21:5]*** . وهذه الدعوة الى الاختبار، او الامتحان، تُناسب الرأي القائل بأنه حيث يُلزم الاكثرون الاتباع ،يُرشد اكثرون الى الاتباع. فليس لفردٍ واحد ان يُلزم جسد المسيح (جماعته).

ثانياً ،يتبع الارشاد المعتاد ، في كتاب العهد الجديد ، النموذج الموصوف في ***[رسالة رومة 2:12] "لا تتشبهوا بهذه الدنيا، بل تحوّلوا بتجدُّد عقولكم، لتتبيَّنوا ما هي مشيئة الله، أي ما هو صالح وما هو مرضيّ وما هو كامل"***. وهذا لا يُقصي بالضرورة التأثُرات والانطباعات من لدن الربّ، غير انه يوحي بأن ***"فكر الربّ"*** المعلن مجدداً ***[رسالة قورنتس 16:2]***، متشكلاً بكلمة المسيح ومشبعاً بروح المسيح، ستكون له السيادة في التجاذب بين الانطباع الذاتي والتفكير الروحي.

ثالثاً، ينبغي للادعاء بحيازة انطباع من لدن الربّ ان يتناغم مع تعليم الكتاب المقدس ، إما مع آيات محددة إن كانت ذات صلة مباشرة، وإما بفحوى الكلمة كلها وروحها ومسارها.

رابعاً ،إن إساءة استخدام آيات الكتاب لدعم انطباعات مختلفة موافقة للكتاب تجعل المؤمنين الراسخين يتمهلون. فأحياناً يزعم بعضٌ حصولهم على إعلانٍ خاص بشأن محددة لجماعة المؤمنين بالمسيح لا تخالف الكتاب المقدس، ولكن في سبيلها يُحمّلون النص وجهاً لم يقصده أصلاً قطّ. وهذا امرٌ لا يُرجّح ان

يفعله الروح القدس. لقد اوحى الروح القدس بالكتاب المقدس ، ويبدو انه يستعمل كلماته بحسب المعنى الذي به اعطاها اصلاً. وعليه، فحيث يُدعى ان الروح استحضر الى الذهن آيةً او اخرى، تلك يُساء استخدامها، يمكن ان نشك ان إرشاد الروح ثمّ تصوره بطريقة صحيحة.

خامساً ،يؤخذ بالحسبان السجلُّ الشامل لتاريخ الشخص المتكلّم عن الانطباع. الى أي مدى ميّز ذلك الشخص مثل هذه الانطباعات سابقاً،من حيث الدقة والنفع؟ وهل برهن الاختبار ان الله استأمن ذلك الشخص على إعلان مسبق بأفعاله الالهية في مرات سابقة؟ وما مقدار ثبات ذلك الشخص وموثوقيته عموماً؟وهل من قاعدة عقائدية عريضة على اساسها يتوقع من ذلك الشخص ان يكون مميزاً بين الافكار الصحيحة والباطلة التي تتنافس على الاقناع في أذهاننا جميعاً؟

اختبار فاعلية [سفر الاخبار الثاني 14 :7]

أحاول هنا الاسهام في مراعاة التحريض الذي قدمه "إدواردز" بشأن وجوب الحذر الشديد إزاء الانطباعات الذاتية الحاصلة في أيامنا. فمثلاً، ينبغي ان نتوخى الحذر حيال تلك الانطباعات الشائعة اليوم والقائلة بان اميركا سوف تشهد نهضة روحية كبرى في غضون زمن محدد. ذلك أن مثل هذا التنبؤ الذي طالما تكرر في تاريخ الايمان المسيحي قد يؤدي الى تبدد ضخم للوهم، إن كان لدى الله خُطة اخرى. واكثرُ ارتباطاً بموضوعنا الحاليّ ان الانطباعات الذاتية قد تدخل دائرة الخطر ايضاً إذا أملت – بين الفينة والننية – علـــى جماعة المؤمنين ان

هذا او ذاك من التدريبات الروحية، كالصيام مثلاً ، المفتاح الكتابي لباب النهضة. ويُستفاد من اقوال "إدواردز" تنبهُنا الى ان انطباع أذهان أتقياء بارزين بآيات من الكتاب المقدس انطباعاً شديداً ليس علامة اكيدة على ان استخدام تلك الآيات هو استخدام صحيح ودقيق.

ومن الآيات التي كثيراً ما تتلى في سياق الرجاء بالنهضة الوشيكة ***[الآية 14 من الفصل السابع في سفر الاخبار الثاني] : "فإن تذلّل شعبي دُعي باسمي وصلى والتمس وجهي، وتاب عن طرقه الشريرة، فإني أسمع من السماء وأغفر وأشفي أرضه".*** فالاستخدام الخاطئ لهذه الآية يقلل من ثقتنا في التنبؤات التي يدلي بها بعضٌ بشأن نهضةٍ آتية.

اولاً ، في النص الاصليّ، حيث يقول الله هذه الكلمات للملك سليمان، تشير اللفظة "شعبي" الى شعب الله قديماً، وتالياً تُشير اللفظة "أرضه" الى الارض التي وهبها الله لهم بموجب العهد. ولكن حين نُطبق هذه الآية على وضعنا الحالي، نجعل اللفظة "شعبي" إشارة الى الجماعة المسيحية التي لا يمكنها ان تقول ، في أية أرضٍ، بالمعنى الذي به كانت لبني إسرائي قديماً. إذ انّ الجماعة المسيحية شعبٌ سائحٌ في الارض كلها. فإن المؤمنين بالمسيح "***غرباء نزلاء" [رسالة بطرس الاولى 11:2].*** وعليه، فالتطبيق الجائز **[سفر الاخبار الثاني 14:7]** ربما كان انه إن تذللت جماعة المسيح وصلت والتمست وجه الله وتابت عن طرقها الشريرة ،يتنازل الله ويشفي **تلك الجماعة.** ولكننا نُحّمل النص ما لا يؤكده إن قُلنا إن أي بلد تتذلل فيه جماعة المؤمنين بالمسيح سوف يشهد نهضة كبرى.

ثانياً، تُرتكب غلطة أخرى حين يُرفع أي تدريبٍ روحي معين باعتباره **المفتاح** الحاسم في مثل هذه النهضة. فمن شـــأن

السوابق الكتابيّة والتاريخية ان تُشجّعنا على التماس النهضة والانتعاش من طريق الصلاة والصوم. ولكن تلك السوابق نفسها تثنينا عن جعل أي نشاط روحي واحدٍ المفتاح الذي يفتح لنا باب النهضة المنشودة. ومن الشطط خصوصاً ان نُنيط الصوم مثلاً بالآية الواردة في **[سفر الاخبار الثاني 14:7]** كطريقة مضمونة حتماً لتحقيق هذه الآية ، وذلك لثلاثة اسباب على الاقلّ:

السبب الاول أن الآية المشار اليها لا تذكر الصوم صراحةً. **والثاني** ان المراجع التالية التي يتضمنها سفر الاخبار الثاني حيث يُبارك الله من يتذلّلون وفقاًللآية عينها لا تشتمل على الصيام أبداً **[6:13و7 و12؛26:32؛12:33و13 و 19؛27:34]**. وليس في هذا البتة أيُّ إنكار لكون الصوم طريقة مشروعة للتذلل امام الرب . وإنما نقول إنه ليس من سند كتابي لحسبان هذه الآية دعوة الى الصوم. أما **السبب الثالث** لعدم ربط الصوم بهذه الآية كمفتاح لها فهو انه يمكنك ان تصوم صوماً غير عادي دون ان تتذلّل وتصلي وتلتمس وجه الله وتتوب عن طرقك الشريرة . وهذا جليّ من آيات عديدة، منها مثلاً :

"اذا صاموا فلا أسمع صراخهم، وإذا أصعدوا محرقة وتقدمة فلا أرضى عنهم،بل أفنيهم بالسيف والجوع والطاعون".

[سفر إرميا 12 :14]

كلم كل شعب الارض والكهنة قائلاً :"**حين كنتم تصومون وتنوحون في الشهر الخامس والسابع، وذلك في تلك السبعين سنة، هل كان صيامكم لي أنا؟**

[سفر زكريا 5:7]

"ما بالنا صمنا وانت لم ترَ؟ وعذّبنا أنفسنا وانت لم تعلم؟"

"في يوم صومكم تجدون مرامكم، وتعاملون بقسوة جميع عمّالكم!

[سفر أشعياء 3:58]

إلتباس الصوم

هذه الآيات جميعاً مقصودُ بها ان تحذرنا من ترفيع أية ممارسة ظاهرة، مثل الصوم، الى مستوى المفتاح الاكيد للإتيان بالنهضة. فإن لله ملء الحرية بأن يبعث نهضة وانتعاشاً ، بصومٍ او بغير صوم. وقد تاق "يوناثان إدواردز" الى النهضة، شأنه شأن سواه، ودعا الى الصيام والصلاة بمجاهرة وجلاء. غير انه اكتشف في اختباره الخاص أمراً عمقياً بخصوص حرية سيادة الله، ومما كتب في ذلك :

ما اكثر ما استهزأنا بالله في تظاهرنا المنافق بالاتضاع ، كما في ايام صومنا السنوية العامة وسواها من الامور، وإذا بنا نغدو اسوأ باطراد بدلاً من إصلاح حالنا، وكم كان الزمان عقيماً قبل بدء الله لعمله الحقيقي! فإن تأملنا في واقع الحال ، نكون ناكرين للجميل بغباوة ما بعدها غباوة،إذا لم نعترف بأن افتقاد الله لنا برحمته على حدٍّ ما فعل انما كان مثلاً على الظفر المجيد الذي تُحرزه نعمته المطلقة نعمة الحرية و السيادة.

وبيت القصيد هنا ان الصيام العام وسواه من الانشطة الرتبية كانت قد جرت مدة طويلة، ولكنها كانت زاخرةً بالتظاهر والعُقم. فالناس لم يتوبوا كلٌّ *"عن طرقه الشريرة"* فيما هم صائمون. ولا كانوا *"يلتمسون وجه الرب"* في صيامهم. ولكن فجأة، مثل الريح التي **تهبُّ حيث تشاء"[الانجيل حسب يوحنا 8:3]**، حصلت النهضة . من ذلك استنتج "ادواردز" ان تلك النهضة كانت "مثلا على الظفر المجيد التي تُحرزه نعمة الله المطلقة الحرية والسيادة". ذلك ما كانت عليه حين حصلت آنذاك ، وذلك ما ستكون عليه إذا حصلت اليوم. ويا ليت الله يمنحنا حصولها!

أشواق "إدواردز" و "برايـنارد"

رغم جميع التحذيرات التي أطلقها "يوناثان إدواردز" بشأن إساءة استعمال الانطباعات الذاتية في ترويج الصوم (او أي أمر غيره)، لم يتردّد في الإشادة بأهمية الصيام في رسالة جماعة المسيح وخدمتها. ففضلاً عن الدعوة المقتبسة آنفاً الى الصلاة والصوم ، يطلعنا على المعاناة الطويلة والمؤلمة التي خاضها "داود برايـنارد" خادم الربّ الشابُّ بين الهنود.

ولد داوود "برايـنارد" في العشرين من نيسان (ابريل) 1718 في "هدّام" بولاية "كونكتيكت". وفي تلك السنة بلغ "جان وسلي" و "يوناثان إدواردز" الرابعة عشرة من عمرهما ، وبلغ بنيامين فرانكلين "الثانية عشرة و "جورج وايتفيلد" الثالثة . كانت النهضة الكبرى قد برزت في الافق ، وسيعيش "برايـنارد" كلتا موجتيهما في منتصف الثلاثينات وأوائل الاربعينيات ، ثم يتوفى بالسلّ في بيت "إدواردز" وهو في التاسعة والعشرين ، يوم التاسع من تشرين الاول (أكتوبر) 1747. وكان "إدواردز" يقدر هذا الشاب كثيراً حتى تكلف عناء الحفاظ على صحائفه ومفكرته وتحريرها . وهنالك نرى آراء "برايـنارد" و "إدواردز" في أهمية الصوم.

فمثلاً ، على غرار ما جاء في ***[سفر الاعمال 13:1-4]***، التمس "برايـنارد" إرشاد الربّ، من جهة خدمته ، بأوقات منتظمة من الصوم :

الاثنين ، 19 نيسان (أبريل). خصصت هذا اليوم للصوم والدعاء الى الله طلباً لنعمته، ولا سيما كي يعدني لعمل الخدمة، ***ليعطيني عوناً وتوجيهاً من لدنه في إعداداتي لذلك العمل العظيم***، وليرسلني في حينه الى حصاده.

وعليه ، ففي الصباح جاهدتُ متضرعاً لأجل تمتعي بالحضرة الالهية نهاراً، وليس من دون حياةٍ ما . وفي صدر النهار ،

شعرتُ بقوة للتشفع لأجل النفوس الخالدة الثمينة عسى ان ينقذها الله، ولأجل تقدم ملكوت سيدي ومخلصي الكريم في العالم، فضلاً عن سكينة حلوة، بل تعزية وفرح، لدى التفكير في معاناة المصاعب والضيقات،بل الموت ايضاً، في سبيل امتداد الملكوت ونصرته . وقد اسبغ عليّ الله اهتماماً خاصاً بالتضرع لاجل تنوير غير المؤمنين المساكين وتحولهم الى الايمان.

وبالنسبة الى "إدواردز"، لم يكن استخدام الصوم هكذا جديراً بالثناءلدى الدعاء الى الايمان ، أمثال "برايانارد" بل ايضاً لدى خدام المسيح وجميع المؤمنين به. فقد كان الصيام في الواقع وسيلة البركة المستمرة في حياة "برايانارد" ، كما يمكن ان يكون كذلك في حياتنا :

إن قدوته ونجاحه في ما خصّ واجباً واحداً على وجه التحديد يمكن ان يكونا نافعين جداً لخدام المسيح ولجميع المؤمنين على السواء ، واعني واجب الصيام السري. فقد أوصى "برايانارد" بهذا الواجب كثيراً ، ومارسه كراراً. ولا يمكن ايضاً ان يفوتنا كم باركه الرب واستخدمه بواسطة الصوم، وكم انتفعت نفسه به. وبين جميع أيام الصيام السري التي يذكرها في مفكرته، قلما مرّ يوم واحد الا صحبته او اعقبته سريعاً ***نجاحات ملموسة وبركاتٌ محسوسة عبر امتلاءات خاصة بروح الله وتعزيات وافرة منه*** ، وما اكثر ما كان ذلك قبل انتهاء النهار!

لهذا السبب ناشد "إدواردز" خدّام الربّ وجميع المؤمنين على السواء، في ايامه، بمضاعفة الانتذار للصوم والصلاة كممارسة منتظمة. فقد اثبت ذلك لبرايانارد ومئاتٍ غيره في تاريخ جماعة المسيح انه وسيلة ناجعة للنجاح والبركة والتمتع بملء الروح القدوس وتعزياته الوافرة. بعبارة وجيزة، ثبت ان الصوم سبيلٌ الى الانتعاش والنهضة الروحية.

مناشدة لخدّام الربّ من شيبارد الطهوري

نجد مثلاً آخر على التزام الصوم بقوة على انه السبيل الى الحياة المسيحية الحيوية في القرن السابق "يوناثان إدواردز" في "نيوإنغلند". فإن "توماس شيبارد" ولد في بريطانيا عام 1605 ، وذهب الى اميركا سنة 1635 وقد خدم جماعة مسيحية في "نيوإنغليد" ، حيث ألقى سلسلة عظاتٍ طبعت لاجقاً تحت عنوان "مثل العذارى العشر". ولهذا اهمية خاصة لأن "يوناثان إدواردز" اقتبس هذا الكتاب اكثر من سواه في تحفته المسماة "مبحث في المشاعر الدينية". وقد جمع "كوتن ماذر" (1663–1727) سير "توماس شيبارد" وسواه من وعّاظ "نيوإنغلند" ؛ وفي ما يرويه إظهار لبعض الجذور التي منها تغذى التزام "إدوارز" الشديد للصوم كجزء من حياة الخدمة وسبيل الى النهضة. وها هو "ماذر" يدعونا الى داخل مكتب "توماس شيبارد":

لو تبعناه الى مكتبه الاثير، لوجدناه يقدم بينة اخرى جديرة بالتنويه على سيرته المقدسة. فههنا، فضلاً عن ادعيته اليومية، قام بأمر خاص كان له تأثير فعال في حفظ روحه الخاصة سليمةً نشيطة يقظة، وفي استنزال بركات الله المتنوعة على مهامه الثقيلة التي كان يضطلع بها. وقد كان ذلك امراً اعتبر انه لولاه ما استطاع قط ان يكون مؤمناً ساهراً ولا خادماً للمسيح نافعاً جداً.***ذلك انه نادراً ما فوّت شهراً دون قضاء يوم واحد منه متدرباً بصوم سريّ اما الرب.*** وانه لأمر رائعٌ ان كلاّ من أولئك الثلاثة الذين اشتهروا في كتاب الله بالصوم العجيب (موسى وإيليا والمسيح) أكرمه الله إكراماً فائقاً باستخدامه لإطعام الاخرين بطريقة معجزية. قطيع المسيح وقد اعتبر شيبارد انه لن يأتي البتة أي أمر عظيم في إطعام.

ما لم يقم شخصاً بأمر عظيم في الصوم :

ومن الواضح ان "ماذر" نفسه يصادق على التزام الصيام هكذا، وقد تاق الى حصول نهضة كبرى في أيامه. وما يلفت الانتباه ان "ماذر" خالف "إدواردز" في العقيدة الاخروية، ولكن كليهما ترجيا حصول نهضةٍ وصلّيا وصاما لاجلها. فقد كان "إدواردز" يعتقد ان مُلك المسيح يسبق مجيه الثاني، فيما اعتقد "ماذر" ان مجيء المسيح الثاني يسبق مُلكه الألفي. وعليه، صلى "إدواردز" لأجل نهضة كبرى تؤول الى عصرٍ ذهبي من السيادة المسيحية في العالم قبل رجوع المسيح. اما ماذر فكان مقتنعاً بأن رجوع المسيح الوشيك سيسبقه الانحطاط الروحيّ الشامل الذي رآه في "نيو إنغلند" كما في البروتستنتية الاوروبية، وايضاً بانسكابات فائقة من االروح الالهي تنتج مواقع نهضةٍ مشرقةً ونجاحاً في الدعوة الى لايمان . ولا سيما في اهتداء كثيرين من اليهود الى الايمان بالمسيح.

ولنا في هذا تشجيع مضاعف اليوم.فإنه يدلنا على الطريق عبر الفروقات اليسيرة نسبياً في العقيدة نحو الاتحاد في الصلاة والصوم إنهاض شعب الله المؤمنين وإصلاحهم وانبعاث الموتى روحياً. بل انه يدلنا ايضاً على الطريق الى رجاءٍ بالصلاة مشترك، وان كنا لا نتفق على تفاصيل سيناريو آخرة الدهر.

الامر الاكثر تشجيعاً

ربما كان اكبر امر مفعم بالامل وسط ذلك كله ان "كوتن ماذر" توفي سنة 1727 قبيل هبوب رياح النهضة الكبرى الاولى في اميركا. ويشير "ريتشارد لفلايس" الى ان رجاء "ماذر" بالنهضة الشاملة قبيل وفاته. ويا ليته عاش ليرى ما أتى عقدٌ واحدٌ من السنين! فالربُّ نسأل ألا يغير اشتياقنا الى سيادة الله في كل شيء لبهجة جميع الشعوب، بل ينمو ويشتد بالصيام والصلاة

. وليقيم الله بالفعل ملايين لديهم جوعٌ شديدٌ اليه بحيث لا يسعهم الا ان يصرخوا بنفوسهم وجسومهم :" بهذا المقدار، يا إلهنا، بهذا المقدار نتوق الى اختبار كامل كمالك في جماعة المؤمنين بالمسيح واعتلان مجدك في العالم!".

"أليس الصوم الذي فضّلته هوهذا:
حلُّ قيود الشرّ ،وفكُّ رُبُط النير،
وإطلاق المسحوقين أحراراً،
وتحطيم كلّ نير؟
أليس هو أن تكسر للجائع خبزك،
وأن تُدخل البائسين المطرودين بيتك،
وإذا رأيت العريان ان تكسوه، وأن لا تتوارى عن لحمك؟
حينئذ يبزغ كالفجر نورك، ويندب جرحك سريعاً،
ويسيربرّك امامك، ومجد الربّ يجمع شملك".
- [سفر اشعيا 58:6-8]

نحو بليون من سكان العالم يعيشون في ظروف فقر مدقع، محرومين حتى الموارد الاساسية البسيطة. فليس لهم ما يكفي من الغذاء والكساء والاواء والاستشفاء. كما ان 400 مليون يعانون سوء التغذية الشديد، وبينهم اكثر من 200 مليون طفل.

لاري لبّي
"صراخ الفقراء"

-6-

ملاقاة الله في بستان الألم

صيام مختلف لأجل الفقراء

شهد التاريخ واحداً من اعظم الوعاظ، على مدى الالف الاول من تاريخ الجماعة المسيحية، في شخص "يوحنا الذهبي الفم" الذي كان اسقفاً للقسطنطينية في القرن الرابع الميلادي. وقد خلّف لنا واحداً من اقوى التصريحات المؤثرة بشأن قيمة الصيام. وعُرف عنه انه عاش عيشة زُهد في عصر تميز بالرفاهية والتنعُّم في المدينة، وقد ضايق نمط حياته الامبراطور "أركاديوس" وزوجته "إفدوكسيا" كثيراً حتى نفي اخيراً وتوفي سنة 407 م.وعليه، فإن "الذهبي الفم" جسّد، على ما يبدو، ليس فقط انضباط الصوم بل ايضاً التزامات عيشة طاهرة – على حدّ ما سنرى ادناه – هي في حد ذاتها صيامٌ بعدُ من الانقطاع عن الطعام.

إن الصوم، بكل ما يكمن فينا، محاكاةُ للملائكة ، واذدراء بأشياء الحياة الدنيا، ومدرسة للصلاة ، وغذاء للنفس، ولجام للسان، وإبطال للشهوة، انه يسكن الغضب، ويفثأ السخط ، ويهدئ عواصف الطباع، ويحثُّ العقل، ويّصفي الذهن، ويرفع الاثقال عن الجسم، ويطرد تلوثات الليل، ويشفي الصداع . وبالصوم يكتسب المرء سلوكاً رزيناً، ولساناً سليماً ،وتفكيراً حكيماً.

وافهم مـــن هذا انه كان للصيام مثل هذه الاثار الصالحة

فيه وفي سواه، من حين الى حين، وانه لا يكون له هذا التأثير دائماً ولا يمد كل انسان بهذه المنافع كلها. فمن شأن الصيام مثلاً ان يسبب لبعضهم (وقتياً على الاقل) صداعاً بدل ان يشفيهم منه. ومع ذلك فإن آلافاً سمعوا كلام الرب في **[الانجيل حسب متى 12:9]** انه حين "يرفع العريس من بينهم ،فحينئذٍ يصومون" واختبروا ما في ذلك من قيمة روحية ثمينة جداً . وكلما زاد إطلاعك على تاريخ الصوم، بدت متنوعة الشهادات لمنافعه.(راجع التذييل: "اقتباسات واختبارات في الصوم").

مخاطر الصيام

على اننا قد رأينا، وسنرى الآن ايضاً، ان الصوم ينطوي على خطر. لا اقصد الخطر الجسماني؛ ففي وسعك ان تتجنبه إن عملت ببعض الارشادات البسيطة. وإنما اقصد المخاطر الروحية. فمن الممكن ان تصوم بطريقة لا تكون مُرضية للربّ ابداً وتكون مدمرةً لنفسك على الصعيد الروحيّ.

فإذا صمتَ مثلاً، على حدّ ما قال المسيح، كي يراك الاخرون، تكون قد نلت مكافأتك منهم، ولا يستجيب لك الاب السماوي**[حسب متى 16:6]** وامتحانا لحوافزنا قال المسيح ان علينا ان نخطوّ خطوات تضمن الا يرانا الاخرون بل الله وحده: مشط شعرك واغسل وجهك ولا تعبس او تقطب حتى تثير شفقة الناس. وحينئذ – إذا كانت حوافزك سليمة وخالصة – يكافئك ابوك الذي يرى ما في الخفاء.

الصوم ومعاناة المدينة للاهوال

ولكن ليس هذ هو التحذير الوحيد الذي يتضمنه الكتاب المقدس بشأن الصيام. فالنبي اشعيا يقدم كلمة قويـــة ذات مساس

لصيق بأيامنا الحاضرة . وقد ثبت لي، ولآخرين غيري، انها كلمته شخصية للغاية.فأنا اقوم واخدم في المدينة، حيث تحيط بي تلك البلايا البشرية التي تتراكم في المدن الكبيرة، ويرافقني دائما السؤال : كيف يمتُ إيماني – بما فيه الصوم – الى هذا الواقع بأوثق صلة؟ ولقد أيقظ الفصل الثامن والخمسون من سفر اشعيا، فيّ وفي كثيرين من افراد الجماعة التي ننتمي اليها، اشواقاً شديدة لأن ننفق لمصلحة اولئك الذين يعانون اشد فاقة. وقد عمل الفصل المذكور ، غير مرة، على تزويدنا بالرؤية السليمة بوصفنا جماعة للمسيح في ما يعنيه ان ننشر شوقاً وتوقاً الى سيادة الله في كل شيء وسط المدينة :

نادِ بمل فمك ولا تمسك
إرفع صوتك كالبوق
وأخبر شعبي بمعصيته
وبيت يعقوب بخطاياه.
إنهم يلتمسونني يوماً فيوماً
ويرومون معرفة طرقي
كأنهن أمة تعمل بالبرّ
ولم تُهمل حقّ إلهها.
يسألونني أحكام البرّ
ويرومون التقرب الى الله.
"ما بالنا صمنا وانت لم ترَ؟"
في يوم صومكم تجدون مرامكم
وتعاملون بقسوة جميع عمالكم.
إنكم للخصومة والمشاجرة تصومون

ولتضربوا بلكمة الشر.
لا تصوموا كاليوم
لتسمعوا اصواتكم في العلاء.
اهكذا يكون الصوم الذي فضّلته،
اليوم الذي فيه يعذب الانسان نفسه؟
إذا حنى راسه كالقصب
وافترش المسح والرماد
تُسمي ذلك صوماً ويوماً مرضياً للربّ؟
أليس الصوم الذي فضلته هو هذا :
حلُّ قيود الشر وفك ربط النير
وإطلاق المسحوقين أحراراً
وتحطيم كلّ نير؟
أليس هو ان تكسر للجائع خبزك
وان تدخل البائسين المطرودين بيتك،
وإذا رأيت العُريان ان تكسوه
وان لا تتوارى عن لحمك ؟
حيئنذ يبزغ كالفجر نورك
ويندب جرحك سريعاً
ويسير برّك امامك
ومجد الربّ يجمع شملك.

حينئذٍ تدعو فيستجيب الربّ
وتستغيث فيقول : هاءنذا!
إن أزلت من ابنائك النير
والاشارة بالاصبع والنطق بالسوء.
إذا تخلّيت عن لقمتك للجائع
وأشبعت الحلق المعذّب،
يُشرق نورك في الظلمة
ويكون ديجورك كالظهر،
ويهديك الربّ في كلّ حين
ويشبع نفسك في الارض القاحلة
ويقوي عظامك فتكون كجنة ريا
وكينبع مياهٍ لا تنضب.
وبفضلك يبنون أخربة قديم الايام
وانت تقيم اسس الاجيال
وتدعى ساد الثُلمة
ومرمّم الازقّة للسكنى.

"بل لِزلي" يكتشف الجنّة الريّا

ليس أفراد الجماعة التي انتمي اليها وأخدمها وحدهم من سمعوا كلمة شخصية من الله في سفر أشعيا ، الفصل الثامن والخمسين. فإني اتذكر شهادة قدمها "بل لزلي"، وهو راع سابق أمَّ جماعة المسيح في شارع "لاسال" بشيكاغو، وكانت له خدمة

طويلة الامد وبارزة في المدينة، لا تختلف كثيراً عن تلك الموصوفة في ***[أشعيا 58]***. وقد جاء "لزلي" مرّة الى مدينة مينابوليس"، حيث روى خبر انهيار عصبي كاد يصيبه، وكيف وجهه الى ذلك الفصل مرشدُ روحيٌّ خبير.وقال إن ***[****الآية الحادية عشرة****]*** أنقذته من نفقٍ مقفل حفّ به الارهاق والنهاك :

10 – ***"إذا تخلّيت عن لقمتك للجائع***
واشبعت الحلق المعذّب
يُشرق نورك في الظلمة
ويكون ديجورك كالظهر".
11 – " ويهديك الربّ في كلّ حين،
ويشبع نفسك في الارض القاحلة *[مثل مدينة شيكاغو]*
ويقوّي عظامك،
فتكون كجنة ريّا *[بستان مروى]*
وكينبوع مياه لا تنضب".

فما أثر شديداً في "بل لزلي" كان حقيقة وعد الله يجعلنا كبستان مروى. ليس فقط خدمة إرواء ، بل خدمة مرواة. أ اننا سوف نتلقى المياه التي تعوزنا للانتعاش، ونصير مثل نبع ماء لا ينضب ، يروي الاخرين في خدمة المدينة الباذلة للذات، وهي خدمة كثيرة المتطلبات مستنزفة للطاقات. وقد آتى ذلك "لزلي" عينة من الحياة الالهية المصدر أجازته من محنته بسلام وامدته بطاقة مكنته من الاستمرار سنين طويلة بعد. والامر المدهش الذي ينبغي ان نلاحظ هنا ان أشعيا يحدد اختبار الارتواء والارواء هذا، المصور بصورة بستان مروئ بأنه نوع من انواع الصوم.

إكسر للجائع خبزك ولو كان بك سرطان

مرّ بي اختبار آخر واحد على الاقل جعلني انظر الى هذا المقطع من الكتاب المقدس نظرة شخصية ملزمة جداً. فإن "داغ نيكولاس" يشغل حالياً منصب رئيس "خدمات أكشن الدولية"، وهي مؤسسة تركز خصوصاً على ابناء الازقة في مدن العالم الكبيرة, وهو رجل لا يتوانى عن مخابرة مدبري الجماعة عندنا في اثناء ازمة دولية مقترحاً ان نرسل طائرة ضخمة خاصة تقل نحو مئتين من المؤمنين من عندنا الى "رواندا" للمساعدة في دفن الاموات حتى يتفرغ الاطباء والممرضات للقيام بعملهم الاساسي. وهو قد نذر نفسه بلا تخفظ لمساعدة البائسين المعوزين المحتاجين الى حياة المسيح.

ومن عادته ان يكتب اليّ احياناً ، حيث يضمن الرسالة ، كلّ مرة تقريباً، بعض الملاحظات القاطعة كالسيف . وإليك مثلاً:"في آخر دقيقة استغرقتها قراءتك هذه الرسالة ، مات ثمانية وعشرون طفلاً بسوء التغذية وبأمراض كان يمكن الحيلولة دونها بسهولة. كلّ ساعة يموت 1667 طفلاً، وكل يوم اشطب واربعون الفاً! رجاءً ان تؤازر **آكشن** بصلاتك ودعائك عسى ان يتطوع كثيرون لحمل البشارة الى اولئك الاولاد".

وفي شهر نيسان (ابريل) 1993 تبين ان "داغ" مصاب بسرطان القولون. وقد حدد له الاطباء بنسبة 30 بالمئة فرصة البقاء على قيد الحياة بعد اجراء عملية جراحية وتفميم القولون والعلاج بالاشعة. ولكن في اثناء حرب اهلية رهيبة بين قبلتي "الهوتو" و "التوتسي" استقل طائرة وذهب الى رواندا مع فرقة من المسعفين بينهم اشخاص من جماعتنا. وقد قال له طبيب الاورام،غير المؤمن بالمسيح،إنه سيموت في رواندا. فقال "داغ"انه لا بأس في ذلك ما دام سينطلق الى الفردوس. وقلق طبيب الاورام فاستعان بجّراح "داغ" كي يثنيه عن الذهاب الى

رواندا. فقال الجراح، وكان مؤمناً بالمسيح ، إن "داغ" مستعد للموت والذهاب الى السماء.

ولما علمنا ان "داغ" ماض الى رواند ، بسرطانه وقولونه المفمم، اجتمع بعض منا كي نصلي لأجله. واذكر ان الله ألهمني خصوصاً ان اقرأ **[أشعيا 7:58 و8]** ، وان ندعو الله على اساس وعوده الكريمة هنا :

"أليس [الصوم الذي فضّلته] هو ان تكسر للجائع خبزك،
وان تدخل البائسين المطرودين بيتك،
واذا رأيت العريان ان تكسوه،
وان لا تتوارى عن لحمك؟
حينئذٍ يبزغ كالفجر نورك،
ويندب [يندمل ويشفى] جرحك سريعاً ... ".

وقد صلّينا تحديداً طالبين ألاّ يتسبب إطعام الجياع وإيواء المشردين في رواندا بمصرع "داغ نيكولاس" بل ان يؤدي ذلك الى شفائه. ومن رواندا ، اتصل "داغ " بطبيب أورامه اعلمه بأنه لم يمت. ولما رجع اجريت له جملة فحوصات اثبتت خلوه من اية بيّنة على المرض. إنما بيد الله وحده مستقبل "داغ نيوكولاس" وإيمانه وخدمته الرائعين، ولكن حتى الان ما يزال الفصل الثامن والخمسون من سفر أشعيا نابضاً بالحياة الفعلية في جسم " داغ" وهو يسكب نفسه لأجل الاطفال والاولاد .

هكذا ترى ان **[للفصل الثامن والخمسين من سفر أشعيا]** تداعيات هامةً في حياتي.فالصوم الذي إليه يدعو هذا الفصل ليس صوماً عادياً . ودعائي ان تتزايد الشهادات لقوته المغيرة للحياة بواسطة هذا الكتاب.

لقد اعجب المسيح بهذا النبيّ

في ***[الفصل الثامن والخمسين من سفر أشعيا]*** ما هو لصيق بقلب المسيح. ففي وسعك ان تسمعه خارجاً من شفتي المسيح في ***[الانجيل حسب لوقا 18:4] :"روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشّر الفقراء ، وارسلني لأعلن للمأسورين تخلية سبيلهم ، وللعميان عودة البصر اليهم، وأفرّج عن المظلومين"***، وفي ***[الانجيل حسب متى 35:25 و36] :"لاني جعت فاطعمتموني، وعطشت فسقيتموني، وكنت غريباً فآويتموني، وعرياناً فكسوتموني، مريضاً فعدتموني، وسجيناً فجئتم إليّ"***، وفي ***[الانجيل حسب يوحنا 38،7:37] :"ان عطش احد فليقبل اليّ، ومن آمن بي فليشرب، كما ورد في الكتاب : ستجري من جوفه أنهارٌ من الماء الحيّ"***.فإن منطوق ***[سفر أشعيا 58]*** يخيم على خدمة المسيح ويتخللها – وينبغي ان يتخلل أيضاً خدمتنا على نحوٍ متزايد.

الصيامُ ستاراً للرذيلة

في أول آيات يوجهه الله اتهاماً الى شعبه قديماً. فهو يوصي أشعيا بأن ينادي بصوتٍ عالٍ كاشفاً لبيت يعقوب ذنوبهم. غير ان خطاياهم مغطاة بستار مذهل من الحماسة الدينية. وهذا هو ما يصعقنا و يصحينا ، ولاسيما نحن المتدينين الذين نمارس تدريبات روحية كالصوم. وهاك الاتهام ***:"انهم يلتمسونني يوماً فيوماً، ويرمون معرفة طرقي، كأنهم أمة تعمل بالبر ولم تهمل حقّ إلهها" [الآية الثانية]***. بعبارة أخرى، إنهم يتصرفون كأنهم أمة بارة وطائعة. وهم يقنعون انفسهم زوراً بأنهم يريدون حقاً الله وطرقه. فيا له من وهم رهيب يعيش فيه المرء!

ثم يردف قبيل ***[الآية الثالثة] :"يسألونني احكام البرّ، ويرومون***

التقرّب الى الله". إلاّ انهم ليسوا صادقين. فهم يريدون من الله ان يتدخل لخيرهم بأحكام برّه، لأن الامور ليست على ما يُرام، كما سنرى بعد قليل. لكنهم لا يرون المشكلة الحقيقية. يحبون ان يتوافدوا للعبادة، ويتكلمون لغة التقرب من الله.حتى انهم قد يحوزون اختباراتٍ دينية وروحية مؤثرة في معرض سعيهم للتقرب من الله. ولكن ثمة خطبٌ ما !

حذار ان نحبّ محبّتنا لله بدل ان نحب الله

تحذير ذو صلةٍ وثيقة بالنسبة الينا في ايام يشهد التعبد والتسبيح فيها انبعاثاً ملحوظاً. فكثيرون يكتشفون فرحة لقاء الله في اوقات متطاولة من الترنيم للرب ترنيماً مشحوناً بالعواطف الجياشة. وانا شخصياً ألفي اوقاتاً كهذه من المكوث في حضرة الرب فرصةً للتمتع بحلاوة عشرته تعالى. غير أني أرى خطراً ، ألا وهو أننا ننزلق على حين غرّة من ان نحبّ الله، في تلك اللحظات الطيبة، الى ان نحب محبتنا لله، على حدّ تعبير احد زملائي مؤخراً. بكلام آخر، باستساغة الجو الذي يثيره التعبد، لا مجد الله بالذات. فإذا حدث ذلك نعرض انفسنا للنفاق. وتحت عباءة الحماسة الدينية البالغة، قد تبرز في حياتنا تناقضات ذاتية فتاكة.

بدا كلُّ شيء جيداً جدّاً

رفي التعبد الموصوف في أشعيا 58 خطلٌ وخطأ. وقد عبّر الشعب عن خيبة أملهم، في آلاية الثالثة، لكنهم لم يعرفوا الخطأ . فإنهم يقولون لله: "ما بالنا صمنا وانت لم ترَ، وعذّبنا أنفسنا [تذلّلنا] وانت لم تعلم؟" وبالحقيقة ان [**الآيتين 2 و 3**] تذكران خمسة انشطة دينية يعملونها باطلاً. [*فالآية الثانية]* تفيدنا انهم (1) يلتمسون وجه الله؛ (2) يسرّون بمعرفة طُرقه، (3) يسألون الله قراراتٍ عادلة؛ (4) يبتهجون بالتقرّب الى الله. ثم تقول *[الآية*

الثالثة] إنهم (5) يصومون ويتذلّلون. وعلى ذلك ، فرغم كل شي يقول الله لأشعيا :***"نادِ بملء فمك [لا بصوت هادئ منخفض] ... واخبر شعبي بمعصيته***" (الآية الاولى).

لقد كانوا يصومون، ويلتمسون وجه الله، ويصلون. وكانوا يقومون بنوع من إذلال النفس الخارجي. وهذا كله يبدو تماماً كما يفترض ان نكون قائمين به، بحسب ما جاء في **[سفر الاخبار الثاني 14:7]**. ومع ذلك كان هذا الصوم وهذه العبادة غير مرضيين للرب. إنه النوع الذي لا نريده من الصوم والتعبُّد. غير أننا نسأل : ما الخطأ في طلب وجه الله ، والابتهاج بمعرفة طرقه،وسؤاله القرارت الصائبة، السرور بالتقرب اليه، وصيامنا وتذللّنا أمامه؟ما الخطأ في هذه كلها؟ انها تبدو تماماً مثل الطريقة التي نصف بها العبادة على افضل ما تكون ! ألا يصحينا هذا؟إلا يجعلنا نرتعد؟اولاً يجعلنا نرغب في التواصل مع الله على نحو حقيقي لا يحملنا البتة على الاجفال والهروب، حيث لا تفضح افضل ممارساتنا الدينية المتسمة بالغيرة والحماسة، وخيرة اشواقنا ، على اساس كونها زائفة؟

ما وجه الخطأ في عبادتهم؟ عن هذا السؤال يجيب الله :

"في يوم صومكم تجدون مرامكم،
وتعاملون بقسوة عمالكم.
انكم للخصومة والمشاجرة تصومون،
ولتضربوا بلكمة الشرّ.لا تصوموا كاليوم، لتسموعوا اصواتكم في العلاء.
أهكذا يكون الصوم الذي فضلته،
اليوم الذي فيه يعذّب الانسان نفسه؟

تُسمي ذلك صوماً ، ويوماً مرضياً للربّ؟".[الآيات 3 ب –5] فهذه هي القضية : ان ما يصحب الصوم من عناصر خُلقية وعمليّة وعلائقية هو الامتحان الحقيقي لأصالة الصيام. ويذكر الله الصور الدينية الظاهربة المرافقة للصوم : التذلل او تعذيب النفس (لا طعام)، حَني الراس كالقصبة، افتراش المسوح والرماد. ثم يذكر ما رافق الصوم من عناصر (غير) خلقية: تنشدون مسرّتكم (بطريقة أخرى غير الاكل)، تعاملون عمالكم بقسوة، تستفزون وتتشاجرون وتتخاصمون، بل تتعاركون وتتضاربون . ويسأل الله :"أهكذا يكون الصوم الذي فضّلتُه؟" والجواب "لا"!

تناقُض الصوم والانغماس الذاتيّ

وهكذا نجد هنا امتحاناً آخر لكون الصوم أصيلاً او زائفاً. فقد قال المسيح إنك إذا صمت كي يراك الناس استوفيت مكافأتك. ويقول أشعيا أنه إذا كان صومك يجعلك منغمساً ذاتياً في مجالات أخرى، قاسياً على عمالك، سريع الغضب ومخاصماً وعنيفاً، فعندئذ لا يكون صومك مقبولاً لدى الله . إذا، يحذرنا الله، راحماً ومنعماً، من خطر الاستعاضة بالممارسات الدينية الشكلية عن عيشة التقوى والاستقامة.

أواه، كم نحتاج الى تدبر هذه الامور؟ إنّ النفاق آفة مقيتة تُصيب عبادة الله. فلتكن في قلوبنا مضامينُ العبادةِ الطويلةُ الامد، ولتتبدّ جليّة في حياتنا وجماعاتنا. فليست العبادة الصحيحة الحقيقية المرضية للرب ذات علاقة بأي تعبد، من وعظٍ وترتيل ودعـــاء وصوم، مهما كانت هذه جليلة وجميلة ،إذا كـــانت تلك

العبادة تجعلنا قساةً على عمالنا يوم الاثنين، او مخاصمين لشريكات حياتنا في المنزل، او منغمسين ذاتياً في مجالات اخرى من حياتنا، او غضاباً بحيث نلكم او نلطم احداً. لا نغلط في هذا المجال: فربما كان الصيام وسيلةً يباركها الله للتغلب على القساوة في اماكن العمل، والمخاصمات في البيت، والانغماس الذاتي وحدّة الغضب. ولكن إذا حدث ان اصبح الصوم عباءة للتقليل من شأن هذه المفاسد، وللسماح باستمراها واستفحالها، فعندئذٍ يغدو نفاقاً ورياءً وغرضاً لعدم رضى الربّ.

العمل يومَ الاثنين محكٌّ للعبادة يوم الاحد

إن كيفية معاملتك للناس يوم الاثنين هي المحكُّ لأصالة صومك يوم الاحد. فالصوم الذي يُبقي حياتنا اليومية على حالها من المعاصي والذنوب محطّ لتهكم الله ***:"أهكذا يكون الصوم ... إذا حنى [الانسان] رأسه كالقصب؟"[الآية 5].*** بعبارة اخرى، إنّ اشارات هذا الصوم لا تتفوق روحانيةً على قصبة محنية على ضفة مستنقع!

ويحاً لصوم يترك المعصية في حياتنا على حالها! فالصوم الاصيل الوحيد هو صوم ينطوي على هجمةٍ روحية منا على معاصينا. أصيامنا بالحقيقة جوع الى الله؟ إننا نمتحن حقيقته بكوننا نجوع الى الطهارة والقداسة. فأن نريد الله يعني ان نكره المعصية. ذلك ان الله قدوس، وليس ممكناً ان نحبّ الله ونحبّ الإثم معاً. وما أضل صوماً لا يستهدف تجويع الخطايا، مع التمتع بحلاوة عشرة الله! فليس الى الله نجوع حقاً في صوم كهذا . إذ إن جوع الصيام هو جوع الله، واختبار ذلك الجوع كونه يشتمل – او لا يشتمل – على جوع الى النقاوة والقداسة .

غاية الصوم تجويع المعاصي ، لا تجويعنا نحن

أفي حياتنا جيبُ خطيئةٍ غيرُ مستوى ، الا اننا نصوم لأجل شيء آخر؟ إذا سيوافينا الله ويقول :***"الصوم الذي اخترتُه هوان تجوع تلك الخطيئة حتى الموت".*** وكم هي مؤثرة الطريقة التي بها يفعل ذلك في **[سفر أشعيا 58]**.فلقد قال أشعيا ، في***[الآية الخامسة]*** ، إنه في الصوم ***"يعذب الانسان نفسه".***إذا كانوا يعذبون انفسهم بالجوع. ولكن الله يقول إن هذا ليس هو الصوم الذي يفضله. ثم في **[الآية العاشرة]**، يستعمل هاتين الكلمتين بالذات "**جائع**" و "**معذب**" ليفيدنا ان هنالك قوماً جائعين ومعذبين هو معنيّ بأمرهم فعلاً، الا وهم اولئك الذين لا خيار لهم سوى ان يكونوا جائعين ومعذبين، لأن القوم الصائمين يظلمونهم ويبغون عليهم بدل ان يطعموهم :

إذا تخلّيت عن لقمتك للجائع،
وأشبعت الحلق المعذّب ...

بكلمات أخرى، يقول الله إن صومك وعذابك ليسا بالحقيقة هجوماً على معصيتك المتمثلة بالظلم وقساوة القلب. ولو كانا كذلك، لعمدت بالفعل الى تخفيف جوع عمالك وعذابهم. فههنا تهكم شديد يريد لنا الله ان تلحظه. فالفقير جائع ومعذب ، كما تقول الآية العاشرة. وهؤلاء المتدينون الميسورون هم ايضاً جائعون ومعذبون.... بالصيام . ولكن لأجل أي شيء يصومون؟ اصومهم بالدرجة الاولى حربٌ على خطيئتهم ، اعني خطيئة ظلم عمالهم ومعاملتهم بقساوة؟ وعلى خطيئة إثقال كاهل الفقراء بنيرٍ باهظ؟ وعلى خطيئة إهمالهم حاجات كساء الفقراء وإوائهم؟ كلاّ! فليس لهذا الغرض يصومون ، وبسلوكهم على ذلك يبرهنون .

من ثم يوافيهم الله ويقول لهم : إن الصوم الذي افضله

ليس ان تجوعوا انفسكم وتعذبوها تحت غطاء ديني ، بل ان تجعلوا الفقراء اقل جوعاً وعذاباً. فإن شئتم محاربة المعاصي بإبعاد الخبز عن أفواهكم، فضعوه في أفواه الفقراء. وعندئذ نرى هل تصومون حقاً في سبيل البرّ.

فإذا كنا نعيش في الخطيئة، يكون الصوم الي يفضله الله لا ستاراً دينياً ، بل هجمة مجابهة مباشرة. فعند اولئك القوم ما كان الصوم حرباً على المعاصي المحدقة بحياتهم، بل تمويهاً ظاهراً. وإن هم جوّعوا انفسهم قليلاً وعذبوا انفسهم قليلاً، فربما لا يهم كثيراً كونهم لا يبالون بجوع الفقراء وعذابهم . لذلك يوافيهم الله قائلاً : انني ممتحن قلوبكم ... إستغنوا عن الخبز لأجل الفقراء . ذلك هو الصوم المفضل عندي!

الاستهلاكية وفتى المدينة

إن الصوم في أميركا وبلدان الغرب الاخرى المزدهرة امرّ يصعب إدراكه تقريباً لأن حضارة الاستهلاك قد غسلت أدمغة الناس. وهم يعلمون ان يختبروا الحياة المريحة بالاقبال على الاستهلاك عوضاً عن الاقلال منه او التخلي عنه. وعلى حدّ تعبير "رودني كلابّ" : :يربى المستهلك على النهم ، ويعلم ان قوام الانسان الاساسي حاجات غير ملباة يمكن تسكينها باقتناء البضائع واستخدام السلع. وعليه، ينبغي ان يفكر المستهلك اولاً وقبل كل شيء في نفسه وفي سد حاجاته التي يحس بها". أما ان تكون ***"السعادة في العطاء اعظم منها في الاخذ" [سفر الاعمال 35:20]*** فأمر يكاد يستحيل تصوره . من ثم قلما يفكر احد بالصوم الا كوسيلة دارجة لتخفيض الوزن او كمعزز روحاني لرفع الوعي الى اعلى الدرجات كما يروج له دعاة "العصر الجديد" ؛ وكلا هذين مترسخ في حضارة قائمة على الاستهلاك.

ويتبدى شيوع الاستهلاك وسيطرته جلياً متى ادركنا اعماق تخلله لكل طبقات المجتمع ، حتى تلك التي قلما تستطيع الانفاق. وعلامة حضارة الاستهلاك البارزة انها خفضت "الكينونة"الى "الامتلاك" تخفيضاً يغذيه التلفزيون يومياً. حتى ان المراهقين ، في احياء المدن الداخلية، حيث الفقراء الذي يعجزون عن الانفاق في حده الادنى، باتوا خبراء بصرعة الاستهلاك، متقبلين تواً شعاران الدعاوة التلفزيونية وصورها الباهرة :

وقد تشرّبت لغتهم توافه العروض التلفزيزنية، حتى اصبح كون المرء ذا "اعتبار" يعرف بحيازته مظهراً او صورة معينة. وكم من مراهق يتخلى عن عمله الصيفي في توضيب الخضار مثلاً حين يدرك ان في ذلك خطراً على "صورته". ثم ينفق الخمسة والسبعين دولاراً التي يكسبها من عمل آخر لشراء جهاز خلوي، كي يظهر بمظهر مروج المخدرات، ولو لم تكن له ادنى علاقة بالمخدرات! ومن حين الى آخر يحمل مسدساً ويتاجر بالمسروقات،لأن تصرفات من هذا النوع تنفي عنه كونه "نكرة" وتجعله يظهر بمظهر صاحب الكيان والاعتبار. وكثيراً ما يرتدي هو واترابه ثياباُ ذات "ماركات"معروفة سرقوها من مخازن المدينة، اعتقاداً منهم ان "الثياب تصنع الانسان". والمؤسف ان هذا الشعار يصح هنا، فإذا نزعت الثياب الشهيرة، لا يبقى وراء المظهر أي جوهر. وهكذا يغدو المراهق مجرد مقتن للسلع ومستهلك للمنتجات ... لقد صدق هو واصدقاؤه ما قيل لهم عن الصورة والمقام والمنافسة والترتب وسيادة إشباع الذات . ويا له من اقتناع قتال ، للمراهقين انفسهم بالدرجة الاولى!

إن فتى المدينة هذا وأصدقاءه صورة جلية لهيمنة النزعة الاستهلاكية مع عسر الحال:

لدى كثيرين من الاميركيين السائرين في ركب الاكثرية ايمان اعمى بالمادية، ولكن تلطفه الفرص المتاحة لهم تربوياً ومهنياً) لتأسيس هوياتهم على سوى المظهر. وبينما هم مستهلكون ايضاً ، تتاح لهم فرصة ان يصيروا اكثر من مجرد مستهلكيمم . إنما فتى المدينة ورفقاؤه، على النقيض ، لا تتاح لهم مثل هذه الفرص. وتبعاً لذلك ، يطرح "المعنى" خارج عالمهم وتحل محله"الصورة". في ذلك النطاق الضيق، يقتل المراهقون بعضهم بعضاً، بالمعنى الحرفي ، للحصول على سلسلة ذهبية او سترة جلدية. وهكذا يكون إيمان المراهقين الاعمى بالاستهلاكية مهلكاً بالفعل.

امام هذه الستارة الخلفية من شيوع الاستهلاكية المعاصرة، يبدأ الصوم الموصوف في الفصل الثامن والخمسين من سفر أشعيا باكتساب حدّ امضى. فأم يدعى "صوماً" نمط حياةٍ اساسه خدمة الفقراء بدلاً من استهلاك سلعة جديدة ليس بالامر الغريب في نهاية المطاف. ذلك ان معظم حياتنا إشباع لشهيات تُضرم صناعياً، واحدةً بعد اخرى. فأي تحوّل عن هذا النموذج في سبيل الخدمة هو "صيام"، بل صيام من شأنه ان يسرّ الله اكثر من تفويت مئة غداء على امل تناول المزيد من فطائر البتزا على العشاء.

لا مساومة في عيشة صيام المحبة

ما يفعله الله الآن في **[سفر أشعيا 6:58 – 12]**انه يصف ما يشتمل عليه تطبيق هذا الصوم، وما هي المكافآت الرائعة لعيشةٍ من هذا النوع، حيث تكون السعادة في العطاء اعظم منها في الأخذ، وذلك بطرق يتعذر على مدمني الاستهلاك ان يتصوروها. أتذكر ان المسيح قال : ***"ابوك السماويّ الذي يرى في الخفاء يكافئك"؟***

إذا، ها هنا عينةٌ من نوعٍ الامور التي يَعدُ بها الله القائمين بصوم كهذا.

نطلع اولاً على وصف الصوم نفسه. ثم نُلقي نظرة على وعود الله للعائشين بهذه الطريقة. انما لا تغلط بحسبان هذا نوعاً من وصف بنود العمل أعطاه الله للمؤمنين به كي يبين لهم كيف يكسبون الاجرة من لدنه. لا تكسب هنا! فإله اشعياء أنأى من ان يساوم .. إنه مهيمن وحرّ الارادة ويُعطي بسخاء منعماً على الذين يتوكلون عليه. وقد جاء في ***[سفر أشعياء 15 :30] "هكذا قال السيد الربّ ... في التوبة والراحة كان خلاصكم، وفي الطمأنينة والثقة كانت قوتكم"***. فالقوة اللازمة للقيام بما يدعونا الله الى القيام به ليست صادرةً منا، بل انها آتية من عند الله، وهي تأتي من خلال الاتكال عليه.

هذا الصوم هو وصفة الطبيب

حين يقول الله للشعب ماذا يفعلون، فهو لا يقدم **وصفاً** لبنود عمل بل **وصفة** طبيب. إنه لا يقول ان نكسب الاجرة بالعمل تحت إمرة مدير، بل ان نكسب الصحة بالاتكال على **طبيبنا الاعظم**. وفي وسعك ان تلحظ ذلك في الآية الثامنة، حيث يقول انه أن عملت بكلام الله "يندب جرحك سريعا" أي يندمل ويشفى.فإن وثقت بالطبي وأبديت ثقتك بأطاعة تعليماته ، تشفى من داء المعاصي. إذاً، لا تتوهم بانك سوف تكسب شيئاً من عند الله. فذلك محال ، وتجريبه قتال. وانما ثق بنعمته المهيمنة واعمل بنصيحته، فتبارك بركاتٍ عظمى. ولكن لا يخطرنّ في بالك ابداً انك قد كسبت او استحققت شيئاً.

فلنطلع إذا على وصفة الله الآن، أي على الصوم الذي يفضله تعالى بدءاً ***[بالآية السادسة] :***

"اليس الصوم الذي فضّلته هو هذا:
حلُّ قيود الشرّ، وفكُّ رُبط النير،

واطلاق المسحوقين احراراً،
وتحطيم كلّ نير؟
اليس هو ان تكسر للجائع خبزك،
وان تدخل البتئسين المطرودين بيتك،
وإذا رأيت العُريان ان تكسوَه،
وان لا تتوارى عن لحمك؟"

ثم في **[الآيتين 8 و 9 (أ)]** تأتي **الوعود** بما سيحصل إذا وثقنا بوصفة الطبيب في شأن كيفية الصوم. ولكن لنتجاوز ذلك هنيهة" ونكمل باقي الوصفة في **[الآيتين 9 (ب) و 10]** :

"إن أزلت من ابنائك النير،
والاشارة بالاصبه، والنطق بالسوء،
إذا تخليت عن لقمتك للجائع
وأشبعت الحلق المعذب ... "

تلك هي وصفة الطبيب . ذلك هو الصوم الذي يصفه الطبيب لشعبه المريض، المبتلى بداء النفاق وقساوة القلب ، ولا سيما لأهل الغرب المعاصرين المرضى بإدمان الاستهلاك.

ولئن كان لدينا هنا ثلاثة عشر عنصراً مكوناً ، فإنها تندرج في سبعة اصناف. وأنا اعتبر كلاّ منها دعوة شخصية لحياتي ومهمة تنتدب لها جماعة المؤمنين بالمسيح. فهذا هو الصوم الذي ينبغي ان اتعلمه واتمتع به. هذا هو علاج الحرية العصرية المزيفة التي تتيح لي خيارات لا تكاد تحصر من السلع وتثقل قلبي بالاشياء . من قبيل ثلاثين الف منتج في المتجر

الاميركي الكبير سنة 1996 مقابل تسعة آلاف سنة 1975، او مطبوعة دورية جديدة لكل يوم من ايام السنة ، او ثلاثين محطة تلفزيونية يمكنني التنقل بينها كلّ ليلة.

فأولاً ، يصف لنا الله ان نُطلق الناس احراراً:

"حلُّ قيود الشر وفكُ ربط النير
وإطلاق المأسورين احراراً
***وتحطيم كل نير ..."* [الآية 9]**

قيود، رُبُط، نير ، اسر ،نير نير ... هنا بيت القصيد : لنعيش وهدفنا تحرير الناس ، لا اثقال كواهلهم . وقد قال المسيح:*"الويل لكم انتم ايضاً علماء الشريعة! فإنكم تحمّلون الناس أحمالاً ثقيلة، وانتم لا تمسّون هذه الاحمال بإحدى أصابعكم"[الانجيل حسب لوقا 46:11].*إنما هنالك حملٌ ونير ينبغي ان نقدمهما للناس، ولكنهما حمل خفيف ونير لطيف. فقد قال المسيح:*"تعالوا إليّ جميعاً ايها المرُهَقون المثقلون، وانا أريحكم.إحملوا نيري وتتلمذوا لي، فإني وديع متواضع القلب، تجدوا الراحة لنفوسكم، لأن نيري لطيف وحملي خفيف" [حسب متى 11:28-30]* إذا يدعونا المسيح لننضم اليه في تحرير الناس من الاحمال الثقيلة والانيار القاسية.

وما يجعل حمل المسيح خفيفاً هو حقيقة الولادة الروحية الجديدة التي تغير ما نحب ان نفعله، من الداخل فخارجاً كما جاء في *[رسالة يوحنا الاولى 5:3 و 4]:"لأن محبة الله ان نحفظ وصاياه، وليست وصايا ثقيلة الحمل، لأن كلّ ما ولد لله يغلب العالم* [أي هذه الدنيا الباطلة]". فالولادة الروحية التي تجعل المرء فرداً فـــي أسرة الله

تنتصر على الرغائب الدنيوية التي تجعل وصايا الله ثقيلة. وهكذا فالصوم حسب الوصفة الالهية يبتدئ بالولادة الروحية الجديدة ويؤدي الى قيم جديدة واشواق مجيدة تنتج ثمرها في جوّ من الحرية والفرح. هذا هو الصوم الذي يصفه الله لنا.

كتب اليّ صديق يخدم الرب في بلد يضع قيوداً صعبة على دخول الاجنبيين، حيث يقدم "معوناتٍ إنسانية" مشدداً على وجوب حدوث التحول الروحيّ اولاً قبل التحويلات الانسانية :

بإختصار، لقد قررت السلطات قطع كل دعم مالي عن مركز العمل وضخه الى "دار الايتام"، ولولا امرّ واحد، لكان هذا حسناً. فقد جعلوا دعم دار الايتام مشروطاً بتغيير نزلائه، وطلبوا ضم بعض التلامذة "الموهبين" من غير الايتام الى المدرسة التي نديرها. وطبعاَ ، هم يريدون مجيء "متطوعين" أجنبيين للتعليم في المدرسة. أما التلامذة الاقلاء "الموهوبون" فسيكونون فقط من ابناء المسؤولين الحكوميين انفسهم الذين يوفرون الدعم! اليس هذا مثبطاً للعزائم؟ لهذا السبب بالذات ينبغي ان ينطلق الاصلاح الثقافي من القاعدة الروحية (الولادة الجديدة) وليس من القاعدة الانسانية (تقديم المعونات).

ثانياً، يصف لنا الله ان نطعم الجياع :

***"أليس هو أن تكسر للجائع خبزك"؟* [الآية 7 أ]**

فلا يقتصر صيامنا على حرمان انفسنا بل يتعداه الى تلبية حاجات الآخرين ، فإن نحو 40000 ولد يموتون كل يوم جوعاً او بأمراض تصيب الاطفال وتسهل الحيلولة دونها. :ونحو بليون مـــن سكان العالم يعيشون في ظروف فقرٍ مدقع محرومين حتى

الموارد الاساسية البسيطة، وليس لهم ما يكفي من الغذاء والكساء والاواء والاستشفاء. كما ان 400 مليون يعانون سوء التغذية الشديد ، وبينهم اكثر من 200 مليون طفل".

هذه الوقائع ، إضافة الى تلك التي ألمسها خارج بابي مباشرة، ذات مساس بكيفية صيامي. فلن يسمح لي الله بأن اكتفي بانقطاع صارم عن الطعام لا يمس حالة اللامبالاة التي يعيش فيها معظم بني قومي المتوسطي الحال. إنه تعالى يقول إن الصوم ينبغي ان ينبهنا الى جوع العالم، لا الى جوعنا فحسب. كما يقول انه صراخ من القلب لعدم الاكتفاء بالتمتع بطيبة الله في بحبوحتنا، بل للتقوي بالمحبة حتى نعيش لأجل الاخرين ايضاً.

لا تهولننا الإحصائيات! فنحن لسنا مسؤولين عما لا نستطيع فعله، بل عما نستطيع . وهنالك مئات من الامور التي يمكن ان يفعلها من يأخذون صومهم على محمل الجدّ. وهاك مثلاً بسيطاً من ماتيلا : فإن "الجبل المدخن" هو مدينة القمامة الشهيرة حيث تطرح نفيات مانيلا ويقيم 15000 فقير يقتاتون مع عائلاتهم بانتهاب فضلات المدينة.

بدأ بعض ناشطي الصحة في "حركة الشباب ذوي الرسالة" يقومون بالخدمات في "الجبل المدخن" عام 1985، حيث تبين لهم على نحو مأساوي ان عائلات كثيرة كانت تفقد ابناءها بالحصبة، وتعاونوا مع مسؤولي الصحة المحليين فأنشأوا عيادة تمنيع هناك سنة 1986. وصار اول اربعاء من كل شهرر معروفاً بأنه يوم تمنيع لقاحات للكزاز والتيفوئيد والسعال الديكي والشلل والحصبة والسلّ. وكان الاهالي يحتشدون خارج مركز الحركة الرمادي اللون فيما يزن المتطوعون الاطفال و يقدوموا

لهم الحقن والجرعات. وقد بدأ ذلك يحدث فرقاً ملموساً. ففي 1986 سجل مسؤولو المركز وفاة 45 طفلاً بالحصبة. وفي 1987 حصلت 18 وفاة فقط. وفي 1988 لم يبلغ عن وفيات بالحصبة او العدوى او المضاعفات. فمن الجلي ان التمنيع احدث فرقاً واعطى الفقراء المقيمين هناك رجاء جديداً.

ثالثاً،يصف لنا الله ان نؤوي المشردين :

"وأن تدخل البائسين المطرودين بيتك"[7 ب]

ونحن غالباً ما نتوانى عن خدمة المشردين بسبب الخوف والموقف الذهني القائل بأن من شأن الدولة ان تهتم بأمر كهذا , ولكن وعود الله (التي سنراها بعد قليل)ينبغي ان تنقض جدار الخوف. ولا ينبغي ان يسيطر على اتعاب محبتنا واقع كون الحكومة مستعدة للمساعدة . فهنالك طرق منظمة وتلقائية لخدمة الفقراء. فتلقائياً، نبادر الى مدّ يد العون شخصياً ولا نقلق من جهة ضآلة النتائج البعيدة المدى . إذ ان المحبة لا تجري مثل هذا الحساب. فالسامري الصالح مثلاً لم يقل :"إن عرقلة عملي العادي نهاراً واحداً لن تحدث فرقاً كبيراً في الحد من العنف في هذه المنطقة!" بل إن ذلك الرجل الخير رأى حاجة واحدة بعيتها وعمل شيئاً ما لسدها. وهكذا حال الكثيرين الذين يرون المشردين ويعمدون الى الصوم :

كان شهر كانون الاول (ديسمبر) من تلك السنة بارداً جداً في اوريغون . وهبت رياح جليدية اضطرت العمال الوافدين من امكنة نائية الى مغادرة مباني المكاتب بسرعة واللجوء الى السيارات استعداداً للعودة الى منازلهم مساءاً. إلاّ ان "لس" و "كاتي" لم يحتملا مشاهدة العمال والعائلات الذين لا منزل لهم في الجوار يأوون اليه ويستدفئون ، دون ان يفعلا شيئاً. وهنا بدأت الذرائع تتبادر الى ذهنيهما : هنالك مؤسسات خيرية في الجوار

ينتظر منها ان تساعد ، ومتطوعوها هم "اهل الاختصاص". غير ان "اولئك" المتطوعين قصروا في إنجاز المهمة. فما زال على الطرقات ناس يعانون انخفاض درجة الحرارة الى ما تحت الصفر. تحت نظر "لس" و "كاتي" العائدين الى المنزل من عملهما. ههنا ناس من لحم ودم يعانون الماً ملموساً. حتى إن امرأة رأياها كانت بلا حذاء. وها هي "كاتي" تتذكر: "ناقشنا الامر، وتبين ان عندنا ثلاثة اكياس نوم اضافية، وبطانيات اكثر مما نحتاج اليه ، ودرجاً مليئاً بالقفازات ، فقلنا :هذا شيء ممكن ان نعلمه، وقد عملناه . إذ حملنا ذلك كله وقدمناه الى اول من شاهدناهم من المحتاجين". ترى، هل باعا كل ما عندهما؟ لا ... بل انهما رأيا حاجةً "عند بابهما" وتبين لهما انهما يستطيعان ان يمدا يد العون ، فاستجابا حالاً.

لا يفوتني ان الآية لكتابية تقول فعلاً :***"أن تدخل البائسين المطرودين بيتك". و***اعتقد انه كلما امكن جعل اعتنائنا بالفقراء اكثر اتصافاً بعلائق المودة كان افضل. ولكن يكون موقفنا بارداً وغير مسيحي إذا قلنا ان كل عناية تقصر دون الاتيان بالمشردين الى بيتنا الخاص انما هي نفاق . قد يكون علينا في بعض الحالات ان نفعل هذا تماماً، ولكن ليس في جميع الحالات بالضرورة . وغالباً ما يكون الموقف القائل"إما كل شيء ، وإما لا شيء" هو ما يصيب شعب الله المؤمنين بالشلل.

وكما سبق ان ذكرت ، هنالك طرائق منظمة للقيام بهذا النوع المختلف من الصيام لاجل الفقراء، كما ان هنالك طرائق تلقائية فردية لذلك. واقرب إيضاح في متناولي يبعد عن بيتي بضع عشرات من الامتار، وهو مؤسسة خدمة تدعى "ماستروركس"، انشأها "تم غلايدر" لمساعدة العاطلين عن العمل في الجوار على تحسين المهارة والانضباط واحياء الامل، بالعمل مثلاً في جمع بعض الالات وتركيبها، مع التواصل في علائق

تلمذة وتدّرب حسب المبادئ المسيحية. وقد باع تمّ شركة التدفئة والتكييف التي كان يملكها في الضاحية، لينتقل الى تشغيل المؤسسة المذكورة و في احياء المدينة الداخلية، سنة 1991 ، كما نقل مسكنه الى قلب المدينة مع زوجته واولاده. وقد وفرت له جماعة المؤمنين عندنا البناء، فيما يتولى هو القيام بالباقي. اما هدفه فتمجيد عظمة محبة المسيح وقوته بان يوفر لمن لا يكاد يوظفهم احد اشغالاً كاملة الدوام ومأمونة تساعدهم على تحسين مهاراتهم العملية فيما توفر لهم ايضاً الدعم المادي الضروري لانتقالهم من الاعتماد على الاعانات الحكومية الى الكفاية الذاتية. وما كانت هذه المغامرة الجريئة لتم وعائلته "صوما" يسيرا! وكم كان اسهل عليهم واكثر اماناً وراحة لو ظلوا متمتعين بالبحبوحة بغير ان يضطروا الى القلق بسبب وجود الفقراء!

رابعاً،يصف لنا الله ان نكسوَ من لا ثياب لهم :
***"وإذا رأيت العريان ان تكسَوه"* [7 ج]**

خامساً، يصف لنا ان نكون شفوقين فنشعر بما يشعر به الاخرون أن لنا جميعاً "لحماً" (جسماً بشرياً) واحداً :

***:وان لا تتوارى عن لحمك"* [7 د]**

وتبدو هذه الفكرة ي نفسها الواردة في " ***[الرسالة الى العبرانيين 3:13] "اذكروا المسجونين كأنكم مسجونون معهم، واذكروا المظلومين لأنكم انتم ايضاً في جسد"*** . فإن لكم الجسد الذي لهم. إذاً ، ضعوا انفسكم مكانهم واشعروا شعورهم. ويبدو ان احد المضامين التي ينطوي عليها ذلك الا نحتجب عن اماكن الشدائد والشقاء. فالبعيد عن العين بعيد عن الفكر عادة. والبعيد عن الفكر بعيد عن القلب عادةً. وجميعنا نعلـــم ان سفرة واحدة الى شوارع

كالكوتا تفعل في تغيير قيمنا واولوياتنا اكثر مما تفعله احصائيات كثيرة. والاقامة في قلب المدينة، او الانتقال الى مكان اقرب الى حاجات الفقراء البادية، ابعاد للتأثر عن مجرد كونه فورة شعورية تتحرك فيها الشفقة تحركا عابراً. ولكن ليس في هذا ضمانة اكيدة. فقد يغدو المرء قاسي القلب في أي مكان كان. وفي وسعنا ان نعمل الخير الوافي ولو من بعيد. غير ان الصوم الذي يصفه لنا الله يتضمن هذه الوصية: لا تتوار عن اخوانك البشر الذين هم في ضيق.

سادساً، يصف لنا الله ان نتخلى عن الاشارات والكلمات التي تنم عن احتقار الاخرين احتقاراً فجا:

***"إن أزلت .... الاشارة بالاصبع والنطق بالسوء ..." "*[الآية 9]**

واللغة الاصلية تعني حرفياً "إرسال الاصبع او مدها" مما يشبه الى حد بعيد الحركة البذيئة المعهودة، وليس مجرد الاشارة بالاصبع للدلالة على احد. إذاً، لا تستخدم ايماءات ا كلمات تبدي احتقاراً جاسئاً نحو الاخرين. وما اسهل ان نضجر من الفقراء المكابرين!فالصوم الذي يصفه لنا الله يتضمن نبذ موقف كهذا والاستغناء عنه. وليس هذا بالامر اليسير. فقد كنت اعتقد ان الاقامة بين الفقراء تجعلنا نتحسس الحاجة وتكسر قلوبنا. إنما الامر ليس بهذه البساطة . فقد تكون له النتيجة العكسية تماماً، إذ قد يجعلك قاسي القلب وساخراً ومشمئزاً. وفي الواقع ان مسرات "ابتلاع" سخرية كهذه حلوة على نحو مأساوي . فعن هذا ينبغي ان نصوم.

أخيراً،يصف لنا الرب ان نعطي لا الطعام فقط بل نفوسنا ايضاً ، وان نشبع لا بطن الفقير فحسب بل نفس المعذب ايضاً :

"إذا تخليت عن لقمتك للجائع،
وأشبعت الحلق المعذّب ..." "[الآية 10]

وحسب اللغة العبرية :"إذا بذلت نفسك **للجائع** ، واشبعت نفس **المعذب**".فالخدمة هي من نفسٍ الى نفسٍ. ومن الجهود الجديدة التي تتولاها جماعة المؤمنين بالمسيح عندنا في قلب المدينة مشاركتها في خدمة مدينية تدعى "التغيير الداخلي" . وبين التشديدات العظيمة التي نتعلمها من هذه المشاركة ان خدمة الفقراء لا تقتصر على اعطائهم اشياء. فهي إعطاء للذات . وليست هي مجرد إغاثة، بل إغناء للمودة بين البشر. وذلك عنصر اساسي من عناصر وصفة الله للصوم في الفصل الثامن والخمسين من سفر أشعيا.

وعود الله الكليّة الكفاية

والان ، إذا وثقنا بالله، طبيبنا الاعظم، بحيث نعمل بوصفته ذات النقاط السبع هذه المتعلقة بالصوم ، فماذا يحدث في حياتنا وحياة جماعتنا؟ هنا ايضاً لنا سبعة اصناف من الوعود، هي مكافآت من عند الاب لذي يرى صيامنا. وهي لا تتوازى واحدةً فواحدة مع اصناف الوصفات السالفة . لكنها في جملتها صورة لحياة يتوق اليها كثيرون منا. ويا ليتنا لا ننفر من الطباق القائل ان سكب حياتنا هو السبيل الى الامتلاء! ولئن كان من شأن الله ان يعطينا ذاته، فإنه يريد لنا ان نعرف انه يكفينا كل الكفاية عندما نعاونه ، ونقدمه الى الاخرين.

انا **الوعد الاول** فإن الظلام في حياتك يستحيل نوراً:

"**حينئذ يبزغ كالفجر نورك**""**[الآية 8]**

"**يُشرق نورك في الظلمة،**

ويكون ديجورك طالظُهر"."**[آ 10]**

فمن طباقات الله العديدة ان في اماكن العالم المظلمة نوراً

اكثر للذين يقصدون اليها كي يخدموا. وفي تألق المراكز الكبرى في المدينة ظلامٌ اكثر للذين يقصدون اليها كي يهربوا. إن المسيح هو نور العالم، والعيشة بقربه ابهى الامكنة في الكون نوراً. وحتى تعرف اين يُقيم اقرأ الانجيل حسب كتبته الاربعة وسِر في سبيله.

كيف حال عامل القتام في حياتك؟ أأنت في قتام الكآبة ؟ وجماعة المؤمنين التي اليها تنتمي،، اهي في قتام؟ اويخيم القتام على مجموعة المؤمنين الاحداث الذين تعلمهم وتدربهم؟ لربما كان ينبغي لك ان تقف وتقول :"إن كان علينا ظلٌ قتام، فلربما ينبغي ان نضع مشروعاً ما لاشباع الجياع." ذلك ما يقوله النص الكتابي هنا : إن اردت للغيوم ان تنقشع، فابدأ بسكب حياتك لأجل خير الغير.ولعلكم افرطتم في النمو نحو الداخل، اشخاصاً كنتم ام جماعةً من المؤمنين او مجموعة صغيرة او عائلة. ولعل عائلتك صارت متمحورة حول الذات الى حد ان احداً لا يعرج عليكم، وانت لا تعرف أياً من جيرانك، وليس من خدمة للعائلات. ثم تسائل نفسك عن سبب تخييم غيمة سوداء على عائلتك؟ فما عليك الا ان تتمسك بهذا الوعد، وتصلي بحرارة في شأن عامل القتام والنور في حياتك، وتتيقن بوجود صفةٍ لك هنا– لا وصف لبنود العمل في سبيل كسب أي شيء، بل وصفة من عند الطبيب الاعظم الذي يحبك ويريد لك ان تتحرر من كل قتام. إنه يريد النور مخيماً عليك، وهو عليم بالسبيل المؤدي الى النور البهي.

ثانياً ،يعد الله بأنه سيعطيك قوة بدنية :

"ويندب جرحك سريعاً ..."[آ8]

"ويقوي عظامك ..." "[آ 11]

من يدري أي ضعف فينا افراداً وجماعات لأننا لا نسكب طاقتنا في ضعف الاخرين؟ فنحن نقضي اماسينا في مشاهدة التلفزيون لاننا اكثر تعباً من ان نقوم بأي امر آخر. ربما... على ان يعدنا بالقوة لا من امسيات الراحة وحدها، بل ايضاً من الصيام عن امور التلفزيون كي نحمل وجبة طعام الى عائلة ارهقتها ازمات صحية. وههنا دينامية روحية لا ندركها حتى نختبرها. فقد قصد لنا الله ان نكون وسائط لنقل مجد نعمته الى الآخرين. ولهذا نجد قوة حين نظن اننا انفقنا كل شيء.

ثالثاُ، سوف يكون الله امامنا ووراءنا وفي وسطنا بالبر والمجد :

"ويسير برُّك امامك
ومجد الربّ يجمع شملك". **[آ8]**

إذاً ، سيكون الله امامك بالبرّ ووراءك بمجده. وليس ذلك فقط ، بل إنك ستجده حين تدعوه :

"حينئذ تدعو، فيستجيب الربّ،
وتستغيث، فيقول : هاءنذا"."[آ 9]

فكلما طلبت المعونة ، يقول لك الله دائماً :"حاضر!" وحين نكون منهمكين بفعل ما فعله ابنه الكريم، إذ افتقر – وهو الغني – كي يغتني الآخرون "*[رسالة قورنتس الثانية 9:8]*، *فاعلين ذلك "بالقوة التي يمنحها الله""[رسالة بطرس الاولى 11:4]*، فحينئذٍ يسير الله وراءنا وامامنا ويحاوطنا بمطلق قوة محبته ومعونته وحمايته وعنايته.

طالما كانت حجتي عبر السنين ان الله قصد ان تكون الصلاة وسيلة اتصال في المعارك، لا واسطة تخابر اهلية. فالله يريد لنا ان ندعو اليه ليعيننا لأننا نبذل حياتنا لنشر توقٍ الى سيادته في كلّ شيء لفرح جميع الشعوب. وليست الصلاة لتعزيز

راحتنا بل لتعميم ملكوت المسيح. فعندما يقول "**[أشعيا 9:58]** "**حينئذٍ تدعو فيستجيب الربّ**" تعود حينئذ على الآية 7 أي حين تنضم الى قوات المحبة لخدمة من لا طعام عندهم ولا مأوى ولا ملبس. في هذا الحين يسمع الرب نداء اللاسلكي الحربي ويستجيب ، فإن عنده ذبذبات خاصة جداً مخصصة لمناطق مخاطرات المحبة الباسلة.

لا يعني هذا انه لا يجوز لك ان تدعو الله لشفاء ابن من التهاب اللوزتين او لعدم تعطل سيارتك في الطريق . بل إنما يعني انه ما لم تكن لديك دواع لمثل هذا الدعاء ممجدة لله وعاملة على امتداد ملكوته يتعطل جهاز اللاسلكي الذي لك في نهاية المطاف. ولا يعني ذلك ايضاً استبعاد المكوث في حضرة الله مع رفع الحمد والتسبيح له والتمتع بحلاوة عشرته, بل انما يعني ان اكتمال الفرح في التواصل مع الله يكون فرحاً مشتركاً . كما ان التسبيح الذي لا يتجه نحو الاشتمال على الاخرين يذوي ويتلاشى.

رابعاً، يعد الله بهدايتنا على الدوام :

"**ويهديك الربُّ في كلّ حين**"."**[آ 11]**

ويا لهذا من وعد ثمين لنا في وسط ارباكات الحياة والخدمة! وإني لاسائل نفسي: كم من البلبلة واللايقين في حياتنا يتأتيان من إهمالنا خدمة الفقراء؟ يبدو ان الرب يؤتي اوثق هداية عنده لأولئك العاكفين على بذل انفسهم لسد حاجات الاخرين، ولا سيما الفقراء. وما كانت هداية الله لتعطى في السبل المشرقة داخل بستان الراحة، بل في اماكن الالم المظلمة حيق تقل الاجوبة كثيراً وتضيع معالم الطرق دائماً. وكم من مرةٍ في خدمتي الراعوية دعيت الى الدخول في مأزق فمضيت قائلاً:"ربّ، لست اعرف ما الحلّ هنا. ساعدني. ارجو منك ان

تمنحني هدايتك، وان تحضر الى ذهني ما سيكون الاجدى"، فأجابني الرب مراراً وتكراراً! إذا كن مستعداً ولو لاوضاع احتياج فوق طاقتك ، وعندئذ "يهديك الرب في كل حين".

خامساً، سوف يشبع الله نفسك :
ويشبع نفسك في الارض القاحلة"."[آ 11]

لقد صممت نفوسنا بحيث تشبع بالله. وإنما تعلمنا مرة بعد مرة ان هذا الشبع بالله يبلغ ذروته عندما نوصل شبعنا به الى الاخرين. فبذل انفسنا للفقراء هو سبيل الشبع الاكمل. ولنلاحظ اذ ذلك يتم "في الارض القاحلة". بعبارة اخرى، في خدمة الاخرين تغدو نفسك اقل فأقل اعتماداً على الظروف الخارجية طلباً للشبع، وتصير اكثر فأكثر قدرة على ان تقول مع ناظم ***"[المزمور 25:73 و 26]***

"من لي في السماء؟ ومعك على الارض لا اهوى شيئاً.
فني جسدي وقلبي : الله للابد صخرة قلبي ونصيبي!"

سادساً ، سوف يجعلك الله بستاناً مروىً ذا ينابيع لا تنضب:

"... فتكون كجنة ريّا
وكينبوع مياه لا ينضب". "[آ 11]

هذه كانت الآية التي نبهت " بل لزلي" الى القيمة الثمينة المنوطة "بالصوم" المذكور في سفر أشعيا 58. فإنه مع كثيرين غيره من خدام الرب، كانوا يجتازون في موسم جفاف . لكنهم وجدوا في آية واحدة كل ما نحتاج اليه جميعاً : الارتواء والارواء ... "جنة ريّا" و "ينبوع مياه لا ينضب" . وانه لطباق في كلمة الله المقدسة انك اذ تسكب نفسك للغير ترتوي وتمتلئ!

ولكن هنا افتراضاً ان البئر قد حفرت وحفظت من ان تسدّ. فنحن نستطيع ان نظل خضراً ونافعين للاخرين إذا كان في نفوسنا نبع،إن جاز التعبير. وما هو ذلك النبع؟ إن هذا الوعد يبلغ تمامه وإتمامه في كتاب العهد الجديد خلال ما اعلنه المسيح في ***[الانجيل حسب يوحنا 38:7 و 39]*** من آمن بي فليشرب كما ورد في الكتاب : ستجري من جوفه انهار من الماء الحي [ينبوع مياه لا تنضب]. وأراد بقوله الروح القدس الذي سيناله المؤمنون به". بعبارة اخرى ، ان الاتكال على المسيح بثقة من جهة كل ما نحتاج اليه إطلاق لنبع قوة الروح الذي يفيض على اكمل ما يكون حين نعمد بالايمان الى انفاق نفوسنا في سبيل المحبة لأجل خير الهالكين والمساكين .

أخيراً ،إذا بذلنا انفسنا للفقراء فسوف يرمم الله خرائب مدينته ويصلح حال شعبه :

"وبفضلك يبنون اخربة قديم الايام،
وانت تقيم اسس الاجيال،
وتدعى شادّ التُلمة
ومرمّم الازقّة للسُكنى". [آ 12]

فما اكثر الاشياء الخربة التي يمكن اصلاحها بصوم شعب الله المؤمنين لاجل الفقراء والمساكين! من يعلم كم من المآسي والاختلالات والظلم، وكم من المعانات والمظالم، يمكن ان تُصلح وتُرمّم من طريق الصيام الجميل الموصوف في ***[سفر أشعيا 58]*** فليس شأننا ان نتنبأ كيف ستغدو المدينة او جماعة المسيح او المجتمع او العائلة، بل شأننا ان نتوكل ونُطيع.

فلنتوكل إذا على الطبيب الاعظم، على الربّ شافينا.

ولنتقبّل الصوم الذي وصفه لنا. فإنه سيعني لنا نوراً وشفاءً وهداية وانعاشاً وإصلاحاً وارتواءً وامتلاءً – هذا كل والله نفسه امامنا ووراءنا وفي وسطنا. وبما انه من خلال اعمالنا الحسنة سيرى الناس نورنا ويمجدون أبانا السماوي ***[الانجيل حسب متى 16:5]*** ، فإن هذا الصوم ايضاً سوف ينشر بشارة الملكوت ويعجل إقبال يوم الله الابدي. فإن كنا حقاً جياعاً الى كل ما في الله من الكمال ، الى كل ملء الله، فههنا صومٌ لا بد ان يشبعنا الى التمام.

"فناديت بصوم هناك ، عند نهر اهوى،
لنتذلل امام الهنا، طالبين اليه
طريقاً سالمة لنا ولعيالنا (صغارنا)
ولجميع اموالنا"

-[سفر عزرا 21:8]

لا نحكم على الله على اساس الاحساس الواهي،
بل لنتوكل على مورد نعمته اللامتناهي.
فوراء عنايته التي تبدو لنا متجهمه،
يخبئ وجهاً اساريره مبتسمة!
إن مقاصده ساعةً بعد ساعة،
ولئن كان البرعم مذاقه مرا،
فما احلى ما سنجد الزهرا!

وليم كاوير

"الله يتحرك بطريقة عجيبة"

-7 -

الصيام لأجل الصغار

الإجهاض وسيادة الله
فوق الاراء العالمية الباطلة

إن جوعنا الى الله ضئيل جداً . وهذا صحيحُ ليس فقط لأن قدراتنا على الرغبة مبتلاة بالضمور – كعضلة لا تحمل إلا ريشة – بل لأن قدرتنا على رؤية **المرغوب فيه الاسمى** غير مدربة على تلسكوب كلمة الله المقدسة.

بم نمرن عضلة الرغبة؟

مقصود لنا ان نرغب في **الاعظم** برغبة عظيمة :

"من لي في السماء . ومعك على الارض لا أهوى شيئاً.
فني جسدي وقلبي : الله للابد صخرة قلبي ونصيبي".

[المزمور 25:73 و 26]

" كما يشتاق الايل الى مجاري المياه. كذلك تشتاق نفسي اليك يا الله.
ظمئت نفسي الى الله ، الى الاله الحي".

[المزمور 2:42 و3]

اللهم انت الهي، اليك بكرتُ. اليك ظمئت نفسي وتاق جسدي، كارضٍ قاحلة مجدبة لا ماء فيها".

[المزمور 2:63]

"بل اعدُّ كلّ شيء خسراناً من اجل المعرفة السامية، معرفة يسوع المسيح ربي . من اجله خسرت كل شيء وعددت كلّ شيء نُفاية لأربح المسيح".

[رسالة فيلبي 8:3]

غير اننا نوجه رغباتنا و أشواقنا نحو الامور الصغيرة بدل توجيهها الى الله. هكذا تتضاءل حتى إمكانية الرغبة والشوق بالذات.

ما حجم النجوم الصغيرة ؟

ونحن غالباً ما نزيح عيوننا عن تلسكوب كلمة الله ، حيث نجيمات الله لدقيقة في فضاء ليلنا الملبد تظهر عجائب عظيمة فوق الوصف. فكم مرة ندعو مع ناظم **[المزمور 119]**:"**افتح عيني فأبصر عجائب شريعتك**" **[الآية 18]**؟ وإن كنا لا نراه في عظمته ، فلن نرغب فيه في كماله.

وليست معاينة مجد الله مجرد اختبار خاص على جبل فيما يعبر تعالى. بل هي ايضاً اختبارُ عامُ فيما يضاعف الاوبئة في ارض مصر، ويفلق البحر الاحمر ، ويفتح فم الارض لابتلاع اسرة قورح، ويحول الماء خمراً ويقيم الموتى احياءً، ويجعل البشر الانانيين يبذلون حياتهم في سبيل المحبة، ويعطف قلوب الملوك لنصرة الحق. فثمة جوع الى الله يجاوز الرغبة في الاختبار الخاص. إنه يتوق الى ظهور مجده علناً في العالم. يتوق لأن تسوى الاهانات الفظيعة الموجهة الى إلهنا القدوس. لا يكتفي

بترجي الاعتلانات الخاصة التي تتبدى فيها معنوته المنقذة ، رغم كونها اعتلانات ثمينة، بل يتوق الى استظهار يده تعالى جهاراً في توطيد البرّ والحق الممجدين له : في الجامعات والمحاكم ووكالات الاعلانات والمناقشات السياسية وجميع وسائل الاعلام من تلفزيون وراديو وصحف ومجلات وافلام وإنترنت . هذا التوق الشديد تحفزه رغبة ملحاح في سيادة الله على كل شيء لبهجة جميع الشعوب.

الصيام لأجل مجد الله العلني

إذا كان الصوم بمثابة علامة التعجب في آخر الجملة التي يقولها القلب:" اللهم أرنا مجدك!" فإنه لا يكون مسألة خاصة هو ايضاً . إذ انه يتعلق بما ترغب فيه قلوبنا وتتوق اليه من تجليات مجد الله العلنية والتاريخية والحضارية والكونية. وهذا هو موضوع الفصل الحالي. فالبنظر الى الاجهاض على انه مظهر من مظاهر انعدام التقوى في حضارتنا ، كيف ينبغي لنا ان نعيش ونصلي ونصوم؟

تزكية فرنسيس شايفر

توفي "فرنسيس شايفر" في الخامس من آذار (مارس) 1984 . وبعد ثلاث عشرة سنة ، نشرت مجلة " المسيحية اليوم" صورة له على غلافها، فوق تعليق مقتضب :"قديسنا فرنسيس". وقد جاء في مقالة داخل المجلة :

في آخر عشرين سنة من حياة "فرنسيس شايفر"، ربما لم يؤثر مفكرٌ آخر سواه ، ما عدا "سي أس لويس"، في تفكير المؤمنين الجدد مثل تأثيره العميق ، وقد ترك بصماته واضحة على الايمان المحافظ في اميركا، إذ اسهم في إخراج المؤمنين من عزلتهم ، وشجع على الدراسة الرصينة ، ورفع معنويات

النساء اللواتي اخترن دور الامومة وتدبير المنزل، ودفع قُدماً مفهوم الدفاع المسيحي عن الحقوق الانسانية ، وحشد معارضة ملموسة للاجهاض ، وقد عاونته زوجته في ذلك كله (مايكل هاملتون).

وها قد مر فوق عشرين سنة على إطلاق "فرنسيس شايفر" مع "سي إيفريت كوب" صاروخه المضاد للاجهاض: "ماذا حدث للجنس البشري؟" وذلك بإصدار كتاب وسلسلة أفلام والقيام بجولة خطابية. والمدهش اليوم عند منقلب القرن العشرين كيف ان ذلك ما يزال وثيق الصلة بأيامنا والى أي مدى تبين انه تنبؤ دقيق . ويسير "مايكل هاملتون"،في مقالته الصادرة سنة 1997، الى ان "عدداً من النقاد اقروا مؤخراً بأن تصور شايفر اثبت انه صامد على مرّ الزمن، ولا سيما انه يبدو بصيراً خبيراً بقضية الحياة البشرية".

وحين اعود الى كلمات شايفر التي قالها قبل عقدين من الزمان، اجد لها وقعاً نبوياً يتصف بالثبات والصدقية :

وفي خضمّ فقدان الحسّ الانساني في عصرنا، مشتملاً على الاندفاع من الاجهاض تحت الطلب الى قتل الاطفال فالى القتل الرحيم، لن يقوى على وقف هذا السيل الجارف إلاّ يقينيّة فرادة البشر وقيمتهم المطلقين. والامر الوحيد الذي يؤتينا إياها هو معرفتنا ان البشر مخلوقون على صوررة الله. وليس لنا من حماية قصوى اخرى. اما السبيل الوحيد للمعرفة بأن البشر مصنوعون على صورة الله فهو من خلال الكتاب المقدس وتجسّد المسيح الذي نعرفه من هذا الكتاب الفريد.

ولم يكن البشر مصنوعين على صورة الله، لكان الفيلسوف الانساني المتشائم الواقعي على حق في زعمه ان الجنس البشري تؤلولة غير سويّة على الوجه الناعم لكون صامت وعديم المعنى.وفي هذا الاطار يكون منطقياً تماماً

اللجوء الى الاجهاض وقتل الاطفال والقتل الرحيم (بما فيه قتل المجرمين المخبلين او ذوي الاعاقات الشديدة او المسنين الذين يشكلون عبئاً اقتصادياً). ولولا الكتاب المقدس وإعلان المسيح (الواصل الينا من خلال الكتاب المقدس وحده)، ما كان ليحول ايٌّ حائلٍ بيننا نحن واولادنا وبين قبولنا أخيراً لممارسات عصرنا الوحشية اللاإنسانية ، ويعلق "مايكل هاملتون" بأن "استشراف شايفر الكئيب بات الآن من اخبار يومنا". ثم يمضي قائلاً:

لقد قتل الدكتور كيفوريان اناساً فاق عددهم الذين قتلهم السفاح "تد بندي"، ولكن ولاية ميشغين لا تستطيع حشد الادارة السياسية الكافية لكف يده. وقد حظرت المحكمة الفدرالية على ولاية واشنطن اقرار قوانين تمنع الاطباء من قتل مرضاهم،في حين مُنِحت جامعة واشنطن إذناً بأن تكسح وتبيع أشلاء الآلاف من الأطفال المُجهضين كلّ سنة.

في العالم تساهُلاَ بشأن الإجهاض

ما كان ليدهش "فرنسيس شايفر" ان تغدو اميركا اكثر المجتمعات الديموقراطية في العالم المعاصر تساهلاً في قضية الاجهاض.

تُعدُّ "ماري آن غلندون"، الاستاذة بكلية الحقوق في جامعة هارفارد المرجع الثقة في قانون الاجهاض في العالم الغربي. وهي تؤكد ان الولايات المتحدة، بين جميع المجتمعات الديمواقرطية في العالم، اكثر الدول تساهلاً في مسألة الاجهاض الى ابعد الحدود . وتشير الى ان المانيا المتحدة الآن اقرت قانون إجهاض جديداً يوفر سبل حماية مهمة للاجنة. وكما هي الحال في كلّ الديموقراطيات، ما عدا الولايات المتحدة، أقرّ القانون بالاجراءات التشريعية. غير ان المحكمة العليا اعلنت

في الواقع ان الشعب الاميركي الذي كان يعتبر من معلّمي العالم في طرائق الديموقراطية . غير مؤهل بصورة خاصة للاستقلال والانضباط الذاتي.

وما أغرب سلطة المحكمة العليا هذه إذ تمثل الى أي مدى بعيد يبدو الوضع الاميركي مستعصياً على العلاج ! وتعليلها المنطقي في ذلك :

ان نحو مليون ونصف المليون من حيوات البشر هي الثمن الذي يجب ان يدفع في سبيل عدم التدخل في انماط الحياة التي تستلزم الاجهاض تحت الطلب ... ذلك هو الحكم الذي تفرضه اجازة قضائية على مجتمع 75% من اهله يقولون ان الاجهاض لا ينبغي ان يسمح به للاسباب التي بمقتضاها تجري في الواقع 95% من الاجهاضات!

إلا ان هنالك نوعاً من اليأس والاحباط اخذ يستولي على شعب يحكمه لا المشترعون النزهاء، بل قضاة يصرحون بان الدستور يعني ما يقولون هو انه يعني. وهذا اليأس القتال يُفضي الى التحدث عن إجراءات "استقتالية" جذرية. اما كفى ما جرى من تقتيل؟ وهذا ايضاً ما كان ليُدهش "فرنسيس شايفر"، وهو قد "حدد الاجهاض على انه قضية مفصلية في المجتمع الاميركي، ودعا المؤمنين بالمسيح الى ما يُشبه العصيان المدني، حتى انه طرح فكرة مناهضة للحكومة بالقوة". وقد قال في ختام كتاب عنوانه "إعلان رسميّ ميحيّ"، سنة 1981 :"إن لم يكن للعصيان المدني مقامه الاخير، فإن الحكومة قد جعلت مستقلة بذاتها، وبهذا الاعتبار وضعت مكان الله الحي".

شرعية النظام الاميركي ؟

تحقيقاً لتحذيرات "شايفر" ايضاً اجريت مناقشات عامة صاعقة حول احتمال لاشرعية النظام الاميركي الحالي .ففي

(1996 و 1997) اقيمت ندوة ضمن نخبة من علماء التربية والدين والاخلاق، لمناقشة هذه المسألة. وكان السؤال المطروح للنقاش، مع الوعي التام لعواقبه البعيدة الاثر :هل بلغنا – او نكاد – النقطة التي فيها بات يتعذر تقريباً على المواطنين ذوي الضمائر الحية ان يمحضوا النظام القائم مصادقتهم الخلقية؟

ليس من تحريض هنا على إعدام دعاة الاجهاض. ولكن هنالك الحكم المتزن القائل إن "مدنية لا يمكن ان تتساهل بشأن الاعدامات الخاصة هي ايضاً مدنية لا يمكن ان تُعمّر طويلاً بعد إجازتها قتل الحَيَوات البشرية غير المرغوب فيها". اما كما ستعمّر، فذلك هو السؤال . وكما لاحظ احدهم، فإنّ "الاثار المدمرة التي يخلفها السخط والاستياء باتت ظاهرة للعيان، نتيجة لمخالفة القوانين نصوص الدستور،وعزلها عن المناقشة الخلقية والديموقراطية الصحيحة. فإن أمراس الكياسة، الرقيقة دائماً ، تنحل حين تغدو السياسة حرباً تخاض بوسائل اخرى، والقانون اللاقانوني هو دعوة للفجور والاباحة".

ماذا يعلّم الإجهاضُ الأمّة؟

في هذه الاثناء، تلتهم إباحة الاجهاض غالياً بعد غالٍ. وأول الضحايا هم الاطفال. ثم النساء إذ يعتريهن الشعور بالذنب وانفطار القلب والاذى الصحيّ والعواقب المتعددة لتتاذر ما بعد الاجهاض. ثم الآباء، بشيء من عذاب الضمير والغضب ومقادير كبيرة من "انعدام المسؤولية والسلوك الجنسي الذكوري الضاري" يعززها الافتراض ان بكل حمل غير مرغوب فيه حلاً بسيطاً . ثم تزول معالم الاخلاق القويمة التي اساسها الفضائل والقيم والالتزامات التي تتعدى مجرد الحريات الفردية المستقلة بذاتها.

وفي شباط (فبراير) 1995، امام رئيس الولايات المتحدة،، في "فطور الصلاة الوطني"، تكلمت الام تيريزا بجرأة وصراحة عن أثر الاجهاض الفتاك:

اشعر أنّ أخطر مُدمّر للسلام اليوم هو الاجهاض، لأنه حربٌ على الطفل ، قتلٌ للطفل البري، جريمة ترتكبها الام نفسها. وإذا قبلنا ان تقتل الام طفلها، فكيف يمكن ان نقول للاخرين الا يقتلوا بعضهم بعضاً؟ فبالاجهاض، لا تتعلم المرأة ان تحب، بل تقتل حتى طفلها كي تحلّ مشاكلها. وبالاجهاض، يُقال للاب انه غير مضطر لتحمل اية مسؤولية عن الطفل الذي اتى به الى العالم. ويُرجح ان يُورط الاب نساءً أخر في المشكلة عينها. وهكذا يؤدي الاجهاض الى مزيد من الاجهاض فحسب. فأي بلد يقبل الاجهاض لا يعلّم الشعب ان يحبوا، بل ان يستخدموا ايّ عنف حتى يحصلوا على ما يريدون. لذلك يعتبر الاجهاض أخطر مدمر للمحبة والسلام.

ذلك هو ما عناه "فرنسيس شايفر" لما قال :"هوذا الحنوُّ يُقوّض. فليس الاطفال وحدهم يُقتلون، بل إنّ الانسانية تتعرض للضربات القاضية من يد الفلسفة الانسانية الدنيوية".

في عدم رؤية الامور أجزاءً متفرقة

هنا يتألق "فرنسيس شايفر"، على مستوى النظرة الكونية الشاملة. وهذا يقيناً هو المستوى الذي عليه تُخاض معارك الحياة الكبرى. فقد قال "شايفر" إنّ "المشكلة الاساسية لدى المؤمنين بالمسيح في هذه البلاد ، خلال الثمانين سنة الاخيرة او نحوها، انهم ما انفكو ينظرون الى الامور نظرتهم الى اجزاء متفرقة لا الى كلّ متكامل". و هو يقصد ان الاراء العالميـــة مـــن وراء

الاجزاء المتفرقة ، والاجهاض احدها، لم تستوعب ولم تقاوم. وقد سمّى النظرة الكونية الشاملة التي تغذي الغرب الحديث،ما دامت قادرة ، ومن عناصرها الاجهاض،"النظرة الى الحقيقة النهائية على اساس الطاقة المادية والصدفة":

"ينبغي لنا ان نحاول دحر النظرة الكونية الكلية التي تعتبر ان الطاقة المادية التي كونتها الصدفة هي الحقيقة النهائية. وعلينا ان ندرك ان هذه النظرة ستأتي دائماً ، على نحو مؤكد وحتميّ، بنتائج ليست نسبية فقط، ولا خاطئة فقط، بل هي غير انسانية، لا بالنسبة الى الاخرين فحسب، بل بالنسبة الى اولادنا وحفدائنا والى اولادنا الروحيين. انها نظرة سوف تنتج دائماً ما هو غير انساني، لأنها بنظرتها الزائفة عن الحقيقة الكلية لا تقتصر على عدم حيازتها اساساً لفرادة الشخص الفرد وكرامته، بل انها في جهل مطبق من جهة ما هو من الانسان.

إن الله ، لا الطاقة المادية، هو الحقيقة النهائية. وهو، لا الصدفة، يكون كلّ شي. فاستعادة هذا الاساس – سيادة الله في كل شيء – هي اكبر تحدّ يواجهه العالم الغربي. ذلك بأن نظرة عالمية شاملة مبنية على اساس الطاقة والصدفة لا تبقي في الكون مكاناً للمعنى والقصد والقيم، ولا توفر اساساً متيناً للقانون. والمؤسف ان سيطرتها على الرأي الاجماعي قد باتت ساحقة خلال الاربعين سنة الاخيرة".

نظرة كونيّة شاملة في الاجهاض

هذا هو إطار معارضتنا للإجهاض. فإن "شايفر" يوصي ليس فقط بمقاومة النظر الى الامور على انها "أجزاء متفرّقة" بل بمناهضة النظرة الكونية الشاملة بمجملها، وذلك على نحو ما نصلي لأجله ونجاهد ونعمل في سبيله."فيقيني ان كل امرئ ينبغي ان يكون مصلياً وعاملاً لأجل إلغاء قانون الاجهاض

الجائر المقيت.ولكن فيما نعمل ونصلي وندعو، ينبغي ان نبقي في أذهاننا ليس فقط هذه القضية المهمة كمل لو انها قائمة بذاتها، بل علينا بالاحرى ان نجاهد ونكافح ونصلّي وندعو من جهة هذا الكيان الكلي الاخر بكامله، أي النظرة الكونية الشاملة القائمة على اساس القول بالطاقة المادية والصدفة، عسى ان يندحر وينكفئ بكلً عواقبه عن مناحي حياتنا كلها".

ثم إنّ أبرز الجهود المناصرة للحياة في عصرنا ملمةُ بهذا الهدف النبيل. ومن الامثلة على ذلك ما نجده لدى"دايفد ريردن" من رؤية توافق صراحةً مقاربة "شايفر" للمسألة على اساس نظرته الكونية الشاملة. ففي ما يقوله "ريردن"، وهو نصير للاخلاق في الطب البشري، أصداء لاهتمامات "شايفر" في استراتيجيته المحددة :

إن الهدف السياسي في جعل الاجهاض مخالفاً للقانون ما برح رؤية مبتورة. فرغبتنا الحقيقية طالما كانت ان نوجد ثقافة لا يكون فيها الاجهاض غير قانوني فقط بل وارد **ولا يحتمل التفكير فيه.** في ثقافة كهذه تكون مخاطر الاجهاض الصحية والنفسية والروحية من قبيل المعارف العامة.وفي ثقافة كهذه تكون مخاطر الاجاض الصحية والنفسية والروحية من قبيل المعارف العامة. وفي ثقافة كهذه يستظهر كلياً الالتزام والحنو والرحمة وشعور بالواجب حيال مساعدة الام والطفل وحمايتهما.

والعبارة المفتاح هنا هي قوله "غير وارد ولا يحتمل التفكير فيه". فمنذ نحو عشرين سنة قال "شايفر" :"في كلّ مجال هناك ما "هو وارد" و "ما هو غير وارد". أما ما يحدد الوارد وغير الوارد فهو النظرة الكونية الشاملة في الاساس. وعليه، فإن شا"يفر" و "ريردن"، ومعظم المفكرين العقلاء اليوم يعون ان المعركة حول الاجهاض مرتبطة بحرب اعمق جذرية بكثير نسبة الى روح الحضارة ونظرتها الكونية الشاملة.

مكانة الصلاة والصيام

تُرى كيف نقاوم ونُصلح. إن "شايفر"، في آخر سني حياته، ازداد توجهه نحو المعترك السياسي وقلة اعجاب بالتقوى الضيقة الافق التي كانت عليها" أكثرية الاكثرية الصامته" ممن نعموا "بقيمتين مفلستين : السلام الشخصي والغنى". وقد كان في تشديده هذا دعوة نبوئية وآنية.

ولكنني أتساءل بشأن العلماء والناشطين الشباب الذين الهمهم شايفر (هم الآن في أربعينياتهم وخمسينياتهم!) الا يحتاجون الى سماع كلمة تنبههم الى قوة الصلاة والصوم، لا بديلاً من التفكير والتحرك، بل كأساس جذري يقول :***"الفرس معدّ ليوم القتال [هنا :فرس التخصص والسياسة] اما النصر فمن الربّ: [سفر الامثال 31:21]***.اما تصغي الى الكتب المنادية بالاحياء والتجديد والاصلاح في الحياة الفكرية، واستعادة الحق بدلاً من التقنية، ونهوض جماعة المؤمنين بالمسيح الى الحنو الاجتماعي حيال عجز الحكومات، وشغل موقع خُلقيّ عال في قضية البئية، وسواها من القضايا الكثير؟ اولا ينطوي كل من هذه الامور على معنى يجعل القضايا الجذرية اعسر من ان يعالجها الاقناع البشري، بحيث ان الدعوة الى الصوم والصلاة تكون ليس فقط مناسبة بل تدعو اليها الحاجة الماسة حتماً؟ انني اوصي بهذه الدعوة وأُثني عليها.

الصيام والصلاة لأجل اختراقاتٍ في النظرة الكونية

لم تكن هذه دعوة"شايفر" الرئيسة في اواخر حياته، وليست عند بعضهم اليوم جزءاً من آفاقهم الفكرية :ان الصيام والصلاة قد يأتيان بالاختراقات التي يكتبون عنها ويعملون لاجلها بكلّ توقٍ وشغف. حقاً إنّ "شايفر" قال:"ينبغي لكلّ مؤمن بالمسيح ان

يصلي ويعمل دائما لأجل إلغاء قانون الاجهاض المقيت. ويجب ان نكون مكافحين ومصلين كي ندحر هذه الفكرة الشاملة المغايرة كلياً ، أي النظرة الكونية الشاملة القائمة على اساس القول بالطاقة المادية والصدفة". وأتساءل هل يدخل العلماء والناشطون حتى هذه المقولة صميم قلوبهم. كما اعترف بأن صلواتي وادعيتي لأجل حدوث اختراقات في النظرة الكونية ليست كما ينبغب ان تكون. أواه ، ما اسهل ان استقر في إطار فكري استسلامي وجبري عندما الامر بالعقليات الدنيوية، واللاهوتيات المشوهة، وفساد المؤسسات، والتزييف الفلسفي، والتحاملات الحضارية المستشرية!

ولكن ليس الآن وقت الاستسلام والجبرية. إنه وقت الصلاة والصيام الجذريين الحيويين بغية ان تضفي على كلّ تفكيرنا، كل مواعظنا، وكلّ كتاباتنا، وكلّ افعالنا وخدماتنا الاجتماعية، رائحة الله الزكية، وان تُحمّل جميعاً زخماً مُغيّراً يُجاوز بأشواط بعيدة جداً كلّ ما يستطيع الانسان وحده ان ينجزه. وعندئذ يجوز ان يقال، فوق كلّ توقّع و إمكانية بشرية: ***"يطارد الخمسة منكم مئة، ويطارد المئة منكم ربوة، ويسقط اعداؤكم امامكم[سفر الاحبار 8:26]."***

التفادي من عقليّة الحصار في بابل

من اين نحصل على الثقة والتشجيع كي نصوم ونصلي لأجل مثل هذه الهموم الساحقة المتعلقة بالنظرة الكونية الشاملة؟

اقترح ان نتأمل سيرة عزرا كما ترويها التوراة، ولا سيما ما جاء في ***[سفر عزرا 21-23]***. ولأقدم خلفيةً معززة كإطار لهذا النص حتى يقع في قلبك بكامل القوة التي يُضفيها عزرا عليه، وبكامل صلته بهمومنا المتعلقة بالنظرة الكونية :

كان بنو اسرائيل قد سيقوا مسبيين الى بابل، وقد مضت عقود على وجودهم هناك. ثم آن أوان ردهم، بموجب حساب الله. إنما كيف يحدث ذلك؟ لقد كانوا أقلية ضئيلة مغمورة في خضم الامبراطورية الفارسية. فالجواب هو أن الله يهيمن على الامبراطوريات. وعندما يحين وقته لنقل الشعب المنسوب اليه، ينقل الامبراطوريات.ذلك هو بيت القصيد في الفصول الثمانية الاولى من سفر غزرا هذا. ويا له من سفرٍ يؤتينا نحن شعب الله المؤمنين به الرجاء الوطيد كلما انزلقنا الى "عقلية حصار"!

فلننظر اولاً في **[سفر عزرا 1:1 و 2]** :

"وفي السنة الاولى لقورش، ملك فارس، لكي يتم ما تكلم به الربُّ على لسان ارميا، أثار الربُّ روح قورش ملك فارس، فأطلق نداءً في مملكته كلها وكتابات ايضاً، قائلاً:"هكذا قال قورش ، ملك فارس:<جميع ممالك الارض قد اعطانيها الربُّ، إله السماوات، وأوصاني بأن أبني له بيتاً في أورشليم التي بيهوذا>".

لا تسه عن سيادة الله المهيمنة على فكر قورش وارادته، إذ كان الملك الاوفر قوة وسلطة في العالم. وكان الله قد انبأ على لسان النبي إرميا بأن الشعب سوف يعودون الى ارض الآباء::***لأنه كذا قال الربّ: عند انقضاء سبعين سنة في بابل، أفتقدكم وأتممُّ لكم كلمتي الصالحة بإرجاعكم الى هذا المكان"[سفر إرميت 10:29]*** وما كان الله ليترك نبواته معلقة بلا يقين على إرادة الانسان. فهو لا يتنبأ فقط، بل يتحرك ايضاً لإتمام النبوات التي يوحي بها. ولذلك، فإن نبوانه يقينية تماماً بقدر ما هو كليّ القدرة.

من هنا جاء في **[سفر عزرا 1:1]** انه "أثار الربُّ روح قورش ملك فارس".فإن قورش لم يختبر إتمام بنوءة على نحو يتعذر تفسيره، بل اختبر الله نفسه عاملاً بمطلق سيادته على اتمام تلك النبوءة. وههنا الجواب. فحينما يكون الله مستعداً لأن يعمل عملاً عظيماً في العالم،فهو قادر على ان يعمله:سواء

بواسطة ملك فارسي،او نبي، او كتاب متقن،او مؤمن بالمسيح نصير للحياة، إنما المفتاح هو هيمنة الله وسيادته المطلبقة على امبراطوريات العالم وعلى عقول الملوك والعلماء والسياسيين ورؤساء الجامعات كما على قلوبهم ايضاً.

حتّى النكسات مقصودّ منها نفعٌ أعظم

إليك ما حدث: عادت دفعة اولى من المسبيّين الى فلسطين من بابل، وقد ضمّت اكثر من اثنين واربعين الفاً منهم. وبدأوا يبنون الهيكل للعبادة. ولكن اعداءهم في الارض عارضوهم وكتبوا الى الامبراطور الجديد، ارتحششتا، قائلين له إن مدينةً متمردةً تبنى **[12:4]** . ومن ثم اوقف ارتحششتا بناء الهيكل، فبدا كأن خطط الله أحبطت. وهذه هي الطريقة التي بها غالباً ما تسير الامور، إذ تقوم حركة عظيمة– في الاتجاه الصحيح في جماعة مؤمنين او في مدينة او في الثقافة ككلّ، ثم تحدث نكسة. وكثيراً ما يدفع هذا الواقع المتشائمين؛ ذوي الآراء الضئيلة في الله، الى الانين. ولكن في وقائع قصة نحميا ما يشجعنا على المضيّ قُدماً في الامل والعمل.

فقد كان لدى الله خطة اخرى وفضلى لم تكن فقط على الرغم من المعارضة والنكسة، بل احتوتهما ايضاً. الا فلنتعلم ان سني الضيق العجاف هي إعداد لبركات الله! فعاجلاً او آجلاً يحول كل شي للخير. إنه الله ! وفي هذه الحالة فعل ذلك على النحو التالي:حسبما جاء في **[سفر عزرا 5:1]**، ارسل الله نبيين، حجّاي وزكريا، ألهما الشعب ان يستأنفوا البناء:

"فالآن، تشدّديا زرّبابل، يقول الربّ، وتشدد يا يشوعُ بنَ يوصاداق، الكاهن العظيم، وتشدّدوا يا جميع شعب الارض،يقول الربّ،واعملوا لأني انا معكم، يقول ربُّ القوات...لي الفضة ولي الذهب، يقول ربّ القوات، وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاول،قال ربُّ القوات".

[سفر حجاي 2:4و8و9]

ولكن، كما هي الحال غالباً، تؤدي انبعاثة الطاقة والتقدم الجديدة الى نشوء معارضة جديدة. فهذا هو ما جرى هنا، إذ جرّب الاعداء التكتيات نفسها كالسابق. وهذه المرّة كتبوا رسالة الى داريوس، الامبراطور الجديد، رجاة ان يوقفوا العمل في مدينة القدس. لكن كيدهم الآن يرتدُّ الى نحورهم، وإذا بنا نرى لماذا سمح الله بوقف البناء وقتياً اول مرة.

وقد أجرى داريوس بعض البحث قبل إجابة طلب الاعداء، إذ امر بتفتيش المحفوظات،فعثر على المرسوم الاصلي الصادر عن قورش ترخيصاً لبناء الهيكل. وعليه، فكما جاء في **[سفر عزرا 7:6و8]**،يُجاوب كاتباً الخبر المذهل الذي فاق أي شيء كان يمكن للمسبيّن العائدين ان يطلبوه او يفتكروا فيه. فقد قال داريوس للاعداء المشتكين :

ابتعدوا من هناك، دعوا والي اليهود وشيوخ اليهود يعملون، وليُبنَ بيت الله هذا في مكانه، وقد صدر امر مني بما ستعملون مع شيوخ اليهود هؤلاء في بناء بيت الله هذا.إنه من مال الملك، من خراج عبر النهر، تُعطى النفقة كاملة لهولاء الرجال لئلا يتعطلوا.

يا له من انعكاس رائع! وما اعظم الله! لقد ظن العائدون ان الاعداء قد انتصروا. غير ان الله كان يُسير التاريخ بحيث لا يقتصر الامر على سماح الاعداء ببناء الهيكل بل تعدى ذلك الى دفعهم نفقة بنائه! والآية في **[سفر عزرا 22:6]** تنص بصراحة

على الحقيقة العظيمة:***"لأن الرب فرحهم وامال قلب ملك اشور اليهم ليشدد ايديهم في عمل بيت الله".***فإن اله يسود على قلوب الملوك والاباطرة والرؤساء والعلماء والكتاب والقضاة والحكام وسائر المسؤولين. هذا هو الاساس العظيم للصوم والصلاة لأجل الهموم المتعلقة بالنظرة العالمية الشاملة: ان في وسع الله ان يحوّل الناس، وان يُشكل تفكيرهم حتى لو لم يتحولوا اليه. وما اعظم الدروس التي نتعلمها هنا في معرض كفاحنا لنصرة الحق في جماعة المؤمنين وفي الثقافة العامة!

لا نحكم على الله على أساس الاحساس الواهي،

بل لنتوكل على مورد نعمته اللامتناهي.

فوراء عنايته التي تبدو لنا متجهمه،

يخبئ وجهاً اساريره متبسمه!

وليم كاوير

حقاً، ما اعظم الدروس التي نتعلمها ههنا!سم نكستك المحبطة:أشخصية كانت ام سياسية ام دراسية ام روحية ام ثقافية ام عالمية. أفيجرؤ أي مؤمن بالمسيح على القول إن يد الله ليست في هذا كله لخير شعبه المؤمنين به ولمجد اسمه تعالى؟أليس إلهنا هو الله القدير؟فهل تعتقد ان هذه النكسات لا تعدم قصداً صالحاً ما، اكبر واكثر إذهالاً مما يستطيع أي منا ان يتصور؟

قلب الملك ساقية ماء في يد الربّ

ثم يبرز عزرا في المشهد، مع نظرة تعود الى مُلك أرتحششتا. فقد ارسل الملك عزرا مع مجموعة من الناس رجوعاً الى مدينة القدس.

وبحسب **[سفر عزرا 6:7]**، زوده الملك بكل ما يحتاج اليه للسفر. فلماذا يفعل ذلك الملك عينه الذي اوقف بناء الهيكل؟الجواب يقدمه عزرا في صلاته المدونة في آخر الفصل عينه : "**تبارك الربّ، إله آبائنا،الذي القى مثل هذا في قلب الملك**"**[الآية 27]** .فالله فعل ذلك،إذ انه القاه في قلب الملك.

هذا الامر فعله الله لقورش **[1:1]** وفعله لداريوس **[22:6]** وفعله لأرتحششتا **[27:7]**.***قلب الملك في يد الربّ سواقي ماء،فحيثما شاء يميله"[سفر الامثال 1:21]***.إن الله يحكم العالم، وهو سيد التاريخ. ***"ما ابعد غور غنى الله وحكمته وعلمه! وما اعسر ادراك احكامه وتبين طرقه!" [رسالة رومة 33:1]***،فإننا لا نستطيع ان نفهم الحكمة غير المحدودة في طرقه، ولكن ان نتكل عليه وندعو اليه بالصلاة، وان نصوم كما سنرى.

الصيام امام إلهٍ يهيمن على الكون

وهكذا نصل الى ما فعله عزرا عند مغادرة بلاد السبي للعودة الى فلسطين. وقد رفض حراسة عسكرية ليتسنى له ان يشهد امام ارتحششتا لقوة الله وامانته في حماية العائدين معه. فبدلاً من مساعدة الملك التمس معونة الله ، وقد التمسها بصوم. وجاء في ***[سفر عزرا 21:8-23]:***

"فناديت بصومٍ هناك،عند نهر أهوى، لنتذلل امام الهنا، طالبين اليه طريقاً سالمة لنا ولعيالنا [هنا العلاقة بانقاذ اطفالنا من الاجهاض] ولجميع اموالنا.فإني استحييت ان اطلب من الملك جنوداً وفرساناً ليحمونا من العدوّ في الطريق، لأننا قلنا للملك:إنّ يد إلهنا على جميع طالبيه للخير، وبأسه وغضبه على جميع تاركيه".فصمنا وطلبنا من إلهنا لاجل ذلك، فاستجابنا".

وفي ***[الآية الحادي والعشرين]***، يظهر الصوم تعبيراً عن

التذلل، أي عن إحساسنا بالاتكال الكلي على الله في يأسنا ، طلباً لما نحتاج اليه:*"ناديت بصوم هناك عند نهر اهوى، لنتذلل امام الهنا"*. وإن اتضح شيءٌ ما من تحليل "فرنسيس شايفر لاسس الاجهاض، فهو ان النظرة الشاملة القائمة على اساس الفلسفة الانسانية المادية، والتي تستشتري في الثقافة الغربية يصعب جداً التصدي لها بحيث نتوكل على الله كلياً لمقاومتها واصلاحها. فالنقاش المخلص، والكتابة المقنعة، والتحرك الاجتماعي الناشط، والانهماك الساسي، كلها امور لا بأس بها. ولكن ما لم يتحرك الله المهيمن للتأثير في العقول المظلمة (على نحو ما فعل بالنسبة الى قورش وداريوس وارتحششتا) ، فحتى افضل التحليل والتحرك يستأسر ويقلب راساً على عقب.

ولكنّ الصوم، عند عزرا، لم يكن مجرد تعبير عن التذلل واليأس، بل كان تعبيراً عن طلب الله بجدية الوقوف على مفترق موتً او حياة:*"**فصمنا وطلبنا من الهنا**"*. ذلك ان الصوم يأتي مقترناً بالصلاة والدعاء بكل ما فيهما من جوع الى اله، ويقول:"لسنا قادرين في ذواتنا على كسب هذه المعركة.لسنا قادرين على تغيير العقول او القلوب.لسنا قادرين على تغيير الاراء العالمية الباطلة، ولا على تحويل الثقافة وانقاذ مليون وست مئة الف طفل. لسنا قادرين على اصلاح القضاء، ولا على احياء التشريع، ولا على ايقاظ الجماهير الهاجعة. لسنا قادرين على شفاء الجراح المتكاثرة من جراء الايديولوجيات الكافرة وافعالها الوحشية. ولكنك ، يا الله،قدير قادر! ونحن نتحول عن الاتكال على نفوسنا الى الاتكال عليك. ونجأر اليك بالدعاء والتضرع ان تتصرف ، يا الهنا القدير ، لاجل اسمك ولأجل مجدك ولأجل تقدم مقاصك الخلاصية في العالم، ولأجل اظهار حكمتك وقدرتك وسلطتك على كل شيء، ولأجل استظهار حقك وإغاثة الفقراء والمهمشين . بهذا المقدار نتقوق الى اعتلان قوتك

وقدرتك. فبكل تفكيرنا وبكل كتابتنا وبكل عملنا، نصلي ونصوم ,هيا، يار ربّ، أعلن مجدك".

وفي **[آخر الآية 23 من لفصل الثاني من سفر عزرا]**تُذكر نتيجة الرحمة التي ادى اليها الصيام والصلاة:"استجابنا"! لقد نجا الاطفال، ومال قلب الملك، واندحر الاعداء، ويا له من امرٍ مذهل: ان الاله الذي يُحرك عقول الملوك قد رتب بأن يحركه دعاء الضعفاء فيُطلق قدرته المهيمنة لخيرهم!

المتاجرة الى ان يعود الملك

أناشدكم ان تلتمسوا الربّ معي بشأن مكانة الصوم والصلاة في اختراق الذهن المظلم الذي يلف العالم المعاصر، بالنسبة الى الاجهاض وعشرات المفاسد الاخرى.ليست هذه دعوى الى غصبةٍ جماعية تصرخ في وجوه الارديا‌ء ان "اعيدوا الينا بلدنا". إنها دعوة الى الغرباء النزلاء على الارض، اولئك الذين ينتمون الى السماء وطناً والذين ينتظرون ظهور مليكهم، حتى "**يتاجروا**" الى ان يعود **[الانجيل حسب لوقا 13:19]** . واعظم "تجارة" عند المؤمن بالمسيح هي ان يفعل "***كل شيء لمجد الله"[رسالة قورنتس الاولى 31:10]***؛ وان يصلي كي يقدس اسم اله ويأتي ملكوته ويصوم ليس فقط لأجل الاستعلان النهائي الذي فيه يتمجد ابن الانسان (المسيح،بل ايضاً في هذه الاثناء لأجل تجليات روحه وقدرته في بلوغ كل انسان، وفي إنقاذ الضالين الهالكين، وفي تنقية جماعة المسيح، وفي رفع المظالم وإصلاح المفاسد بقدر ما يمنحنا تعالى.

صحيح ان التوازن في العمل كما يمليه علينا الكتاب المقدس، بين هذه المهمات الجليلة كلها ليس بالاكتشاف اليسير.

ولكن هذا ايضاً قد يكون من ثمار الصيام الخالص المقترن بالايمان. عسى ان يهبنا الاب ألاّ تشلّ اشواقنا حيال سُموُّ دعوتنا، بل بالحري ان يكون الصوم والصلاة وكل عمل صالح ساحةً للتعبير عن جوعنا الى التجليات الخاصة والعامة لمجد إلهنا العظيم!

"طوبى لكم ايها الجائعون الآن،
فسوف تُشبعون"
- [الانجيل حسب لوقا 21:6]

ومن الذي تقدّمه بالعطاء
فيُكافاً عليه؟

"فكلُّ شيء منه وبه وإليه
له المجد ابدَ الدهور. آمين"
- [رسالة رومة 35:11و 36]

لقد سرّ الله ان يترتب الصلاة سابقةً لمنحه الرحمة ويسّره ان يمنحَ الرحمة في أعقاب الصلاة، كما لو كانت الصلاة استظهاراً عليه. فعندما يتحرّك شعب الله المؤمنون به للصلاة، فذلك نتيجةٌ لنيتّه بإبداء الرحمة. لذلك يكسب روح النعمة والتضرّعات

– يوناثان إدواردز
"الله العليُّ سامع الصلاة"

خاتمة

لماذا يكافئ الله على الصوم؟

يبقى سؤالنا الحاسم : لماذا يستجيب الله للصوم؟ لماذا يكافئنا حين نصوم؟أما انه يفعل ذلك فحقيقةٌ يشهد لها الكتاب المقدس والتاريخ. وقد وعدنا المسيح بأنه تعالى يفعل ذلك:"**ابوك الذي يرى *[صيامك] في الخفية يجازيك"[الانجيل حسب متى 18:6]***.وهذا السؤال ملحّ لأنّ جواباً خطأ يمكن ان يهين الله ويؤذينا أذى بالغاً.

جوابٌ يُهين الله ويؤذينا

هبنا قلنا ان الصوم يحظى بمكافآت من عند الله لأنه يكسبها بإظهار استحقاق الصائم. فمن شأن هذا ان يهين الله إذ يحوّل إنعامه المجانيّ الى مصافقة تجارية. ومن شأنه ان يعني ضمناً ان الصوم ينبع كلياً من ارادتنا الذاتية، وان هذا الضرب من الانضباط المفروض ذاتياً يقدم الى الله كلياً تالياً للظفر بالتعويض. وهذه إهانة عظيمة لله لأنها تنسب إلينا ما يخص الله وحده، أعني المبادرة الاساسية للصلاة والصوم. وبهذه الطريقة نضع انفسنا مكان الله ونعطل حرية نعمته.

وهذا ايضاً يؤذينا لا مستفيدين من النعمة بل متلقين للانصاف الجزائي. ومن شأن ذلك ان يعني اننا ننال من لدن الله ما نستحق وليس "***هبة الله***" التي هي "***الحياة الابدية***"**[رسالة رومة 23:6]**. وباستخدام الفاظ الرسول بولس، فإن هذه الطريقة في النظر الى استجابة الله للصوم تحوله الى "عمل". وهذا ما نراه في **[رسالة رومة 4:4]** ***فمن قام بعمل، لا تُحسب أجرته نعمة، بل حقاً***".وبترجمة حرفية :"من يعمل لا تحسب مكافأته على سبيل

النعمة (الاحسان المجاني الكريم) بل على سبيل الدّين). فإن قلنا ان الله يكافئ على الصيام بدفع "أجرة" او بوفاء "دين" للذين كسبوا او استحقوا المكافأة بصومهم، فحينئذٍ نتصرف كما لو ان "المكافأة لا تحسب على سبيل النعمة". وهذا سبيل مهلك في التعامل مع الله، لأن البديل الوحيد من النعمة الكريمة هو حكم الهلاك الابدي.

فإن الله لا ينجينا *"بالنعمة ... بفضل الايمان"* **[رسالة أفسس 8:2]** ثم يكافئنا على الصوم *"بالعدل ... بفضل الاعمال"*.ذلك ان مكافأة حسباننا ابراراً ، وكلّ مكافأة لاحقة، إنما تأتينا على الاساس نفسه وبالواسطة عينها: على اساس العمل الالهي الذي انجزه المسيح، أي موته البديلي الغافر والساتر **[رسالة رومة 24:3]**،وبواسطة العمل الالهي فينا، أي إيماننا المغيّر للحياة **[رسالة افسس 8:2، رسالة غلاطية6:5]**.أما محاولة الحصول على اي من عند الله بالاستحقاق او بالتكسب، فهي شريرة وقتالة، قبل اهتدائنا الى الايمان وبعده. فالفعل الذي يعطل النعمة الالهية شرير وقتال حينما نفعله.

وعليه، فإن جواباً خطأ للسؤال عن سبب مكافأة الله للصوم لن يهين الله ويؤذينا أذى خطيراً. فمن الاهمية بمكان كبير ان نجيب عن السؤال اجابة صحيحة، ما دام مجد الله وخيرنا على المحكّ.

الصوم هو " منه وبه وإليه"

لا يستجيب الله للصوم لأنه يقدم له تعالى معرفة جديدة بشأن ايماننا او تقوانا او تفانينا. فإنه يعرف قلوبنا افضل مما نعرفها نحن انفسنا.

وبالحقيقة ان القلب الجديد الذي نعطاه بالولادة الروحية في الايمان هو من صنع الله. فهو يعرفنا لأننا صنعته: ***"لأننا من صنع الله، خُلقنا في المسيح"*** **[رسالة افسس 10:2]**. وهو تعالى لم يكتفِ بأن خلقنا خلائق ايمان جديدة، بل ما يزال عاملاً فينا ما يحسن لديه **[رسالة العبرانيين 21:13]**. فواجبنا وبهجتنا ان نختار الطاعة ساعةً فساعة، ولكن لا ننسينّ **ان "الله هو الذي يعمل [فينا] الارادة والعمل في سبيل رضاه" [رسالة فيلبي 13:2.]**

فالسبب الاكثر جوهرية لعدم قدرة الصوم على كسب أي شيء من عند الله هو انه هدية من لدنه. إنه شيء "يعمله" فينا. ولا يمكن ان نتوقع من الله ان يدفع ثمن ما هو له اصلاً. هذا هو ما عناه بولس الرسول لما قال في ***[رسالة رومة 35:11 و 36] "ومن الذي تقدمّه [تعالى] بالعطاء ،فيُكافأ عليه؟ فكلّ شيء منه وبه وإليه. له المجد أب الدهور . آمين".*** وهذا يشتمل على الصوم ايضاً : فإنه منه وبه وإليه . إنه لا يقدم اولاً الى الله حتى نكافأ عليه، بل إنه اولاً هبة من الله حتى ننتفع منه ويتمجد تعالى به.

أصل التضحية الاصليُّ

لما رأى الملك سليمان شعبه يضحون بغناهم لبناء هيكل الربّ، بمثل الطريقة التي بها قد يضحي المرء بالطعام حين يصوم، لم يزده كبرا بفضيلة شعبه المصنوعة ذاتياً، بل تذلل لأن الله قد آتاهم تلك النعمة حتى بادروا الى السخاء. وقد قال ***: "ما انا وما شعبي حتى نستطيع ان نتبرع هكذا؟ وإنما كلُّ شيء منك، ومن يدك اعطيناك"*** **[سفر عالاخبار الاول 14:29]**. بهذه الطريقة ينبغي لنا ان نتكلم عن الصوم. فما من اساس للافتخار هنا. من انا حتى استطيع ان اصوم؟ نكرة! وليس فيّ شيءُ من شأنه ان يختار الصيام لمجدك بمعزلٍ عن نعمتك المغيّرة والمرفقة.

ولما نظر سليمان الى المستقبل وتساءل هل تستمر هذه التضحية من القلب، دعا" ***ايها الربّ... احفظ هذا للابد في خواطر افكار قلوب شعبك، ووجه قلوبهم نحوك*** **[السفر نفسه، الفصل نفسه، الآية 18]**.وعلى هذا المنوال ينبغي لنا نحن ان ندعو لأجل صيامنا وصيام جماعة المسيح : يا ربّ، أبق نيات الصيام التي بعثتها انت حيةً وفعالة، ووجّه قلوب شعبك المؤمنين بك إليك في كل حين بوصفك نبع أفراحهم كلّها.

المكافأة هي على الشعوب بالعجز والاتكال على الله

حسناً، ما دام الله لا يكافئنا على الصوم لأننا لا نوجده **نحن** ونقدمه اليه تعالى حتى نكسب أجراً او تعويضاً، فلماذا يكافئنا عليه؟ وما دام الله فعلاً هو مُجد الصوم ومُحييه، فلماذا عيّن هذا الفعل مناسبةً لمكافأته؟ الجواب هو ان الله ملتزم ان يكافئننا على افعال القلب البشري تلك التي تنم عن الشعوب بالعجز البشري والاتكال الواثق عليه تعالى. فمراراً وتكراراً في الكتاب المقدس يعد الله بأنه يهبّ لمعونة الذين يكفون عن الاتكال على انفسهم ويلتمسونه هو كنزاً لهم وعوناً :

"ايها العطاش جميعاً،هلموا الى المياه، والذين لا فضة لهم،هلموا اشتروا وكلوا،هلموا اشتروا بغير فضة ولا ثمن خمراً ولبناً حليباً... أميلوا آذانكم وهلموا إليّ، اسمعوا فتحيا نفوسكم" **[سفر عزرا أشعيا 55:1-3]**.فإن الله يعد بمياه وخمر ولبن وحياة لا يستطيع المال ان يشتريها تحديداً لمن لا مال عندهم لكنهم عطاشٌ فقط، إن هم انصرفوا بعيداً عما يمكن ان يشتريه المال وتولّوا اليه. ***اني سأعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً ... ومن كان عطشانا فليأت، ومن شاء فليستقِ ماء الحياة مجاناً"*** **[سفر الرؤيا 6:21 ، 17:22]**.فمكافأة الحياة لا تأتي الى الذين يستطيعون ان يشتروها او يعملوا في سبيلها.

إنها "بغير فضة ولا ثمن"، أي مجانية. انما"الثمن" هو العطش الذي يتحول عن آبار الدنيا المشققة التي لا تمسك الماء الى الينبوع الذي لا ينضب في الله.

إنهم "***فقراء الروح***" من سيكافأون بملكوت السماوات **[الانجيل حسب متى 3:5. و *للذين ينتظرونه يعمل الربّ*" [سفر أشعيا 3:64]**.وأولئك الذين "***يتكلون على الله***"، لا على خيولهم ومركباتهم، هم من ينتصرون بقوته **[سفر الاخبار الاول 20:5؛ الثاني 18:13؛ المزمور 7:20]**. والذين "***تنعم بالربُّ نفوسُهم***" ويتكلون عليه هُم من يعطون بغية قلوبهم **[المزمور 3:37 و 4]**. والاضاحي المقبولة عند الله إنما هي روح منكسر وقلب منسحق؛ فهذان الوعاءان الفارغان هو يملأهما بمكافأته **[المزمور 19:51]**. ومن يخدم الله لا بقوته الشخصية بل "***بالقوة التي يمنحها الله*" *يكافئه الرب* [رسالة بطرس الاولى 11:4]**.

إلتزامُ الله الأقصى هو مجدُه

إن الله يكافئ افعال القلب البشري تلك التي تنم عن عجز الانسان واتكاله على الله ورجائه فيه تعالى. وسبب ذلك ان هذه الافعال تلفت الانتباه الى مجد الله، على حدّ ما توضحه الآية الحادية عشرة من **[رسالة بطرس الاولى 4] :*فإذا قام احد بالخدمة، فلتكن خدمته بالقوة التي يمنحها الله، حتى يمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح، له المجد والعزة ابد الدهور. آمين***". لا يفتك التعليل المنطقي في هذه الآية : إن كنت تخدم لا بقوتك الشخصية بل بالقوة التي يمدك بها الله ، فحينئذٍ يمجد الله. ذلك ان المعطي ينال المجد.

فاللـــه ملتزمٌ ان يفعل كلّ شيء لأجل مجده. وهذا الامر ايضاً

تُبينّه كلمة الله في مظانّ كثيرة، على حدّ ما أوضح "يوناثان إدواردز" على نحو مقتدر في مقالةٍ له عنوانها "الغاية التي لأجلها خلق الله العالم"، إذ قال: "يبدو ان كلّ ما يتحدث عنه كتابٌ الله المقدس على انه الغاية القصوى لعمل الله تشتمل عليه هذه العبارة الوجيزة:<مجدُ الله> ". ذلك ان الله قد اختار شعبه المؤمنين به قبل انشاء العالم "**للتسبيح بمجده**" **[رسالة افسس 4:1 – 6]** كما انه خلق البشر لمجده **[سفر أشعيا 7:43]**، واختار شعباً قديماً لمجده **[السفر نفسه 3:49]**، ثم انقذهم من ارض مصر لمجده **[المزمور 7:106و 8]** وردهم الى الارض من السبي لمجده **[أشعيا 9:48 – 11]**. قد ارسل ابنه الازلي إثباتاُ لدق وعوده ولكي يمجدون الوثنيون التائبون على رحمته **[رسالة رومة 8:15 و9]** . كما أمات ابنه المتجسد لاظهار المزكي **[الرسالة نفسها 24:3 و 26]**. وقد ارسل الروح القدوس كي يمجد ابنه الكريم **[الانجيل حسب يوحنا 14:16]** . وهو يوصي شعبه المؤمنين به ان يفعلوا كل شيء لمجده تعالى **[رسالة قورنتس الاولى 31:10]**.ولسوف يرسل ابنه مرة ثانية ليتلقى المجد الواجب له **[رسالة تسالونيقي الثانية 9:1 و 10]** . **وفي النهاية سوف يملأ الارض كلها بمعرفة مجده [سفر حبقوق 14:2]**.

إذا، غاية الله القصوى في كلّ ما يفعله ان يعلن مجده، لأجل تقدير اولئك الذين يعاينونه وخيبة الذين يفوتهم ذلك. وعليه، فهو يكافئ على الافعال التي تقرّ بالعجز البشري والتي تعبرّ عن ترجّي الله والاتكال عليه، لأن تلك الافعال تلفت الانتباه الى مجده.

تقدمةُ فراع لإظهار الملء

لهذه الغاية بالذات جعلت الصلاة تحديداً : "***فكلُّ شيء سألتم باسمي اعمله، لكي يُمجد الآب في الابن***" **[الانجيل حسب يوحنا 13:14]** .

فإن الله يستجيب الصلاة لأننا حين نُشيح بأنظارنا بعيداً عن ذواتنا ونشخص الى المسيح على انه رجاؤنا الوحيد نُتيح لله الآب ان يُمجد نعمته بعمل ابنه الكلّي الكفاية.

وبالمثل، يناسب الصوم خصوصاً تمجيد الله بهذه الطريقة. فإنما هو في الاساس تقدمة فراغ الى الله على رجاء. إنه قربان احتياج وجوع. وبذات طبيعته يقول :***"ايها الابُ السماوي، انا فارع ولكنك انت ملآن. أنا جائع، وانت خبز السماء. أنا عطشان، وانت ينبوع الحياة. أنا ضعيف، أما أنت قويّ. أنا فقير، وأنت الغنيُّ المُغني. أنا غبيّ، وانت الحكيم. أنا محطّم، وأنت السليم. أنا مائت، ولكنّ حُبك الثابت أطيب من الحياة"*** **[المزمور 4:63].**

وحين يرى الله هذا الاعتراف بالحاجة وهذا التعبير عن الاتكال والثقة، فحينئذٍ يتصرف بأن مجد نعمته الكلي الكفاية على المحك. فالجواب النهائي ان الله يكافئ على الصيام لكونه تعبيراً عن صرخة القلب بأن لا شيء على الارض يمكن ان يشبع نفوسنا ما خلا الله. ولا بد ان يكافئ الله هذه الصرخة لأنه يتمجد اكثر فينا عندما نشبع اكثر الكلّ به.

"أذكروا الذين أرشدوكم،
إنهم خاطبوكم بكلمة الله،
واعتبروا بما انتهت اليه سيرتُهم،
واقتدوا بإيمانهم".

- **[الرسالة الى العبرانيين : 7:13]**

يتذرع بعضهم بكون روح الله يعلّمهم فيرفضون ان ترشدهم الكتب او الاشخاص الاحياء. وليس في هذا أي إكرام لروح اله، بل انه ازدراءٌ به، لأنه اذا أعطى بعض خدّامه نوراً اكثر مما اعطى سواهم – وواضحٌ ان هــذا هو – الــواقع فعليهم واجبُ

إعطاء الاخرين ذلك النور، واستخدامه لخير جماعة المؤمنين. ولكن إن رفض القسم الآخر من الجماعة تلقي ذلك النور، فما الغاية من إعطاء روح الله له؟ من شأن هذا ان يعني ضمناً وجود خطأ ما في ترتيب الله المختصّ بالمواهب والنعم هذا الذي يتولى الروح القدس تدبيره.

شارلز اسبرجُن

"كلمات نُصح لخدّام المسيح"

تذييـــل

اقتباسات واختبارات

في ما يلي اقتباسات واختبارات تشكل عينة من المطالعة التي قمت بها اعداداً لهذا الكتاب. وأُوردها هنا للإلهام والإرشاد، دون ان يعني ذلك موافقتي عل كلّ ما ورد فيها. وفي بعض الاحيان يكون لشذرة عابرة تأثيرٌ فينا يفوق تأثير كتاب بأكمله. فعسى ان يستخدم الله إحدى هذه الفِقَر القصيرة حتى ينبعث في أحد ما "***جوع الى الله!***".

إغناطيوس
(اسقف انطاكية في اواخر القرن الاول م)

اعكف على الصيام والصلاة، ولكن لا تجاوز الحدّ، لئلا تدمر نفسك بذلك. لا تنقطع كلياً علن النبيذ واللحم،لأن هذين لا ينبغي ان يُنظر اليهما نظرة مقت، وقد قال الكتاب:"كلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم نفوسكم"، وايضاً : " كلُّ حيّ يدبُّ يكون لكم مأكلاً" ، وايضاً: "وخمرٍ تفرح قلب الانسان، لكي ينضرّ الزيت الوجوه، ويسند الخبز قلب الانسان". إنما ينبغي استهلاك كلّ شيء باعتدال، لكون الكلّ هباتٍ من عند الله."فمن يأكل او من يشرب لولاه تعالى؟ وان كان من شيء جميل، فهو له، او كان من شيء صالح، فهو له".

أوغسطينوس
(اسقف هيبُّو، وقد عاش من 354 حتى 430م)

بالاكل والشرب نصلح انحلالات اجسامنا اليومية، الى ان تبيد – يا الله – البطن والطعام معاً، يوم تبدد فراغي بملءٍ عجيب، وتكسر هذا الفاني خلوداً ابدياً. أما الان فالضرورة حلوةٌ عندي حلاوةً اكافحها حتى لا اقع في قبضتها اسيراً، واخوض خرباً يومية بالاصوام، مخضعاً في اغلب الاحيان جسدي ومزيلاً الامي بالسرور . وما اكثر ما يعييني التيقن هل تطلب العناية الضرورية بجسدي ان اقوته، ام هل يعرض عليّ خداع الجسد الشهواني خدماته. في هذا اللايقين تبتهج النفس التعسة، وتتذرع بالاعذار كي تحمي ذاتها، مسرورة بما يبدو انه لا يكفي حسن الصحة، بحيث انها تحت غطاء الحفاظ على الصحة تستطيع ان تقنع الانغماس والاشباع, هذه غواياتٌ اسعى يومياً لمقاومتها، وادعو ان تمد يمينك لشد أزري، واليك احيل ارتباكاتي، فأنا – يا إلهي – لم أهتدِ الى الصواب ههُنا.

*

إذا سُئلت عن رأيي في هذه المسألة، فبعد تفكيري ملياً في السؤال أجيب بأن الصوم موصى به في الانجيل حسب كتبته الاربعة وفي الرسائل وفي مجمل الاسفار التي يتضمنها كتاب العهد الجديد لتعليمنا. غير اني لا اجد أي قاعدة وضعها ربنا او الرسل بشأن الايام التي فيها ينبغي او لا ينبغي ان نصوم، وانا مقتنع من هذا بأن الاعفاء من الصوم في اليوم السابع انسب، ليس للحصول على الراحة فعلاً بل للاشارة الى تلك الراحة الابدية التي بها يتحقق السبت الحقيقيّ، والتي ننالها فقط بالايمان وبذلك البر الذي به تكون "ابنة الملك" كلية المجد من الداخل.

كيرلُس الأورشليميّ
(أسقف مدينة القدس، وقد عاش من 315 حتى 386م)

لا تكن في ما بعد أفعواناً، ولكن بما انك كنت في الماضي من نسل الافاعي فاخلع – كما قال ربنا – سلخ حياتك القديمة الخاطئة. ذلك ام كل افعى تزحف الى جحر وتخلع سلخها القديم، وبعد ان تطرح الجلد القديم تغدو من جديد شابةً في الجسم. على المنوال عينه ادخل انت ايضاً من الباب الضيق الحرج، واطرح عنك ذاتك القديمة بالصوم، واطرد خارجاً ما يعمل على خرابك.

مارتن لوثر
(المُصلح الديني الألماني، وقد عاش من 1483 حتى 1546)

[من عظة على [**الانجيل حسب متى : 1:4**] وما يلي ، القيت سنة 1524]. عن الصوم اقول هذا: من الصواب ان نصوم مراراً وتكراراً لنقمع الجسد ونسيطر عليه. فحين تكون المعدة ملآنة، لا يؤدي الجسد عمله جيداً في الوعظ والصلاة والدرس، او في أي شيء نافع آخر. ففي مثل هذه الاحوال نُعدم كلمة الله قوّتها. إنما ينبغي للمرء ان يصوم بُغية ان يستحق شيئاً على نحو ما يبتغي بعملٍ صالح.

*

[في موضوع الصحو الذي يحرّض عليه [**بطرس في رساته الاولى 13:1**] وتعليقاً على اختلاف الحاجات لدى الناس المختلفين]. لا يحدد الربّ وقتاً معيناً للصوم ولا مدةً معلومة له، على حدّ ما فعل البابا، بل يترك للفرد ان يصوم حتى يبقى صاحياً كل حين ولا يثقل جسده بالبطنة، بحيث يبقى مالكاً لعقله وافكاره وبحدد مقدار ما يجب ان يعمله كي يبقي جسده تحت السيطرة. فإنه لامر

باطل كلياً ان تفرض وصية واحدة على جماعة بكاملها، ما دمنا نختلف كثيراً احدنا عن الاخر: فأحدنا قوي والاخر ضعيف في الجسد، بحيث ينبغي للواحد ان يميت الجسد بمقدار اكبر ، ولغيره بمقدار اصغر، حتى يبقى سليماً ولائقاً للخدمة الصالحة ... جيد ان نصوم، ولكن صوماً يمكن ان يدعى بالحقيقة صوماً حين نعطي الجسد من الطعام ما لا يتعدى احتياجه للحفاظ على صحته. فدع الجسد يشتغل ويستيقظ، لئلا يبطر الحيوان القديم فيرقص على الجليد وينزلق فيتحطم. وينبغي ان يقمع الجسد ويتبع الروح، وألاّ يكون كأولئك الذين إذ يوشكون ان يصوموا يملأون بطونهم في جلسة واحدة بالسمك وأجود النبيذ فينتفخون ويتخمون.

*

يضع الكتاب المقدس امامنا نوعين من الصوم صالحين. الاول يقبله المرء طائعاً لغرض ان يقمع الروح الجسد. بشأن هذا قال الرسول بولس: ***في ... التعب والسهر والصوم***"**[رسالة قورنتس الثانية 5:6]**. والثاني هو النوع الذي ينبغي للمرء ان يتحمله ومع ذلك يقبله طائعاً. وبشأن هذا قال الرسول بولس : ***"ولا نزال حتى هذه الساعة ايضاً نجوع ونعطش"*** **[رسالة قورنتس الاولى 11:4]** وعنه يقول المسيح: " ***ستأتي ايام فيها يرفع العريس من بينهم، فحينئذٍ يصومون"*** **[الانجيل حسب متى 15:9]**

جان كالفن

(المصلح الديني السويسري، وقد عاش من 1509 حتى 1564)

والخلاصة انه متى نشأ جدال في موضوع ديني وكان ينغي ان يسوي إما بمجمع وإما بمحكمة كنسيّة، ومتى قام تساؤل حول اختيار خادم دين، ومتى وجب البحث فـــي أي امـــر صعب ذي

اهمية بالغة، وايضاً إذ ظهرت بعض العلامات على غضب الله (كالوبإ والحرب والمجاعة مثلا)، فإنها لوصية مقدسة وفرضية حتمية لجميع العصور ان يحثّ الوعاظ الناس على الصيام الجماعي والصلاة غير المعتادة.

*

للصوم المقدس والشرعي ثلاثة اغراض. فنحن نستخدمه إما اضعافاً للجسد وإخضاعاً له حتى لا يتصرف بعناد وجموح، وإما استعداداً للصلوات والتأملات ، وإما شهادة لتذللنا امام الله عندما نرغب في الاعتراف له بذنوبنا.

*

[الصيام عن العلاقان الزوجية، على حد ما جاء في رسالة قورنتس الاولى 5:7 يبيّن ان الصوم خادم للصلاة وليس غايةً في ذاته . وبعد الاشارة الى حنة في [**الانجيل حسب لوقا 37:2**]، ونحميا في[**سفر نحميا 4:1**]، يقول]: لهذا السبب يقول بولس ان الزوجين المؤمنين يحسنان التصرف ان ابتعدا حيناً عن فراش الزوجية حتى يتاح لهما التفرغ للصلاة والصيام. وهنا يقرن الرسول الصوم بالصلاة كمساعد وينبه الى انعدام قيمته الذاتية ما لم يوظف لهذه الغاية [**رسالة قورنتس 5:7**].

*

إن حياة الاتقياء، طيلة شوطها، ينبغي حقاً ان تلطف بالاعتدال والصحو، بحيث تشبه الصوم ما امكن شبهاً ما. ولكن هنالك ايضاً صنفاً من الصيام آخر، وذلك حين نسقط شيئاً ما من نمط المعيشة المعتاد، إما يوماً وإما مدة محددة، ونلزم انفسنا انضباطاً ذاتياً في الطعام أضيق وأقسى من المعتاد.

متّى هنري

(القسّيس الانكليزي، والشارح للكتاب المقدس ، 1662–1714)

إن كانت ممارسات صومنا الصارمة، رغم تكرارها وطولها وحدتها، لا تؤدي الى انبعاث مشاعر التقوى لدينا، والى احياء الصلوات والادعية ومضاعفة الحزن الذي يبعثه الله فينا، والى تغيير طباع عقولنا ومجرى حياتنا نحو الافضل، فإنها لا تخدم القصد منها ولن يقبلها الله باعتبارها مؤداة لوجهه الكريم.

وليم لاو

(الكاتب الروحي الانكليزي ، 1668 – 1761)

إن اقتضى التدين ان نصوم احياناً ولا نلبي شهياتنا الطبيعية، فينبغي ان يخفف الصيام حدة النزاع والصراع اللذين تشهدهما ساحة طبيعتنا، وان يجعل اجسادنا آلات طهارة اليق واكثر طاعة للدوافع الصالحة التي تبعثها فينا النعمة الالهية، وان يغيض ينابيع اهوائنا المحاربة لنفوسنا، ويسكن لهيب دمائنا، ويجعل الذهن اكثر استعداداً للتأملات الروحية. وعليه، فلئن آلم الحرمان اجسادنا قليلاً، فإنه يحد من قوة شهياتنا الجسدية وأهوائنا، ويزيد تذوقنا للافراح الروحية، حتى ان مثل هذه الممارسة الدينية الصارمة إذا مورست بتعقل تضفي الكثير على تمتعنا السوي بحياتنا.

يوناثان إدواردز

(القسيس واللاهوتي الذي عاش في "نيوإنغلند" من 1703 حتى 1758)

لنفترض ان ليس في هذه البلاد تقريباً خادم دين واحد الا اعتاد ان يصلي ويدعو الى اللله كل سبت حتى يفيض روحه،

ويجري اصلاحاً ونهضة دينيين في هذه البلاد،ويردنا عن اسرافنا ونجاساتنا وادناسنا ودنيوتنا وسائر ذنوبنا، واننا راعينا من سنة الى سنة ايام صيام وصلاة عامّين امام الله، كي نعترف بارتداد قلوبنا ونتذلل بسبب خطايانا ونلتمس من لدن الله غفراناً واصلاحاً، فإذا حدث الان اصلاح واحياء عظيمان وشاملان جداً على نحو مفاجئ وعجيب للغاية، وذلك في تلك الامور عينها التي التمسنا وجه الله لاجلها ، افلا نعترف بالواقع المستجد؟

*

إن حالة الزمان الحاضر تقتضي امتلاء خدام المسيح بملء الروح الالهي ولا ينبغي لنا ان نستريح قبل حصولنا عليه. وفي سبيل ذلك، اعتقد ان على الخدام ، قبل سواهم، ان يقضوا اوقاتا في الصلاة والصوم سراً، كل على حدة، وبعضهم مع بعض ايضاً. ويبدو لي انه يناسب يومنا الحاضر ام يجتمع الخدام المقيمون في حيّ واحد معاً ويقضوا اياماً في الصوم والصلاة الحارة، طالبين باجتهاد امدادات نعمة الله تلك الفائقة التي تأتي من السماء والتي نحتاج اليها جداً اليوم.

*

اود ان اذكر آخر في ما يتعلق بالصوم والصلاة واعتقد ان خدام المسيح مقصرون فيه. وهو انهم، وان كانوا يطالبون في وعظهم بوجوب الصلاة السرية ويلحون عليها كثيراً، قلما يذكرون الصيام السري. فهذا واجب اوصى به مخلصنا اتباعه، على غرار الصلاة السرية تماماً؛ كما يتضح لنا من مقارنة الآيتين 5 و 6 من الفصل السادس في الانجيل حسب متى بالآيات 16 – 18. ولئن كنت لا افترض ان الصوم السري يجب ان يمارس بطريقة محددة ونهج ثابت، مثل الصلاة السرية، فيبدو لي انه واجب ينبغي أن

يمارسه جميع المسيحيين المعترفين بالايمان، وان يمارسوه تكراراً. فثمة عدة مناسبات، روحية ودنيوية على السواء، تستدعيه استدعاءً مؤاتياً، وثمة عدة مراحم خاصة نرغب فيها لانفسنا ولاحبائنا من الموافق ان نلتمسها من لدن الله بهذه الوسيلة.

جان وسلي

(الداعية الانكليزي الى الايمان في اثناء النهضة الكبرى، وقد عاش من 1703 حتى 1791)

الانسان الذي لا يصوم ابداً ليس على الطريق الى السماء اكثر من الانسان الذي لا يصلي ابداً.

*

إن الصيام معوانُ للصلاة، ولا سيما حين نخصص للصلاة السرية اوقاتاً اطول. فحينئذ خصوصاً يسر الله غالباً بأن، يرفع نفوس خدامه قوق اشياء الارض كلها، وان يجعلهم ينخطفون احياناً – إن جاز التعبير – الى السماء الثالثة. وبمقدار ما هو معوانٌ للصلاة، فغالباً ما تبين انه بصورة رئيسية وسيلة يستخدمها الله كي يثبت يزيد ليس فقط فضيلة واحدة، أي ليس العفة وحدها (كما تصور بعضهم باطلاً بغير اساس من الكتاب المقدس والعقل والاختبار) بل ايضاً جدية الروح ويقظة الضمير وحساسيته ودقته وموتنا بالنسبة الى الحياة الدنيا، وتالياً محبتنا لله، وإضرام كلّ عاطفة مقدسة وسماوية.

*

لا يعني هذا ان بين الصوم وبركات الله التي يمنحها بعده أي علاقة طبيعية حتمية. ولكنه تعالى سيرحم كما يشاء ان يرحم،

فيغدق علينا ما يبدو له صالحاً وبأية وسيلة يسره ان يختارها. ولقد اختار، في كل العصور، ان تكون هذه هي وسيلة لردّ غضبه ونوال أية بركات نكون في حاجة ماسة اليها من حينٍ لآخر.

*

ولكن اذا رغبنا في هذه المكافأة ، فحذار ان نتصور اننا نستحق أي شيء من عند الله بصيامنا. ولا بد دائماً من هذا التحذير، ما دام متأصلاً في قلوبنا جميعاً هذا الميل الطبيعي الى "اثبات برّنا الذاتي" كي نظفر بالنجاة الالهية على سبيل الدين لا على سبيل النعمة. فما الصوم سوى طريقةٍ رتبها الله، بها نتوقع رحمته التي لن نستحقها، حيث وعدنا تعالى بأن يهبنا بركته بغير ادنى استحقاق منا.

أندرو فولر

(القسيس والكاتب الانكليزي، 1754 – 1815)

يفترض ان يكون الصيام ممارسة معتادة عند الاتقياء. فالمسيح لم يستهن به بل حذر من إساءة استخدامه. إنه ملحق بالصلاة، ومقصود به ان يعزز لحاجتها. وهو ان نذلل نفوسنا امام الله، على نحو ما :ان نعاقبها. اما روح الصيام فتعبر عنها الايتان التاليتان:" كذا يصنع بي الله وكذا يزيد ان ذقت الخبز او أي شيء آخر حتى الغروب"، "لن ادخل الخيمة بيتي، ولن اعلو سرير مضجعي، ولن اعطي عيني نوماً، ولا اجفاني رقاداً، الى ان اجد للرب مقاماً، ولعزيز يعقوب مسكناً". فلا ذكر هنا لمدة الصوم ولا لتواتر فرضه. وإنما هو وسيلة فحسب، حتى إذا جعل **غاية** في ذاته كان مقيتاً في نظر الله.

أبراهام لنكولن

(رئيس الولايات المتحدة الاميركية من 1861 حتى 1865)

بما ان مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة، اعترافاً منه في تقوى ووقار بسلطة الله القدير الاسمى وحكمه العادل في جميع شؤون البشر والامم قد اصدر قراراً يطلب فيه من الرئيس ان يحدد ويخصص يوماً للصلاة القومية والتذلل العام؛

ولما كان من واجب الامم والبشر على السواء ان يقروا باتكالهم على سلطان الله المهيمن ويعترفوا بذنوبهم ومعاصيهم في حزنٍ و تذلل، لكن برجاء متجدد بأن التوبة النصوح تفضي الى الرحمة والغفران، وان يراعوا الحق السامي الذي اعلنه الكتاب المقدس واثبته التاريخ كله: ان الله يبارك فقط تلك الاوطان التي تخضع له على انه الربّ،

ونظراً لأننا نعلم من الشريعة الالهية ان الاوطان كالافراد تتعرض للقصاص والتأديبات في هذا العالم، كيف لا نخشى بحق ان تكون مصيبة الحروب الرهيبة، التي تحيل الارض الان خراباً، قصاصاً ينزل بنا من اجل خطايانا الوقحة حتى نبلغ الغاية الضرورية المتمثلة باصلاحنا الوطني كشعب كامل؟ ولطالما كنا متلقي خيرات السماء الفضلى، وقد حفظنا هذه السنين العديدة في سلام وازدهار ، وزدنا عدداً وغنى وقوةً على نحو لم تشهده امة اخرى قط. غير اننا قد نسينا الله، نسينا اليد الكريمة التي حفظتنا في سلام وضاعفتنا واغنتنا وقوتنا، وقد تصورنا باطلاً – في خداع قلوبنا – ان هذه البركات كلها حصيلة حكمة وفضيلة فائقتين مـــن عندياتنـــا. و إذا اسكرنا نجاحنـــا المطـــرد، بتنا وافـــري

الاكتفاء الذاتي حتى اننا لم نشعر بحاجتنا الى النعمة الفادية والحافظة، ومفرطي الكبرياء حتى فاتنا ان نصلي الى الاله الذي صنعنا! فجدير بنا اذا ان نتذلل اما العزة الالهية التي اسأنا اليها، وان نعترف بخطايانا القومية، ونصلي طالبين الرحمة والمغفرة؛

فالآن إذاً – استجابةً للطلب المرفوع اليّ وموافقة مني كلياً لرأي مجلس الشيوخ – اصدر هذا البيان الذي بموجبه احدد واخصص يوم الخميس في الثلاثين من نيسان (ابريل) 1863 يوماً للتذلل والصوم والصلاة على مستوى الوطن كله. وهنا اطلب ايضاً الى جميع الشعب ان يمتنعوا في ذلك اليوم عن اعمالهم الدنيوية المعتادة، وان يتحدوا – في اماكن عبادتهم العامة وفي بيوتهم الخاصة– للحفاظ على ذلك اليوم مقدساً للرب ومكرساً للقيام بالواجبات الدينية المؤاتية لهذه المناسبة المهيبة في إطار من التذلل والاتضاع.

حتى إذا فعلنا هذا كله ، بإخلاص وصدق، فلنسترح باتضاع على الرجاء الذي تخولنا اياه التعاليم الالهية بان صراخ الامة الموحد سوف يسمع في العلاء، ويستجاب بالبركات التي لن تقصر دون غفران خطايانا القومية وإصلاح حال بلادنا المنقسمة والمقاسية الان ، فتعود الى حالتها السعيدة السابقة متمتعةً بالوحدة والسلام.

وشهادة مني ، ها قد مددت يدي ومهرت هذا البيان بخاتم الولايات المتحدة المصدق. وقد جرى ذلك في مدينة "واشنطن" يوم الثلاثين من آذار (مارس) السنة 1863 لمجيء ربنا أي السنة الثامنة والسبعين لاستقلال الولايات المتحدة ... ابراهام لنكولن.

جي سي رايل
(اسقف ليفربول، وقد عاش من 1816 حتى 1900)

لنتعلم من إرشادات سيدنا في شأن الصوم اهمية الاستبشار في تديننا . فهذه الكلمات"ادهن رأسك واغسل وجهك" حافلة بالمعنى العميق. إذ ينبغي ان تعلمنا استهداف جعل الناس يرون اننا نجد في ايماننا بالمسيح ما يجعلنا سعداء. فلا ننسينّ ان ليس من التدين في شيء الظهور بمظهر كئيب قاتم. أنحن غير مكتفين بأجرة المسيح، وبخدمة المسيح. طبعاً لا، إذا فلا نظهر بمظهر غير المكتفين!

فيلبس ابروكس
(قسيس اميركي، 1835 – 1893)

هذه إذاً هي فلسفة الصوم. إنه يعبر عن التوبة، ويكشف حياتنا امام الله، ولسان حال الواحد منا فيه :"إنخفضي يا كبريائي، وانكفئي يا اهوائي، فأنا رديء وانتظر ان يباركني الله".

القسيس اهسي
(خادمُ دين عاش في القرن التاسع عشر)

[اقترح في خدمته علاجاً للصينيين مدمني الافيون]. كلما دعت الحاجة الى انطلاقة جديدة، كان يباشر الصلاة والصيام. وكان من عادته ان ينقطع عن الطعام طوال الاربع والعشرين ساعة في اليوم المخصص لذلك. واحياناً كان يبلغ به الارهاق حداً لا يكاد عنده يقوى على الوقوف. وعندئذ كان يختلي في حضرة الله بضع دقائق راجيا تدخله تعالى، ودعاؤه:"يا ربّ، العمل عملك،

فأعطني قوّتك". فكان يعاوده دائماً النشاط والحيوية، وتتجدد قواه كأنه اكل واستراح.

جان هايد (المصلّي)

(داعية الايمان العامل في الهند عند منقلب القرن الماضي)

[في مجمع "سيالكوت" بالهند لخدام المسيح، نحو اواخر القرن التاسع عشر، كان "جان هايد" يقضي مدة انعقاد المجمع بطولها في غرفة الصلاة]. وماذا نقول عن وجبات طعامه وساعات نومه؟ كان المجمع يدوم عشرة ايام في تلك الايام الباكرة، وكان "فتاه" – وهو غلام في نحو السادسة عشرة فتح له بيته وقلبه– قد احضر لوازم نومه وسوى له سريره جيداً،إلاّ إذا إمتلأت غرفة الصلاة ينتحي في احدى الزوايا وينطرح ارضاً كي ينام، ولكن إن بدأت الغرفة تفرغ والصلاة تخفت كان يبدو انه يعلم ذلك بطريقة ما فينهض سريعاً ويشغل مكانه مع باقي المتضرعين. وهل كان يتناول وجبات طعامه؟ أذكر أنني لم أره معنا الى المائدة سوى مرة او مرتين. وأحياناً كان "فتاه"، أو "غُلاّ" الكنّاس، يأتيه بصحن من الكاري والرزّ، او أي بشيء آخر، الى غرفة الصلاة، فإذا شاء يذهب الى إحدى الزوايا ويتناوله.وكم كان "فتاه" يبكي لأنه كثيراً ما رفض ان يأكل ولم يكن يأوي الى سريره كي ينام .

أندرو موراي

(قسيس من جنوب افريقيا، داعية الى الايمان ورجل دولة،
1828 – 1916)

إن الصلاة تحتاج الى الصيام كي تنضج على اكمل وجه. فالصلاة هي اليد التي بها نقبض على اللامرئي ّاما الصيام فهو اليد الثانية

التي بها نتخلى عن المرئي. وليس الانسان اشد ارتباطاً في شيء بعالم المحسوسات مما هو في هذه الحاجة الى الطعام وهذا التمتع به. فهو كان الثمرة التي بها اغوي الانسان في الفردوس وسقط. وبالخبز حاول الشيطان ان يغوي المسيح في البرية. ولكن المسيح انتصر بالصوم ... لقد افتدى الله جسدنا ليكون مسكناً لروحه القدّوس. ويقول الكتاب المقدس إن علينا ان نمجد الله، في الجسد كما في الروح، بالطعام والشراب. وما اكثر المؤمنين الذين لما يصر عندهم تناول الطعام هذا لمجد الله حقيقة روحية. وأول فكرة توحيها لنا كلمات المسيح في شأن الصيام والصلاة انه فقط بحياة اعتدال ونكران للذات تتوافر لنا الرغبة والقوة الكافيتان كي نصلي كثيراً. ومن شأن الصوم ان يساعدنا كي نبدي ونعمق ونؤكد عزمنا على التضحية بأي شيء ، حنى أنفسنا، للارتقاء الى ملكوت الله. ولما كان المسيح نفسه قد صام وضحى اي صوم وتضحية ، فهو يعرف كيف يقدر ويتقبل ويكافئ بالقوة الروحية كلّ نفس مستعدة للتخلي عن كلّ شيء هكذا في سبيله وسبيل ملكوته.

دايترش بونهويفر

(اللاهوتيّ والشهيد الالماني الذي عاش في القرن العشرين)

لقد اعتبر المسيح من البديهي ان يراعي أتباعه عادة الصوم الوثيقة الصلة بالتقوى. فالممارسة الدقيقة لضبط النفس هي من الملامح الجوهرية في الحياة المسيحية. ولمثل هذه الممارسات غرض واحد فقط. ألا وهو ان تجعل اتباع المسيح اكثر استعداداً وحماسةً لإنجاز تلك الامور التي يريد الله إنجازها.

عندما يكون الجسد مشبعاً، يصعب ان نصلي بحرارة وان ننذر نفوسنا لحياة الخدمة التي تقتضي كثيراً من نكران الذات.

*

ينبغي لنا ان نمارس اقسى نوع من الانضباط الذاتي اليومي، حتى يتسنى فقط لجسدنا ان يتعلم الدرس المؤلم ان ليس له من حقوق خاصة ابداً.

سي اس لويس

(استاذ الادب الانكليزي والكاتب الروحي الثقة ، 1898 – 1963)

يستحيل ان نقبل الايمان المسيحي الاصيل في سبيل الحصول على الراحة فقط، ولكن المؤمن بالمسيح يحاول ان يبقى منفتحاً لمشيئة الله كي يفعل ما يريد له الله ان يفعل.إنك لا تعرف مقدماً إن كان الله سيوجهك الى القيام بأمر شاق او مؤلم، او بأمر لا يعجبك كثيراً. وبعض الناس ذوي الميول البطولية يخيب املهم عندما يتبين ان العمل الممنوح لهام انجاز لا بأس به. ولكن ينبغي ان تكون مستعداً للامور المزعجة وغير المبهجة. لست اعني بهذا الصيام وما شابه. فهذا امر مختلف. فعند تدريب الجنود في المناورات، تستخدم ذخيرة خلّبية للتمرين العملي قبل مواجهة العدو الفعليّ.وهكذا يجب ان نتمرس بالامتناع عن المسّرات التي ليست شريرة في ذاتها. فإن كنت لا تمتنع عن اللذة، لا تكون نافعاً حين يأتي وقت الكفاح. إنها مسألة تمرن وتمرس.

مارتن لويد جونز

(واعظ لندني عاش في القرن العشرين)

إذا تفكرنا في الصوم لاحقاً ، نجده غير منحصر بمسألة الاكل

والشرب. فينبغي ان يمارس الصوم بحيث يتضمن الامتناع عن أي شيء مشروع بذاته ولذاته، في سبيل قصد روحي خاص. فهنالك جملة انشطة طبيعية صائبة وسوية وشرعية تماماً، ولكنها لاسباب خاصة في بعض الاحوال المعينة تستوجب الضبط والسيطرة . ذلك نوع من الصوم.

داود ر. اسمثّ
(كاتب عاش في القرن العشرين)

إن الشخص الاناني لا يستطيع ان يتمتع بالبشارة المسيحية. فالمؤمن بالمسيح انسان بدأ ينكر نفسه، ويعيش دائماً حياة نكران الذات.إذ قال المسيح :" إن اراد احد ان يسير ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه [استعداداً للموت] ويتبعني". وليس نكران الذات مقصوراً على نوع واحد من العطاء ، بل يشتمل على جميع ممارسات الانضباط الذاتي. ولئن كان الصوم احدى هذه الممارسات، فهو نكران للذات ايضاً. لا يعني هذا ان الصيام التزام لحرفية الشريعة. فحرية الانجيل هي التي تشجعنا على نكران نفوسنا.

*

لا يستطيع احد ان يحافظ على حالة فكرية يرغب فيها وحالته الجسمية غيرمؤاتية لها. فإن اشتاق انسان ان يكرس نفسه للامور الروحية، الى حين، فهو ملزم ان يتقين بوجود جسمه في بيئة موافقة. إنه لا يستطيع ان يكون متزناً في خضم انغماسه الجسدي. فالصيام يوفر البيئة المؤاتية للتفكير المقترن بالحزن في الامور الجدية, وقد كتب "استيريوس" في القرن الرابع م، ان من منافع الصوم كونه يضمن الاّ تجعل المعدة الجسد يغلي كالقدر على النار فيعيق النفس.

*

إن الصيام لا يولد الايمان، لأن الايمان ينمو فينا إذ نسمع كلام الله ونقرأه ونتأمل فيه. فالاتيان بالايمان لشعب الله عمل من اختصاص روح الله,. غير ان الصيام يستطيع ان يوطد الايمان فيمن يمارس هذا الضرب من الانضباط. حتى ليبدو كأن حرمان النفس يغذي الايمان الذي غرسه الله في قلوب المؤمنين المولدين ولادة روحية جديدة. ولا يعني هذا ان الذين يأكلون اقل الجميع يكون لديهم الايمان الاكبر،فنظرة كهذه تطرفية عدا كونها خاطئة. إنما لحرمان المنتظم منافعه، وإحداها تتبدى في زيادة الايمان الشخصي.

كايث ماين

(كاتب من القرن العشرين)

كان الصوم ، في الديانة اليهودية ، علامة **خارجية** على حالة **داخلية**. أما في نظر المسيح فهو علامة داخلية على حالة داخلية . فإذا أسيء استخدام الاولى كانت " عرضاً قبيحاً لمشهد مسرحي ديني"، فيما تكون الثانية اشبه شيء "برياضة روحية تنسكية".

*

ها نحن قد اشرنا الى ان الفرح والشكران اللذين يميزان حياة الصلاة في العهد الجديد هما من علامات اقبال ملكوت الله. فلم يعد الصوم موافقاً للموقف المتسم بالفرح والشكر والمميز لحياة المؤمنين المشتركة... صحيح ان المعاناة والمأساة حاضرتان كواقع سافر. فالملكوت لما يتحقق الى التمام. بديهي ان **العريس** حاضر وان ليس الآن اوان حزن ونوح. ولكن هذا ليس الواقع كاملاً،إذ إننا ما نزال في الجسد الواهي وضعفاء في الايمان. فداخل "دوامة الصراع المرّ" هذه، قد تلوح للمؤمن فرصة للصوم يتصورها في إطار حياته التعبدية الا انها تكون عنصراً واحداً فقط من عناصر كثيرة تأتلف لتشكل حياة الانسان المؤمن

بالمسيح والمتحد به. وفي وسع المرء ان يجد في **[رسالة قورنتس الثانية 3:6 – 10و 11: 23–29]** لمحة على المعاينات المتنوعة داخل اطار "دوامة الصراع المر، في سبيل قضية المسيح. على هذه الخلفية يكتسب الصوم المذكور في 5:6 و 27:11 موقعه الصحيح.

ريتشارد جاي فوستر
(كاتب تأملات روحية في القرن العشرين)

يحسن بك ان تعرف الادوار التي يجتاز جسمك فيها اثناء صيام اطول. فالايام الثلاثة الاولى تكون في العادة هي الاصعب من حيث الانزعاج البدني وعضّات الجوع. إذ يبدأ الجسم يتخلص من السموم التي تراكمت فيه على مدى سنين من عادات الاكل السيئة. وليست هذه عملية مريحة. وهذا سبب تغشية اللسان وبخر الفم . فلا تقلق لاعراض من هذا النوع، بل كن شكوراً على ما سيعقبها من صحة حسنة وحالة سليمة.وقد يعرض لك صداع في هذه الفترة، ولاسيما اذا كنت مولعاً بشرب القهوة او الشاي. فما هذه الا اعراض انكفائية بسيطة سوف تتلاشى، وإن كانت مزعجة حيناً.

وفي اليوم الرابع يبدأ الجوع يخمد، وإن كنت تشعر أحياناً بالضعف ويعتريك الدوار. فإن الدوار وقتي فقط وناجم عن تغيير الموقع. تحرك ببطء فلا تلقى صعوبة. وقد يبلغ الضعف مبلغاً يجعل ابسط عمل يقتضي اكبر جهد. فالراحة خير علاج. وكثيرون يجدون هذه المرحلة اصعب مراحل الصوم.

حتى إذا حل اليوم السادس او السابع، تبدأ تشعر بأنك أقوى وأوفر صحواً . أما نهشات الجوع فتظل تتناقض حتى تغدو في اليوم التاسع او العاشر مجرد وخزات بسيطة. إذ يكون الجسم قد تخلص من كتلة السموم المضرة، فيتحسن شعورك كثيراً. وتتقوى رهافة طاقة التركيز لديك، فتحس كأنك قادر على الصوم الى ما لا نهاية.وعلى صعيد الصحة البدنية ، هذا هو جزء الصوم الذي تتمتع به أفضل تمتع.

وفي وقت ما، بين واحد وعشرين يوماً واربعين يوماً اوأكثر، تبعاً لحالة كل فرد، تعاودك أوجاع الجوع. فهذه اول مرحلة من مراحل الخور، وأمارات تدل على ان الجسم قد استهلك فائض مخزونه وبدأ يستفيد "اللحم الحي" وفي هذا الوقت يجب وقف الصيام.

دالاس ولارد

(كاتب في شؤون الممارسات الروحية من القرن العشرين)

الصوم ممارسة انضباطية يصعب ان نمارسها بغير ان تستهلك كامل انتباهنا. ولكن حين نستخدمها في إطار الصلاة او الخدمة، لا يمكننا ان ندعها تفعل ذلك . فحين يختار المرء الصيام سبيلاً للانضباط الروحي، فحينئذ ينبغي ان يمارسه ممارسةً كافية ومتكررة بحيث يغدو متمرساً به، لأن الشخص الذي يتعود جيداً الصيام المنتظم كممارسة انضباطية هو وحده يستطيع ان يستخدمه بفعالية كجزء من عبادة الله او خدمته، كما في اوقات الصلاة الخاصة او اي تعبد آخر.

يوسف ف. ويمر
(من كتاب القرن العشرين)

[تعليقاً على **[الانجيل حسب مرقس 18:2 -22]**، وحضور **العريس** وغيابه] : إن عدم صيامهم قصد به ان يؤكد حقيقة كون العصر الاخرويّ قد حل بحلول المسيح ... ومن ثم فإن الصيام المستقبلي بعد"رفع العريس من بينهم" هو ايضاً ذو علاقة بالمسيح، كتذكار حزين لما جرى يوم الجمعة المشؤوم، تمازجه الثقة القلبية والرجاء بمجيئه ثانيةً وإكمال الاحداث النهائية المتعلقة به. هذا الصوم المسيحي كان شيئاَ جديداً ، متميزاً عما في اليهودية، ليس فقط من جهة يوم الصيام، بل بالاحرى من حيث حافزه الداخلي. حتى إن كونه علامة على التعبد المقرون بالتواضع للآب مرتبط بالمسيح الذي على يده قد تم إنقاذنا الابدي والذي في حضرته سوف نبتهج ذات يوم ابتهاجاً لا حدود له، لدى بلوغ ملكوته ذورته.

*

إن ضعف الجوع المؤدي الى الموت يبعث الصلاح والقوة من لدن الله الذي يشاء لنا الحياة. وليس هنا ابتزاز او انتزاع، ولا مسعى سحري لقسر مشيئة الله. فنحن إنما نتطلع بثقة الى ابينا السماوي، وبصيامنا نقول له بلطف في قلوبنا "أيها الاب السماوي، لولاك لكنت أموت، فأنجدني سريعاً وساعدني!".

أدلبير دي قوغ
(راهب من القرن العشرين في دير "لابيار كيفير" بفرنسا)

إن نتائج الصوم الخيرة تلمس اولاً في مجال الجنس. فقد تبين لي بسهولة صواب الاقدمين في ربطهم بين "الرذيلتين الاساسيتين"، أي النهم

والشهوة، وتالياً بين الممارستين الانضباطيين الموازيتين، اي الصوم والعفة. ففي الصوم خير معوان للمتدين الذي نذر العفة. إذ لا تعود التخيلات الشهوانية تظهر ولو ساعات الفراغ الفيزيولوجي السعيدة التي تحدثت عنها؛ وفي سائر الاوقات تسهل السيطرة عليها والتخلص منها.

*

لا يُفاجئ احداً ان أعترف بأنني عرضة للقلق والتوتر والتوفر، والكآبة والعصيبة، ناهيك بالغرور او سوء الطباع او الحسد, إنما عادة الصوم تحدث تهدئة بعيدة الاغوار لجميع هذه الانفعالات الغريزية. ويبدو لي السبب في أن سيطرة ما على الشهية الاساسية، أي شهوة الطعام، تيسر سيطرة اكبر على تجليات اللبيد الاخرى وعلى العدوانية. فكأن الصائم يغدو اوثق صلةً بنفسه واكثر امتلاكاً لهويته الحقيقية، وأقل اعتماداً على الاغراض الخارجية والنزوات التي تثيرها داخله.ومن الفوائد الاقل شأناً نشير فقط الى الوقت الذي نوفره من الجلوس الى المائدة مرة واحدة بدلاً من الثلاث.

*

إن محبة الصيام ليست فقط ممكنة. ففي ضوء الوقائع،أتوغل حتى اقول إن العكس يبدو لي مستحيلاً ، الى اي درجة اختبر المرء الصوم فاختبر الصوم تحبه!

آرثر وليس

(كاتب تأملات روحية من القرن العشرين)

يكاد الجميع يتفقون على الحاجة الماسة الى افتقاد الروح الالهي لجماعة المؤمنين بالمسيح. أينبغي لنا ان نعتقد ان الوعد المعطى بالنبي

يوئيل ليس له علاقة بهذا الوضع؟ وهل استنفدت احداث يـــوم الخمـــسين مدلول نبوءة يوئيل كله؟ لا ، كما هو واضح، وإلا ما كانـــت إفاضـــات جديدة.أما إذا اعتقدنا ان هذا الوعد العجيب هو لنا، بـــل هـــو بالحقيقـــة استجابة الله للحاجة الحالية،فمن المهم ان نفي بالـــشروط فيمـــا نطالـــب بتحقيق الوعد لنا. وثلاث مرات يرددد يوئيل اصداء مناداة مدوية، نظراً الى قرب يوم الرب، بالرجوع الى الله مع ***الصيام [سفر يوئيل 14:1؛ 12:2، 15]***. ثم يبدو انه يرى في رؤيا استجابة الله." لقد غار الرب على ارضه، وأشفق على شعبه" [الآية 18].

وسلي ديويل

(كاتب في موضوع الصلاة من القرن العشرين)

ليس من حقنا ، انا وانتم، ان نلغي الصوم لأننا لا نشعر بدافع شعوريّ يحملنا عليه، كما لا يحق لنا ان نبطل الصلاة او قراءة الكتاب المقدس او الاجتماع مع إخواتنا المؤمنين لانعدام حافز شعوري خاص يدفعنا اليها. فإن الصيام عنصر كتابيّ وسويّ في مسيرة الطاعة الروحية، شأنه شأن تلك العناصر الاخرى.

*

ترى ، كيف تحمل صليبك؟ان تحمل صليبك لـــيس ان تـــدع أحداً آخر يضع الصليب على كتفك. فليس المرض والاضطهاد وعـــداء الآخرين لك صليبك الحقيقي، لأن حمل الصليب فعل عمـــدي. علينـــا ان نعمد الى الاتضاع والانحناء وحمل الصليب وراء المسيح.والصوم واحدة من اكثر الطرائق انسجاماً مع تعليم الكتاب المقدس للقيام بذلك.

وسع الصيام ان يضاعف حدة جوعنا الى تحـــرك الله بالعمـــل. فللجوع الروحي والصوم تفاعل متبادل بينهما، إذا إن كليهما يزيد الآخـــر ويقويه فعندما يصير جوعك الروحي شديداً للغاية، فربمـــا تفقـــد حتـــى الرغبة في الطعام.وجميع انواع الصلاة المستظهرة الاشد حدة وحـــرارة يمكن ان يعمقها الصوم وينقيها ويعززها ويقويها.

يغدو الصوم طبيعياً حين نكون مثقلين بأعبـــاء ثقيلـــة، وفـــي صراع مع القوى السائدة المقتدرة، وفي حرب نلتحم فيها بالشيطان وقوى الظلمة. ويصير الصوم حلواً ومباركاً إذ يتسامى جوعـــك الـــى الله. ثـــم يكتسب جوعك قوة هائلة فيما تصوم وتصلي، ولا سيما إذا انقطعت عـــن كل عمل آخر لتعكف على الصيام والصلاة.ويمكن ان يغدو الصوم فرحاً روحياً.

الصيام يغذي ايمانك، فتبدأ ثقتك بالتعمق، ورجاؤك بالارتفاع،إذ تعلم انك تعمل ما يرضي الربّ. فإن استعدادك لإنكـــار الـــنفس وحمـــل الصليب هذا الاضافي طوعاً يضرم في داخل فرحاً سامياً. وإذا بإيمانـــك يباشر التمسك بوعد الله على نحو اكثر بساطة واوفر قوة.

جاي أزوالد ساندرز

(داعية الى الايمان ورجل دولة من القرن العشرين)

ليس الصوم شرطاً شرعياً، بل هو استجابة تلقائية فـــي ظـــروف خاصة. فهنالك اشخاص أتقياء ومصلون وجدوا فـــي الـــصوم معيقـــاً لا معيناً.ولبعض الناس بينة طبيعية تجعل حرمانهم اقل مقدار مـــن الطعـــام معطلاً لقدرتهم على التركيز في الصلاة. فلا داعي لأن يلتزم هـــؤلاء أي قيد، بل ليقوموا بما من شأنه ان يساعدهم على الصلاة افضل مساعدة.

إيدث شايفر
(كاتبة من القرن العشرين)

أيعد الصيام رشوةً تحمل الله على إيلاء طلباتنا مزيداً من الانتباه؟ لا، بل الف لا! فما هو إلا طريقة بها نعبر عن تقديرنا وتوفيرنا للفرصة المدهشة بالتماس المعونة من لدن الإله السرمدي،خالق الكون،بحيث نختار التخلي عن كل شيء آخر للانصراف الى التعبد والاستغفار وطرح طلباتنا امام الله ، معتبرين معونته اهم من أي شيء نستطيع نحن ان نفعله بقوتنا الذاتية وافكارنا الخاصة.

جري فالول
(قسيس من القرن العشرين)

قال قديس شيخ مرة إن الصيام يمنع أن تصير التنعمات ضروريات. فالصيام حماية للروح من تجاوزات الجسد. وحينما يصوم المؤمن ، يحسن وضع اليد على الجسد، ويتاح له ان يقوم بعمل السيد خير قيام.

بلّ ابرايط
(داعية إيمان من القرن العشرين)

لا ينفعنا اقلّ مما هو فائق للطبيعة لرد امواج الدينونة النازلة بأرضنا واعتقد ان لا شيء يوازي القوة الفائقة التي تنطلق من عقالها حين نصوم ونصلي. ونحن نعلم يقيناً من **[رسالة العبرانيين 6:11]**، ومن الاختبار الشخصي ، ان الله يكافئ الذين يطلبونه باجتهاد.

قرنيليوس ايلانتنغا (الصغير)
(لاهوتي من القرن العشرين)

ان الانغماس الذاتي عدوّ للشكران، فيما الانضباط عادةً صـــديقه وباعثه. لهذا كان النهم خطيئة قتالة. وقد اعتقد الآبـــاء المنقطعـــون فـــي الصحراء قديماً ان شهيات المرء مترابطة: فالمعدة الملآنة والحلق المتخم يطغيان على جوعنا وعطشنا الى البرّ. إنهما يفسدان اشتياقنا الى الله.

الفهرس

مقدمة .....

مدخل.....

1 – هل الصوم أمرّ مسيحي ؟.....

2 – ليس بالخبر وحده يحيا الانسان.....

3 – الصوم لأجل مكافأة الآب.....

4 – الصوم لأجل مجيء الملك.....

5 – الصيام ومجرى التاريخ.....

6 – ملاقاة الله في بستان الألم.....

7 – الصيام لأجل الصغار.....

خاتمة : لماذا يكافئ الله على الصوم؟.....

تذييل : اقتباسات واختبارات.....

الفهرس.....

A Hunger for God

By
John Piper